قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية

تاريخ النشر:

١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عرف القرن السادس عشر تحولات جذرية على المستوى السياسي في كافة أنحاء البحر الابيض المتوسط ، وعرفت الخريطة السياسية لبلدان هذه المنطقة تغييرا كبيرا لا يضاهيه الا التغيير الذي سببته الحرب العالمية الاولى في نفس المنطقة .

ان الصراع الاسلامي ـ المسيحي في هذه الفترة يعتبر حقا امتدادا للحروب الصليبية التي عرفتها منطقة المشرق العربي ، واستمر هذا الصراع ليشمل البحر الابيض المتوسط بضفتيه الشمالية والجنوبية ، وكانت المنطقة الشمالية تعيش في هذا الوقت نهضة اقتصادية واسعة بسبب تطور العلوم وتطبيق النظريات التي بقيت طوال العهود السابقة في طي النسيان ، وبفضل تطور الاقتصاد ، ظهرت احتياجات كثيرة منها :

- الحاجة الى الاسواق لتصريف المصنوعات الكثيرة .
- الحاجة الى مجال حيوي جديد لجلب مختلف المواد التي تتطلبها الصناعات الحديثة التي عرفتها أوربا .
- الحاجة الى اكتشاف طرق جديدة تخلص أوربا من قبضة العرب الذين كانوا يتحكمون في الطرق التجارية طوال القرون الوسطى .

ومن أهم نتائج هذه الوضعية الجديدة ، سقوط بلاد الاندلس وطرد المسلمين منها ، فالتجأوا الى شمال افريقيا المسلمة ، وخرجت اسبانيا وراءهم لتمنعهم من العودة الى الاندلس ، فاحتلت موانئ كثيرة في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا . وكرد فعل على هذا الهجوم المسيحي على البلاد

الاسلامية ،ظهرت جماعات من المجاهدين في البحر وهبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام والمسلمين ،اشتهر من بينهم الاخوة عروج وخير الدين ،كما اشتهر عند المسيحيين جماعة فرسان القديس يوحنا . ونتيجة للصراع الحاد الذي وقع بين الطرفين (أي المسلمين والمسيحيين) وقع أسرى في كلا الطرفين ،وهكذا أصبحت المدن المسيحية في شمال المتوسط تعج بالاسرى المسلمين ، كما أصبحت المدن المسلمة في جنوب المتوسط تعج هي الاخرى بالاسرى المسيحيين .

واذا كان عدد أسرى المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية كرها أو طواعية قليلا ،فان عدد المسيحيين الذين أسلموا مرتفع جدا ، وقد برز عدد كبير منهم على المسرح السياسي أو العسكري خلال القرن السادس عشر والقرون اللاحقة .

لم يسجل لنا التاريخ أسماء مسلمين اعتنقوا المسيحية فخلدوا أسماءهم بعمل أو بآخر الا الحسن الوزان ،الملقب بليون الافريقي ، الذي ترك لنا كتابه الشهير " وصف افريقيا " ، وأما المسيحيون الذين اعتنقوا الاسلام واشتهروا فيما بعد - خاصة في المجال العسكري - فهم كثيرون ،والسبب هو أن النظام العثماني كان يتيح الفرصة للمسلمين من أصل مسيحي للارتقاء في السلم الوظيفي ،وهكذا برزت شخصيات كثيرة تركت بصماتها واضحة في تاريخ القرن السادس عشر ،ومن أهم هذه الشخصيات ،علج علي الذي هو موضوع هذا البحث .

ويرجع سبب اهتمامي بهذه الشخصية الى عامل أساسي وهو الغموض الكبير الذي ما يزال يشوب هذا الرجل رغم مرور أربعة قرون وأزيد على وفاته ،كما أن الكثير من الكتب التي تحدثت عنه

لم تنصفه في نظرنا ولم تعطه حقه من الاهتمام ،وكان الاهتمام بخير الدين باشا على الخصوص يغطي على الجميع ،لذا ارتأيت أن أدرس هذا الموضوع وأحاول - ان وفقت في ذلك - اخراج هذا الرجل (علج علي) من طي النسيان وأبرز جميع الجوانب المتعلقة بحياته : قبل الاسر ،وخلاله ،وبعده .كما أبين الدور البارز الذي قام به في تطوير الاسطول العثماني ،لا سيما بعد معركة ليبانت الشهيرة .

وقد قسمت هذا البحث الى أربعة فصول وخاتمة وهي :

1 - الفصل الاول :

يتكون من أربعة مباحث ،درست في البحث الاول نظام الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر مبينا نظام الجيش ،ونظام البحرية والنظام الاداري . ودرست في الثاني الصراع الدولي في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ،ووضحت فيه مكانة الدولة العثمانية في هذه الفترة ومختلف الفتوحات التي قامت بها مع مطلع القرن السادس عشر . أما المبحث الثالث فقد درست فيه انتقال الدولة العثمانية الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ،وذكرت دور خير الدين وعروج في تسهيل هذه المهمة ،كما بينت علاقة الدولة العثمانية بكل من فرنسا واسبانيا . وفي المبحث الاخير ،تتبعت مختلف المراحل التي مر بها علج علي قبل وقوعه في الاسر الى اسلامه .

2 - الفصل الثاني :

قسمت الفصل الثاني الى ثلاثة مباحث ،فدرست في الاول مختلف الاعمال التي قام بها علج علي قبل أن يصبح بايلربايا على الجزائر عام 1568 ،وتتبعت بالبحث مختلف المناصب التي تولاها في كل من

تلمسان والاسكندرية وطرابلس ، وبينت كذلك أهم المعارك التي شارك فيها ، كجربة عام 1560 ، ومالطة 1565 ، وخصصت المبحث الثاني لفترة تسوليه منصب البايلرباي في الجزائر ومختلف الاعمال التي قام بها خلال ذلك ، كفتح تونس ومساعدته لمسلمي الاندلس ومشاركته في فتح قبرص عام 1571م .

أما المبحث الاخير ، فخصصته لمعركة ليبانت عام 1571 ، ودور علج علي فيها ، وبينت كيف تمكن من تحويل الهزيمة الى نصر ، وكيف أعجب به السلطان سليم الثاني فلقبه " بقليج " (أي السيف) بدلا من كلمة علج " القديمة .

3 ـ الفصل الثالث :

وقسمته الى خمسة مباحث ، فعرفت في المبحث الاول بمنصب القابودان باشا (الاميرال) ، ووظائفه ومسؤولياته ومكانته في المجلس العثماني ، أما المبحث الثاني فدرست فيه المجهود الكبير الذي قام به علج علي لاعادة بناء الاسطول الذي تحطم في ليبانت ، وفي المبحث الثالث درست استرجاع تونس عام 1574م ودور علج علي في ذلك . وبينت كيف كانت نهاية الدولة الحفصية ، وكيف أصبحت تونس ولاية عثمانية ، أما المبحث الرابع فدرست فيه العلاقات بين الجزائر العثمانية والمغرب السعدي ، وبينت الدور الذي قام به علج علي لتوحيد كافة أقطار شمال افريقيا تحت راية الدولة العثمانية . وذكرت المجهود الذي قام به لاعادة مولاي عبد الملك عام 1576 الى العرش السعدي ، وأخيرا ذكرت الظروف التي أحاطت بالحملة التي قام بها علج علي على المغرب الاقصى عام 1581 ، والتي توقفت في الجزائر بعد أن

قدم مولاي أحمد المنصور الهدايا الكبيرة للسلطان العثماني ليوقف هذه الحملة • وفي المبحث الخامس والاخير استعرضت مختلف الحملات البحرية التي قادها علج علي شخصيا بصفته قابودان باشا ما بين 1571 و 1587م •

4 - الفصل الرابع :

ودرست فيه الحياة الشخصية لعلج علي وأهم المنجزات التي تركها ، وقسمت هذا الفصل الى خمسة مباحث ، فذكرت في الاول الظروف التي توفي فيها علج علي باشا عام 1587 وما قيل عن سبب وفاته • وتحدثت في المبحث الثاني على علج علي العسكري ، فأبرزت امكاناته العسكرية في البر والبحر معتمدا في ذلك على مختلف الادوار التي قام بها في مختلف المعارك التي شارك فيها أو قادها شخصيا • والمبحث الثالث خصصته لمنجزاته وقسمتها الى ثلاثة أنواع وهي : أ - المساجد والمدارس ، ب - القلاع والحصون ، ج - مشروع قناة السويس ، وفي هذا المبحث أظهرت مختلف المساجد والمدارس التي شيدها في اسطمبول ، وأظهرت كذلك مختلف القلاع والحصون التي شيدها في الجزائر وليبيا وتركيا ، وأخيرا درست مشروع قناة السويس الذي تقدم به للسلطان مراد الثالث ، وقد بدأ فعلا في تنفيذه لولا اشتعال الحرب العثمانية الفارسية التي كانت سببا في تأخير الكثير من المشاريع العثمانية •

وفي المبحث الرابع تناولت مكتبة علج علي باشا وهي توجد حاليا ضمن ممتلكات المكتبة السليمانية في اسطمبول وقد نقلت اليها عام 1911م بعد أن كانت في المكتبة الخاصة بعلج علي طوال المدة السابقة • وفي المبحث الخامس والاخير ، تناولت مزاج علج علي وما قيل عنه وعن وفائه للدولة العثمانية وعن

صدق اسلامه كذلك ،وحاولت أن أكون موضوعيا في دراسة هذا الجانب ولو أني ظهرت أحيانا كمدافع عنه ،الا أن نوع البحث يقتضي - في نظري - ذلك ،لان الاوربيين الذين كتبوا عنه ،وخصوصا المعاصرين له ،كان غرض معظمهم هو تشويه سمعته.

5 - الخاتمة :

أنهيت البحث بخاتمة ، أبرزت فيها بعض النتائج التي توصلت اليها في هذه الدراسة ،ووضعت فيها على علي في مكانه الحقيقي الذي كان يجب أن يكون فيه منذ القديم.

أما عن الصعوبات التي اعترضت سبيلي وأنا أقوم بهذا البحث فهي كثيرة ،ولكن لا يكاد يوجد بحث واحد بدون مشاكل ، ولهذا سأكتفي بذكر قلة المصادر والمراجع ،لان الموجود منها كتب بأقلام أوربية اعتمد فيها أصحابها على المصادر والمراجع الاوربية فقط ، وأهملوا كلية الوثائق والمصادر والمراجع العثمانية. ومما لا شك فيه فان أي بحث يتناول القرن السادس عشر ،لا يمكن الاكتفاء فيه بالمراجع الاوربية "المسيحية" بل لابد من الرجوع الى الوثائق العثمانية "المسلمة" لاستقرائها ومعرفة محتواها ، لان الدولة العثمانية كانت أحد أطراف الصراع.

ولمعرفة الحقيقة الكاملة عن أي نزاع لا بد من سماع أقوال الطرفين والا سيكون الحكم جائرا في حق هذا أو ذاك. واقتناعا مني بضرورة الرجوع الى الوثائق العثمانية ،سافرت الى اسطمبول عام 985 للبحث عما يخدم الموضوع ،الا أن ثقل الجهاز الاداري في تركيا الحالية لم يسمح لي بالاستفادة المرغوبة ،ورجعت

ومعي القليل من الوثائق والكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها ولكنها لم تكن في مستوى طموحاتي ، ولحسن حظي ، فان المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر كان قد جلب صورا " فوتوغرافية " للوثائق التي تتعلق بالجزائر ، ويزيد مجموع هذه الصور عن ثلاثة آلاف صورة (1) ، ولما رجعت اليها اكتشفت أن الكثير منها يتعلق بالقرن السادس عشر ، ووجدتها مجموعة كبيرة تتعلق بموضوعي مباشرة ، فهي عبارة عن أوامر أو تعيينات أو مراسلات ذات مواضيع مختلفة .

كان المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر قد أسند مهمة ترجمة هذه الوثائق من العثمانية الى العربية الى أحد الاساتذة المختصين في الموضوع وهو الاستاذ محمد داوود التميمي من الاردن ، وهكذا استعملت هذه الوثائق في ترجمتها بالعربية .

أما عن تلك الوثائق التي جلبتها من اسطمبول ، فقد ساعدني في ترجمتها الاستاذ الدكتور برنار كابورال ، وهو أستاذ اللغة العثمانية سابقا في معهد التاريخ بالجزائر ، وهو الآن أستاذ بجامعة ليون بفرنسا ، وقد رجعت الى الاستاذ فكري طونة المترجم الحالي في مركز الدراسات التاريخية من العثمانية الى العربية في بعض المسائل التي صعب علي فهمها .

وبخصوص بعض الاصطلاحات ، فقد استعملت كلمة "الرياس"

---

1) ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، (الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) ، ص 26 ، الهامش رقم 57 .

بدلا من " القرصان " لان الثانية تشير الى السرقة البحرية الحقيقية ، أما رياسنا فلم يكونوا قرصانا بل كانوا مجاهدين استعملوا اسلوبهم الخاص في الجهاد . كما استعملت كلمة " ايالة الجزائر " لان الوثائق العثمانية وهي الرسمية في الموضوع ،كانت تستعمل هذه العبارة . أما عن اسم " علج علي " فقد استعملت لقب "علج " عندما تحدثت عن حياته قبل معركة ليبانت 7 أكتوبر 1571 واستعملت لقب " قليج " بعد هذا التاريخ . ولذا جاء القسم الاول من البحث بلقب " علج " والقسم الثاني بلقب " قليج " . أما عبارة "القابودان باشا " فقد اثبتها كما هي ، وهي تشير الى منصب أمير البحر بالعربية والاميرال بالفرنسية .

أما أسماء السفن فقد استعملت الاسماء التي عرفت بها في هذه الفترة مثل الكلمات التالية: كاليرا ،غليوطة ، فرقاطة ، ماعونة ، غراب...

وانني ،أذ أتقدم بهذا البحث الى معهد التاريخ بجامعة الجزائر ،أرجو أن أكون قد وضعت لبنة في صرح البحث التاريخي الذي لا يزال في أمس الحاجة الى تكاثف الجهود الخالصة لخدمته ولا سيما في هذه الفترة .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الى كل الذين قدموا لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد ، وأخص بالذكر الدكتور برنار كابورال الذي طالما شجعني على مواصلة البحث وساعدني في ترجمة الكثير من النصوص وقدم لي ما يملك من الكتب حول موضوعي .

وفي الختام ،أقدم جزيل شكري الى الاستاذ المشرف ،الدكتور أبو القاسم سعد الله ،لما بذله من مجهود في قراءة جميع الفصول عدة مرات ،ولما قدمه لي من ارشادات وتوجيهات بفضلها أمكن لهذا البحث أن يرى النور في هذا الشكل .

والله ولي التوفيق .

19 صفر 1408 هـ

تيزي وزو يوم الاثنين

12 أكتوبر 1987م

المختصرات الواردة في البحث :

أ.ر.و. أرشيف رئاسة الوزراء باسطمبول .

R.A.=Revue Africaine

R.T.=Revue Tunisienne

J.A.=Journal Asiatique

S.D.= Sans date

د.ت.=دون تاريخ

الفصـــــل الأول

الوضع الدولي في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ، وظهور علج علي .

1) - الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر .

2) - الصراع الدولي في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط .

3) - توسع الدولة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط وعلاقاتها بكل من فرنسا واسبانيا .

4) - ظهور علج علي .

أ- الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر

ان القصد من هذا البحث هو التعريف بالدولة العثمانية خلال بداية القرن السادس عشر . والغرض من ذلك هو التعرف على مكانتها والدور الذى لعبته فى مواجهة الدول المسيحية فى البحر الابيض المتوسط ،والتعريف بالظروف التى ظهر فيها علج علي .

كان على رأس الدولة العثمانية مع مطلع القرن السادس عشر السلطان بايزيد الثانى الذى تولى الحكم من عام 1481 الى غاية 1512 ، خلفا لمحمد الفاتح * على العرش العثمانى ، وكانت الدولة العثمانية فى هذا الوقت تتكون من قسم كبير من آسيا الغربية وجزء من أوربا الشرقية ،ولم تكن سيطرتها قد شملت بعد افريقيا ولا البحر الابيض المتوسط الا قسما صغيرا من بحر ايجه .

يمكن القول بأن بذور النزاع بين الدولة العثمانية وما وراء آسيا الصغرى من دول اسلامية حول السيادة على الجزء الاسلامى من الشرق الادنى من جهة ،وبين الدولة العثمانية والبندقية حول السيادة على البحر الابيض المتوسط من جهة أخرى - وهي أهم ما يميز تاريخ الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر - كان ذلك النزاع قد بدأ بالفعل منذ عهد محمد الفاتح ،كما يتميز هذا القرن بوصول الدولة العثمانية الى أقصى مراحل توسعها .

كان السلطان بايزيد مسالما بطبعه ،فلم يلجأ الى مدّ أملاك الدولة شرقا أو غربا ،بل انصرف الى سياسة التعمير كاصلاح

* هو محمد الثانى الملقب بالفاتح ،ولد عام 1429 ،سلطان عثمانى 1444 - 1446 و 1451 - 1481 ، فتح القسطنطينية عام 1453 .

الطرق والجسور واقامة البنايات الفخمة كالمسجد الذي يحمل اسمه في اسطمبول (1)

في عام 1512، السلطان سليم الاول من الاستيلاء على السلطة بالقوة بعد أن أجبر أباه بايزيد على التنازل له على الحكم، ودام حكمه من عام 1512 الى نهاية 1520م، وامتاز عهده بمواصلة الحرب على الجبهة الاوربية والاستيلاء على بلاد الشام ومصر، ونشطت في عهده كذلك الجبهة الغربية، خصوصا البحرية منها، وبرز الى الوجود في هذا العهد عروج وخير الدين اللذان لعبا دورا كبيرا في مد رقعة الدولة العثمانية الى كل من ليبيا وتونس والجزائر وجزر البحر الابيض المتوسط، خاصة الشرقية منها، سواء في عهد سليم الاول أو في عهد خليفته سليمان القانوني.

لم يتم الفتح العثماني لوسط أوربا في ظروف مواتية للعثمانيين لأن الوقت الذي انطلقوا فيه فاتحين نحو قلب أوربا - وخاصة في القرن السادس عشر - كانت الدول الاوربية في مجموعها تنعم باليقظة القومية وتنفض عنها معالم الحياة الاقطاعية التي سادت العصور الوسطى، ودعمت الملكيات نفوذها وظهرت الطبقة الوسطى دعامة قوية للملوك تمدهم بالاموال لانشاء الجيوش الدائمة ومتطلباتها وفي مقدمتها سلاح المدفعية الثقيلة وانشاء الاساطيل البحرية الرهيبة. وكانت القوات البرية والبحرية قد نبذت ولاءها للأمير الاقطاعي وأصبحت تخضع خضوعا مباشرا للملك الذي غدا رمز الدولة الموحدة المركزية القوية الحديثة، كما أخذت تركن الى التكتل السياسي والتنظيم الاقتصادي وتتزود بأسباب النهضة التي أشرقت على أوربا منذ القرن الرابع عشر من ظهور الطريقة العلمية التجريبية في البحث وتقدم العلوم الطبيعية وتعدد الاختراعات، فكان العثمانيون يواجهون

---

1) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د٠ت٠) ، ص٠ 60

في زحفهم على وسط أوربا شعوبا فتية لم تقلل من حيويتها الانقسامات المذهبية الدينية بين الكاثوليك والبروتيستان ، وتم في ذلك القرن أيضا جزء كبير من الكشوف الجغرافية وخاصة اكتشاف الامريكيتين ، الذي أمد اسبانيا وغيرها من الدول الاوربية بمزيد من القوة المادية اعتمدت عليها في حروبها ضد العثمانيين .

وعلى الرغم من هذه الملابسات غير المواتية للعثمانيين ، فقد وقفت الدول الاوربية من الزحف العسكري العثماني موقف الدفاع عن كيانها وعن دينها ، وانهارت مقاومة أوربا تحت مدافع العثمانيين الذين حققوا نصرا وراء نصر ، وقد ملأتهم الانتصارات المتعاقبة ثقة في قوتهم واعتدادا بكفاية عتادهم ورجحان تفوقهم ، وأصبح الغزو العسكري شغلهم الشاغل : توغلوا في قلب القارة الاوربية ، وفتحوا جبهة بحرية في حوض البحر الابيض المتوسط حيث انتزعوا أهم جزره مثل رودس وقبرص ، كريت والجزر الايونية وكذلك انتزعوا القواعد العسكرية التي اتخذها الاسبان والبرتغال على الشاطئ الشمالي لافريقيا .

وازاء هذا العملاق العثماني الذي لا يكاد يخبو له نشاط حربي ، راحت أوربا تحتمي بالفكرة الصليبية وتعمل على استمرار ضراوتها وعنفها ، وتكونت الاحلاف الدولية ضد العثمانيين تغذيها روح صليبية وتباركها البابوية . ولذلك فان أوربا هي التي أعطت للحروب التي خاضتها ضد العثمانيين - دفاعاً وهجوما - الصبغة الصليبية . وتصدى العثمانيون لهذه الحملات ونقلوا جبهة القتال الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط حيث كان الاسبان قد أشعلوا حروبا صليبية بالغة العنف والضراوة ضد القوى الاسلامية في شمالي افريقيا بعد سقوط الاندلس ، وخاض العثمانيون معارك بحرية ضد الأساطيل الأوربية المتحالفة ،

تبادل فيها الطرفان المتحاربان الهزيمة والانتصار ، وان كانت كفة العثمانيين هي الراجحة في معظم المعارك •

هناك ناحية هامة وهي : لما نقل العثمانيون جبهة القتال الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، كانوا يحاربون في جو ملائم ، اذ كانت هذه الجبهة تضم شعوبا اسلامية تعاونت مع العثمانيين في الحرب ضد خصومهم ، بعكس الجبهة التي الت~~ي~~ فتحوها في المجر والنمسا وغيرها من بلاد وسط أوربا ، فقد كانت جبهة مسيحية لحما ودما (1)•

هذا عن أوضاع الدولة العثمانية الخارجية ، أما بالنسبة لأوضاعها الداخلية فنبدأ أما بالتعرف على نظام الحكم في القرن السادس عشر ، لمعرفة الظروف التي سمحت لعلج علي - وهو صلب الموضوع - بالارتقاء في السلم الوظيفي الى أن وصل الى منصب القابودان باشا •

يقدم الدكتور محمد أنيس في كتابه "الدولة العثمانية والشرق العربي" ، دراسة عن موضوع مصادر الحكم في الدولة العثمانية ويمكن تلخيصها فيما يلي :

المصدر الاول : - البيئة ، وقد استمد منها العثمانيون بعض الاسس الهامة في حياتهم وتشريعاتهم الجديدة في الشرق العربي الادنى ، منها اللغة رغم اختلاف الحروف التي استخدمت لكتابتها •

- الميل الطبيعي لتقبل الاوضاع الجديدة والعمل بها •

- التحفظ الصامد كظاهرة واضحة في حياة الجماعات البدائية وهو يتمثل في الرضا عن الاوضاع الموجودة التي اطمأنوا اليها وعدم السعي الى تغييرها ، وكان هذا عنصرا هاما في جمود الدولة العثمانية

1) عبد العزيز الشناوي: أوربا في مطلع العصور الحديثة، ج٢. (مصر، دار المعارف، 1969)، ص ص. ٥٤٤ - ٥٤٥

وتوقفها عن التطور والنمو .

- لما كانت العلاقة بين الاتراك في بيئتهم الاصلية غير قائمة على المرن ، بل على الرغبة في الالتفاف حول الرؤساء بقصد البحث عن لقمة العيش ، فان هذه الظاهرة جعلت الدولة العثمانية غير جامدة في تقبلها للعناصر الخارجية .

المصدر الثاني : التأثير الفارسي ، ويتمثل في تبجيل واحترام الملوك ، والتفرقة بين رجال البلاط ورجال الادارة العاديين ، وتقسيم الوزارة الى أقسام مختلفة ووجود مجلس الدولة ، واللامركزية في حكم المقاطعات وضريبة الرأس لغير المسلمين ، واستقلال أصحاب الديانات غير المسلمة في نوع من التنظيم الداخلي الخاص بهما .

المصدر الثالث : - أخذ الاتراك عن العرب النظام الديني والاجتماعي ، وهو نظام مستمد من الشريعة الاسلامية ، وكانت تتولى هذا النظام هيئة دينية تتكون من المفتي (شيخ الاسلام) وعدد من المفتيين والفقهاء ومشائخ الطرق وخطباء المساجد وغيرهم ، وهي الهيئة التي تتولى الاشراف على الناحية القضائية والتعليمية في الدولة ، كما أخذ الاتراك عن العرب حروف اللغة وعددا هائلا من الالفاظ والمصطلحات العربية . كما أخذ الاتراك عن العرب كذلك فكرة شراء العبيد الصغار وتربيتهم والاعتماد عليهم في تسيير أمور الدولة حربيا واداريا ، وقد كانت الدولة العباسية تستعمل هذا النظام منذ القرن التاسع ، فكان الخلفاء يشترون العبيد من الاتراك الصغار ، ويربونهم في بغداد تربية عسكرية لتولي مناصب الجيش والادارة ...

المصدر الرابع : - أخذ العثمانيون عن البيزنطيين نظام الادارة ،خاصة منها النظام الاداري الامبراطوري والنظام المحلي والضرائب وحياة البلاط ،ومظاهر العظمة والابهة ،ووضع الاجانب تحت نظام معين وتمتعهم بامتيازات معينة ،وربما استمد منهم العثمانيون كذلك حب الهدايا والرشوة (1) ٠

الحكم

لقد جعلت هذه المصادر العثماني يتميز بالصفات التالية :

1 - الطابع الحربي : وهو مستمد من بيئة العثمانيين الاصلية من جهة ،والموقع الجغرافي لدولتهم من جهة أخرى٠

2 - الاستبداد : وكانت الهيئة الحاكمة في الدولة العثمانية مستبدة لولا وجود قيود منها :الشريعة الاسلامية التي كانت فوق ارادة السلطان ولا يستطيع أن يمسها بسوء والّا تعرض للعزل ٠ ولقد اقتسمت الشريعة الاسلامية مع هذه الهيئة الحاكمة ولاء العثمانيين في الدولة ،وتمثلت هي الاخرى فيما أطلق عليه "الهيئة الاسلامية" وكان لها كيانها الاقتصادي وحقوقها التي كانت متشابكة أحيانا مع حقوق الهيئة الحاكمة ، فالاعدام مثلاً لا بد من موافقتها عليه ،وكذلك اعلان الحرب ، بل كان من نصيبها مشاركة الهيئة الحاكمة في جزء كبير من ايراد الدولة وجمع الضرائب ٠

3 - العبودية : كانت الهيئة الحاكمة العثمانية بأكملها من أصغرها الى الوزير - عدا أفراد الاسرة الحاكمة - عبيدا للسلطان ،وتطلق على الواحد منهم كلمة (قول) أي العبد ،وهنا تبدو استبدادية السلطان بمعناها الصحيح ،اذ كان له التصرف في أرواح وممتلكات هؤلاء العبيد ٠ لذلك فلا يمكن لفرد أن يدخل الهيئة

---

1) محمد أنيس ،المرجع السابق ،ص: 61- 64

الحاكمة الا عن طريق العبودية الذي كان مفتوحا فقط للعبيد المسيحيين الصغار عادة ،وكان أمام السلطان أربع طرق للحصول على عبيده ،وهي : الأسر ،الشراء ،الهدايا ،الضريبة . ويمكن ترتيب علج علي ضمن الصنف الاول . ولما كان علج علي رجلا عسكريا قبل كل شيء ، فلا بد من التعرف على نظام الجيش في الدولة العثمانية .

نظام الجيش : كانت الحكومة العثمانية جيشا قبل كل شيء آخر ،لأن مهمتها الاولى كانت هي الغزو والمهمة الثانية هي الحكم . ومنذ عهد محمد الفاتح بدأت المهمة الثانية للحكومة العثمانية "أي الحكم" تحتل مكان الصدارة ،ومع ذلك فالمهمتان ارتبطتا ببعضهما أشد الارتباط فكانت الحكومة والجيش وجهين مختلفين لعملة واحدة أحدهما مهمته خارجية ،والاخرى مهمته داخلية (1) .

ينقسم الجيش العثماني الى جيش بري وآخر بحري ،فالبري يتكون خاصة من الانكشاريين ،وكان الفرد منهم يعيشون دون أمل في أن تكون له زوجة أو أولاد ،فالسلطان والده والثكنة مأواه ،والحرب مهنته ، والقرآن عقيدته ،وكان الجندي منهم ينظر الى أعداء السلطان على أنهم أعداء الله وليس أمامه الا أن يمضي في قتالهم بروح رهبانية ملؤها حماس متأجج . وقد بلغ من شجاعة هؤلاء الانكشارية واستبسالهم في المعارك أن وجود فرقة واحدة منهم في أي جيش عثماني كان يضمن استماتة هذا الجيش كله في ميدان القتال (2) .

أما الجيش البحري فيتكون خاصة من الرياس وعماده هو الاسطول . ولم تكن الدولة العثمانية في بداية الامر بحاجة الى أسطول بحري لأن الحروب التي خاضتها كانت كلها برية ،وحتى أثناء الحملات العثمانية في شبه جزيرة البلقان ،كانوا يعتمدون على مراكب

1) محمد أنيس ،المرجع السابق ،ص 69_76
2) الشناوي ، المرجع السابق ،ص 537

يستأجرونها من اليونان .

وكانت الدولة التي احتاج العثمانيون الى أسطول بحري قوي لمحاربتها ، هي الدولة البيزنطية والدولة البندقية وجنوة ، وهاتان الدولتان الاخيرتان كان لهما أسطول بحري قوي ، ولهذا كان من اللازم على السلاطين العثمانيين بناء أسطول بحري في حروبهم مع هاتين الجمهوريتين .

ان أول من أنشأ نواة الاسطول العثماني الحربي ، هو السلطان مراد الثاني (1421ـ1444) و (1446ـ1451) ليطرد البنادقة من بعض المناطق الساحلية في شبه جزيرة البلقان ، ولم تتجه أنظار العثمانيين الى فكرة بناء الاسطول قبل مراد الثاني لأن أملاكهم على الرغم من سعتها كانت في الواقع تشمل عددا قليلا من المدن الساحلية ، فلما سقطت في أيديهم الدويلات التركية غير العثمانية في عهد بايزيد الاول ، واتجهت أنظارهم الى أهمية الاسطول الا أن غارة تيمورلنك عام 1402م عطلت هذا المشروع ، وكان من الطبيعي أن يفكر مراد الثاني الذي أتى بعده في بناء الاسطول .

ينقسم تاريخ الاسطول العثماني الى مرحلتين وهما :

1 ـ من سقوط القسطنطينية عام 1453 الى أواخر القرن الخامس عشر ، وفي هذه الفترة أصبح البحر الاسود بحيرة عثمانية ، كما خضعت خانات القرم وملحقاتها للهيمنة العثمانية .

2 ـ في عهد السلطان سليم الاول (1512ـ1520) شيّدت سفن أكبر وأقوى من سفن العهد الاول ، ونقل مركز قيادة الاسطول من غاليبولي (على الضفة الاوربية من الدردنيل) الى العاصمة ، كما أنشئت ترسانة هناك لصنع سفن قوية ويبدأ هذا العهد عمليا باستيلاء

---

* عن هذا الموضوع انظر ، محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمه من التركية ، أحمد السعيد سليمان ، (~~دار الكتاب العربي~~ للطباعة والنشر ، 1967) ، ص ص 115ـ192

العثمانيين على جزيرة رودس عام 1522 وأبرز شخصية في حياة الاسطول في هذه الفترة هو خير الدين بربروس الذي كان له الدور الفعال في تطوير الاسطول العثماني منذ انضمامه اليه مع ضباطه (1) .

بلغ عدد سفن الاسطول في عهد سليمان القانوني (1520-1566) حوالي 300 قطعة . وكان الاشراف على بناء السفن في أغلب الاحيان في أيدي البنادقة ، وكان الصناع والعمال في العادة من اليونان ، والملاحون من الطليان واليونان الفارين طمعا في المغانم الوافرة التي كانوا يحصلون عليها في خدمة الاسطول العثماني ، ويستخدم كذلك في الملاحة العبيد الذين كانوا يربطون الى السفن ، وكانت آفة الاسطول العثماني تتمثل في قلة خبرة القبطانات الذين تولوا قيادة الاسطول بعد خير الدين (2) اذا استثنينا علج علي .

في أواسط القرن السادس عشر ، كانت البحرية العثمانية قد بلغت درجة عالية من القوة لخبرتها وكثرة سفنها بحيث يمكن أن تتفوق لا على أقوى الاساطيل الاوربية متفرقة ، بل عليها وهي مجتمعة ، واذا انضمت الى القوة العثمانية أساطيل الجزائر وليبيا كان عددها يزيد عن عدد سفن أكبر دولتين بحريتين عندئذ . ففي عهد شارل الخامس كان عدد السفن العثمانية 80 "كاليرا" مقابل 160 اسبانية من نفس الحجم ، وفي عهد فليب الثاني مائة وخمسين مقابل مائة (3) وفي معركة ليبانت عام 1571 تجاوز عددها 300 قطعة ،

أما بالنسبة للترسانات (أماكن بناء السفن) فكان عددها مرتفعا ، الا أن أهمها يتمثل في الترسانات التالية :

---

1) جون وولف ، الجزائر وأوربا ، ترجمه من الانجليزية أبو القاسم سعد الله ، (الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986) ، ص 45
2) محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص 81-84 انظر كذلك CHALCONDYLE, Histoire des turcs, T.II, (Paris, 1650), p.126.
Defontin-Maxange, Alger avant la conquête, Eudj Ali (3 (Paris, A.Pedone, 1930), p.p.80-81.

1 ـ ترسانة غاليبولي Galibolu، وهي أول ترسانة عثمانية، شيدها يلدريم (الصاعقة) بايزيد (1389ـ1402) عام 1390م، وزادت أهميتها في عهد محمد الفاتح، ومن أواخر القرن الرابع عشر الى القرن السادس عشر، كانت غاليبولي مقرا للاميرالات، أي مقرا لقيادة الاساطيل العثمانية، واذا انتقل مقر الاميرال الى اسطمبول يبقى سنجاق (مقاطعة ادارية) غاليبولي تابعا للأميرال (Kapudan Paşa Eyaleti)(1)

2 ـ ترسانة اسطمبول التي شيدها السلطان سليم الاول بعد استيلائه على مصر عام 1517، وقد أقيمت هذه الترسانة في القرن الذهبي (وسط اسطمبول الحالية) في مكان يسمى أينلي قرق Aynalı Karak، وكان عدد العمال بها يقدر بثلاثة آلاف رجل وقد ارتفع عددهم فيما بعد . والهدف من تشييدها هو الحصول على القوة البحرية اللازمة لان السلطان سمع أن البابا (ليو العاشر 1513ـ1521) في ذلك الوقت كان يعمل للحصول على قوة بحرية كبيرة قد تشكل خطرا على الدولة العثمانية .

بعد أن تولى الحكم السلطان سليمان القانوني (1520ـ1566) شيد أسطولا قويا يتكون من مائة وخمسين سفينة، مع العلم أن الاسطول العثماني عند اعتلائه العرش كان يتكون من مائة سفينة فقط، فارتفع الى مائتين وخمسين قطعة بحرية . ويحتمل أنه فعل ذلك من أجل أخذ جزيرة رودس التي أخذها بالفعل بعد سنتين من توليه الحكم، أي عام 1522م .

3 ـ أما الترسانة الثالثة فهي ترسانة سويس التابعة للاسطول المصري، وهي لا تقل أهمية عن الاولى والثانية، وقد أقيمت لحماية البحر الاحمر وعمان والمحيط الهندي من الخطر الاسباني

---

1) Ismail HAKKI, Osmanlı Devletin in merkez ve Bahriye Taşkilâti, (Ankara, 1984) p.p. 394-395.

والبرتغالي ، وفي عام 1532 كان عدد قطع أسطولها يتكون من ثمانين سفينة ، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر ، زادت أهمية هذا الاسطول بعد أن زاد الخطر البرتغالي في المنطقة بحيث أصبح يملك من الكالبرات ثلاثين قطعة ، زيادة على السفن الاخرى وهي كثيرة (1) .

الى جانب هذه الترسانات الهامة ، هناك أخرى عديدة لا تقل أهمية عنها ، وتوجد في أماكن مختلفة من سواحل البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط ومنها الجزائر .

الى غاية أواسط القرن السابع عشر ، كانت العادة أن تبنى في كل سنة أربعون سفينة ، الا أن العثمانيين تخلوا عن هذه العادة فيما بعد .

بعد معركة ليبانت *، وفي ظرف خمسة أشهر فقط تم بناء أسطول جديد يزيد عن مائة وخمسين قطعة بحرية وقد بني في الاماكن التالية : غاليبولي ، اسطمبول ومناطق أخرى قريبة منها وهي :
وزي Vezi ، أهيولو Ahyolu ، سوزي بولو Süzebolu ، مديجي Midije ، كفكان Kefken ، سلستري Silistri ، سمندرو Semendire ، صمصون Samisun ، سينوب Sinope ، بيجا Biga ، فارنا Varna ، ازميت Izmit ، كمليك Gemilik ، يالوفا Yalova ، أرودس Rodos ، أنطاليا Antalya ، بارقاز Bargaz ، أقيلو Akyalu **

(1 Idem, p.p. 396-397.

*) انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني

** كانت الاشرعة والمجاديف والمراس والزفت ... تقدم من طرف نظام (أوجاقلق Ocaklik) ومعنى هذا أن كل منطقة معينة مطالبة بتقديم سلعة معينة للترسانة لبناء السفن ، فكانت مثلا جزيرة تاسوس مطالبة بتقديم خشب الصنوبر .

كـان الخشـب يؤخـذ من الغابات القريبـة ،والعمـال يوظفون من نفس المناطق ان وجـدوا * فبعد لفيـانت مثلا أعطيـت الاوامر لسينوب (على البحر الاسود) لبناء 19 قادرغه و3 قطع من باشترد Bastarde وواحدة لنقـل الخيول (at gemisi) ،وجلب لهـا الخشب من صمصون والعمـال من طرابزون وباتون • وكان على انطاليا بناء ثلاث عشرة سفينـة وعلى سوزي بولوس Süzebulus بناء خمس وعشريـن سفينـة وفارنـا خمس سفـن وصمصون خمس كذلك ،أما كافتان فعلى مطالبة ببناء خمس عشرة ، وكيسر بعشر سفـن ،وكانت سنديري مطالبـة ببناء مائتي سفينة من الحجم الصغـير • كما بنيت سفـن أخرى عـديدة في مناطق مختلفـة (1)

يصف شالكونديل Chalcondyle في كتابه السـابق الذكر (تاريخ الاتراك) الجزء الثـاني ترسـانة اسطمبول فيقـول : ((ان الترسانـة هي من أجمـل وأروع الاشياء الموجودة في اسطمبول • توجد على شاطئ البحـر وتحتـوي على 180 ** وحـدة بنـاء سفـن ،في داخـل كل واحـدة منها تـدخـل سفينة كبيرة ،بل يمكن أن تـدخل ثلاث سفن من هـذا النـوع • وبلـغ عـدد العمـال في هـذه الترسانـة 46 ألف عامل • الا أن قوتها الكبـيرة تكمـن في النظـام الموجود بهـا ،وتوجـد بهـا دائمـا حـوالي ثمانـين

---

* كانت أنطاليا تأخذ خشبها من أليي Alaiye و باياس Payas ،أمـا ترسانة اسطمبول فتأخذه من قوجايلي Kocaeli وبورسه وتشالجا سليفري وسينوب• •كان سنجاق قوجايلي بالنسبة لترسانة اسطمبول يسمى Kereste Ocak ligi) أي أرجاق الخشب• أما بالنسبة للعمال البسطاء فكانوا يجندون في نفس المناطق •

— Ismail Hakki,op.cit.p.p.448-450

— Chalcondyle,T.II,p.p.I28-I29

(1 Ismail Hakki,op.cit.P.P. 445-446

انظـر كذلك مهمة دفـتري رقم 5 ،ص: 22 ،رقم 10 ،ص: 101 ،107 ،117 ،118 ،119 ،129 ،130 ،140 ،141 ،152 ،165 ،171 ،204 ،231 ،245 ،268 ،271 ،مهمـة دفـتري رقم 12 ،ص: 3 ،20 ،23 ،26 ،111 ،114 ،119 ،120 ،125 •

** 120 عنـد : B.Bennassar,J.Jacquart,le 16°siécle, Collection,U.(Paris Armond collin,1972),P.239.

سفينة من الحجم الكبير (كاليرا) مجهزة أحسن تجهيز، ومستعدة للاقلاع في أي وقت))، (1)

بالنسبة لكبار المسؤولين في الدولة العثمانية بعد السلطان، يلاحظ أن معظمهم كانوا من العنصر المسيحي الذي اعتنق الاسلام، فالمعروف أن الاطفال الذين يجبون على شكل ضرائب من الولايات المسيحية كانوا يربون في القصر تربية خاصة، فيكون منهم كبار القادة وكبار الحكام والوزراء والولاة، ويضاف الى هؤلاء بعض القادة الذين اعتنقوا الاسلام بعد أسرهم من طرف السفن العثمانية ومن بينهم علج علي الذي هو موضوع هذا البحث، وقد وصل الى ثالث منصب في الدولة بعد كل من السلطان والصدر الاعظم**.

(1 Chalcondyle, T.II, p.8;

** الصدر الاعظم، لقب حمله منذ عهد سليمان القانوني رئيس الوزراء في الدولة العثمانية ويسمى أيضا "صدر عالي" و" صاحب دولت" و" دستور أكرم" ...

كان الصدر الاعظم يرأس الديوان، يعقد الاجتماعات الشهرية يستقبل كبار الموظفين مرتين كل أسبوع ويقوم بالتفتيش دوريا، وكان له الحق في أن يكون له 8 من حرس الشرف، و12 جوادا وسفينة فيها 13 زوجا من المجدفين ولها مظلة خضراء، ومن الحقوق الممنوحة له كذلك أن يمضي الى السلطان شخصيا في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل، في وقت الحرب يجوز له أن يكون القائد العام "سردار أكرم". (دائرة المعارف الاسلامية، ج14، ص162)

2– الصراع الدولي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط مع بداية القرن السادس عشر*

كان الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط في مطلع القرن السادس عشر محل نزاع بين الدولة العثمانية المسلمة والدول الاوربية المسيحية ، ومن أهم هذه الدول على الخصوص ، الدولة البندقية ، والدولة الاسبانية ، ومنظمة فرسان القديس يوحنا الموجودين على مقربة من الاراضي العثمانية في جزيرة رودس .

على الرغم من الانتصارات الكثيرة التي حققتها الدولة العثمانية على أعدائها في البحر الابيض المتوسط سواء في الحوض الشرقي منه أو الغربي فيما بعد ، الا أن عائقا كبيرا كان يقلل من نشاطها ويسبب لها أحيانا الفشل أو التراجع أو التخلي عن بعض المشاريع ضد الاعداء المسيحيين ، ويتمثل هذا العائق في الدولة الفارسية الموجودة على حدودها الشرقية ، ولولاها لكان من الممكن تغيير مجرى الاحداث كلية خلال القرن السادس عشر في منطقة البحر الابيض المتوسط .

في مطلع القرن السادس عشر ، كانت الدولة العثمانية تسيطر على أوربا الشرقية وآسيا الصغرى ، وعلى الجزء الاكبر من بلاد اليونان وبلاد البلقان ، وتمكنت بعد 1516 من فتح بلاد الشام ومصر ، وانضمت اليها الجزائر عام 1518 ووسعت بذلك أراضيها الى ثلاث قارات وهي : افريقيا وآسيا وأوربا ، وأصبحت تطل على البحر الاحمر ، والبحر الاسود ، والبحر الابيض المتوسط .

كانت الدولة البندقية دولة تجارية بالدرجة الاولى ، وكانت

* للتوسع في هذا الموضوع انظر : F.BRAUDEL, La Mediterranée et le monde mediterranéen au temps de Philippe II, T.II, 2eme édition, (Paris, 1966).

قد رفضت "الحماية الاسبانية " ، لأن اسبانيا شديدة العداء للعثمانيين ، أما مصالحها هي فكانت جهة الشرق ، أى في التجارة الهندية وفى البحر الاحمر والخليج العربى ، لذا فضلت مهادنة الدولة العثمانية على محاربتها . أما دولة نابولى وجنوه وفلورانسا ، وكذلك دولة البابا ، فكانت تسير فى فلك الامبراطورية الاسبانية ، وبذلك تبقى فرنسا هي الدولة الوحيدة المطلة على الحوض الغربى للبحر الابيض المتوسط التى كسبت صداقة الدولة العثمانية خلال النصف الاول من القرن السادس عشر ، أى عهد فرانسوا الاول وسليمان القانونى .

فى وسط هذه الدول المتحاربة تحت رايات " وطنية " ظهرت خلال القرن السادس عشر قوة أخرى تعمل لحسابها الخاص سواء عند المسلمين أو عند المسيحيين ، وهي تعمل مستقلة أحيانا عن هذه الدول ولكنها كانت تنضم اليها عند الضرورة ، وهذه القوة التى كان لها الدور الفعال فى اذكاء الصراع البحرى هي قوة القراصنة ، وقد اشتهر منهم عند المسيحيين فرسان القديس يوحنا * وعند المسلمين الاخوان عروج وخير الدين ** اللذان تخرج علج علي فى مدرستهما .

كان البحر الابيض المتوسط يزخر بالقراصنة ، فالمسيحيون كانوا يتمركزون فى رودس (ثم مالطة) وباليرم ومسينة وترابانى ومالقة والمرية وفلانس وكذلك فى بحر الادرياتيك . أما المسلمون فكانوا يتمركزون فى فالونا ودورازو وفى الادرياتيك وطرابلس وتونس

* انظر : C.E.ENGEL, L'ordre de Malte en Méditerranée (I530-I798), (Monaco, éd.du Rocher, I957).

** انظر : - كتاب الغزوات لمؤلف مجهول .
- تحفة الكبار فى اسفار البحار لحاجى خليفة ، وهناك كتابات كثيرة حول الموضوع .

وسنزرت وتيطوان والعرائش والجزائر وسالى ! ... (1)

منذ أن أصبحت الدولة العثمانية دولة بحرية ، وجهت أنظارها ناحية الغرب خاصة الى الجزر المهمة فى البحر الابيض المتوسط وعلى رأسها جزيرة رودس وكذلك قبرص وكريت ، كما اهتمت بالبلاد الاسلامية المطلة على الحوض الشرقى للمتوسط كتونس وليبيا ومصر والشام ، وقد وجه السلطان سليم الاول حملة ضد بلاد الشام عام 1516 ، وكانت تابعة لمصر ، ولما سمع بذلك قانصوة الغورى حاكم مصر ، سار هو الآخر بجيشه لصدها ،فانهزم فى معركة مرج دابق شمال غرب حلب يوم 25 رجب سنة 922 هـ/ 24 أوت 1516 (2)

واصل السلطان سليم زحفه نحو القاهرة ،وبعد معارك عنيفة بين العثمانيين والجيوش المصرية بقيادة طومان باى الذى انتخبه المماليك خلفا لقانصوة الغورى ، انتصر العثمانيون ودخلوا القاهرة يوم 8 محرم 923 هـ /31 يناير 1517 (3) .

ومما جعل لفتح مصر أهمية تاريخية عظمى تنازل محمد المتوكل على الله + آخر خلفاء الدولة العباسية عن حقه ** فى الخلافة الاسلامية للسلطان سليم الاول العثمانى وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق ، والسيف ، والبردة ، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين (4)

I) B.Bennassar, J.Jacquart, op.cit.p.240.

2) محمد فريد ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق ، احسان حقى ، (بيروت ،دار النفائس ،1983م) ،ص. 192 .

3) نفسه ،ص. 193 ، كذلك محمد أنيس ،المرجع السابق ،ص.ص. 108 — 111 .

+ التجأ أجداده الى مصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر الخلافة العباسية فى قبضة هولاكو عام 656 هـ/1258م ،وكانت له الخلافة بمصر اسميا فقط .

** كثيرون هم الكتاب الذين انتقدوا هذه الفكرة ،ورفضوا قضية التنازل هذه خاصة منهم الكتاب العرب ونذكر منهم على الخصوص محمد أنيس فى المرجع السابق ص.ص. 115—117 .

4) محمد فريد ،المرجع السابق ، ص194 .

ورثت الدولة العثمانية تركة ثقيلة عن المماليك وكان أهمها مسألة تحويل طريق التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح ، والانهيار الاقتصادي الذي حدث في المنطقة العربية نتيجة هذا التحول والتفوق البرتغالي في منطقة الخليج العربي ، ومواجهة الخطر البرتغالي في البحر الاحمر الذي استفحل أمره بعد تحالف البرتغال مع الحبشة ، لذا فان العثمانيين لم يقطعوا المسافات الطويلة عبر الصحاري والهضاب من اسطمبول الى بلاد الشام ثم مصر في حملات عسكرية مضنية سعيا وراء محاربة البرتغاليين ولكن الحرب ضد البرتغاليين هي التي فرضت نفسها على العثمانيين بعد أن وصلوا الى هذا المدى في التوسع الاقليمي ، وبلغوا مصر والحجاز وهما اقليمان يطلان على البحر الاحمر (1) .

كان أول اتصال عثماني بليبيا عن طريق رياس البحر (أي لم يكن اتصالا رسميا) ، وقد هيأ هؤلاء الظروف الملائمة للدولة العثمانية لتوسيع سلطتها الى السواحل الافريقية في كل من ليبيا وتونس والجزائر بشكل خاص . ويعود أول اتصال لهم بهذه المناطق الى أواخر القرن الخامس عشر ، أي منذ طرد المسلمين من الاندلس (2) . وبعد أن اشتد خطر الاسبان في المنطقة خصوصا بعد 1492 ،+ استنجد سكان سواحل افريقيا والاندلسيون بالدولة العثمانية ، وهكذا بدأت العلاقة بين الدولة العثمانية والسواحل الافريقية ، ومما سهل هذه العلاقة ، وجود الرياس العثمانيين ، وكان على رأسهم عروج وخير الدين .

في عام 1510 ، استولى القائد الاسباني بدرو نفارو على ليبيا

وفي عام 1512 ظهرت الاشارات الاولى الى وجود السفن العثمانية

---

1) عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص ص 592 - 593 .

2) ايتوري روسي ، <u>ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911</u> ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، (بيروت ، دار الثقافة ، 1974) ، ص 155

+ بعد سقوط الاندلس عام 1492 ، خرج المسلمون الى شمال افريقيا ، فخرج =

التي أخذت تهدد طرابلس التي لم يمض على احتلالها من قبل الاسبان سوى زمن قليل ، ومنذ ذلك التاريخ اشتد نشاط الاخوة بربروس في المنطقة (1) .

في سنة 1510 ، وضع الاخوان عروج وخير الدين نفسيهما في خدمة السلطان محمد الحفصي بتونس ، وحصلا منه على الاذن باستخدام حلق الوادي قاعدة لعملياتهما مع الالتزام بتقديم خمس الغنائم الى السلطان ، وكان النشاط الكبير الذي أبداه الرياس العثمانيون قد زاد من صعوبة الوضع وتعقيده بالنسبة للاسبان في افريقيا ، وكانت طرابلس نفسها تعاني أوضاعا سيئة . ففي سنة 1526 ، فر أحد الشيوخ * الذين وثق فيهم الاسبان في المدينة ، وانضم الى الثوار بتاجورة ** وساد الخوف من هجوم متوقع يقوم به الاسطول العثماني ، وترددت في أكثر من مرة شائعات خلال الفترة الواقعة بين 1517 و 1529 عن ارسال حملات ضد الاسبان في طرابلس (2)

كان الرياس العثمانيون قد أقاموا قاعدة في تاجورة ، وكان حاكمها

ـــ الاسبان وراءهم راحتلوا بعض المواني في شمال افرقيا قصد منع هؤلاء المسلمين من العودة الى الاندلس ، من جهة ، وتوسيع أراضي الدولة من جهة أخرى ، خاصة) وأن العالم الاوربي في هذا الوقت كان يعيش سباقا لا مثيل له لاحتلال أكبر عدد ممكن من المستعمرات .

1) روسي ، المرجع السابق ، ص ص 155_156 .

* لم أتمكن من تحديد اسم هذا الشيخ بسبب عدم ذكره في المراجع التي عدت اليها .

** يصفها حسن الوزان فيقول : ((تاجورة ، بادية على بعد نحو ثلاثة أميال شرق طرابلس ، وتوجد فيها عدة قرى مع بساتين مغروسة بالنخيل وغيره من الاشجار المثمرة ، وقد عادت خصبة بعد سقوط طرابلس ، لان عددا كبيرا من المدنيين لجأوا اليها)) . المرجع : حسن الوزان المعروف بليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية ، محمد حجي ومحمد الاخضر ، ج 2 ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، 1983) ، ص ص 110_111 .

2) روسي ، المرجع السابق ، ص ص 157_158 .

يسمى خير الدين ، وكان خير الدين بربروس يزود هذا الحاكم بالسلاح والجنود ، وأقام هذا الحاكم بها قلعة لحماية ثغرها الذي كانت تأمه وترسو به سفن الرياس . وقد استطاع خير الدين حاكم تاجورة أن يشيد برجا بها يسمى "برج القيادة" على مقربة من قلعة تاجورة .

في عام 1536 ، وقع هجوم اسباني على البرج المذكور سابقا ، واستولوا عليه بعد أن هزموا حاكم تاجورة خير الدين ، ويحتمل أن يكون قد قتل في تلك الاثناء ، ولم يظهر له أثر منذ ذلك الوقت ، وقد ظهر مكانه عام 1539 ، حاكم جديد يسمى مراد آغا * زعيما وقائدا للثوار (1) .

اشتد الصراع على طرابلس بين العثمانيين والاسبان خلال هذه الفترة الى أن تم الاستيلاء النهائي عليها عام 1551 كما سيأتي في الفصل الثاني .

بالنسبة لتونس ، وعلى الرغم من الاتصال المبكر للرياس بها الا أن استقرارهم بها كان متأخرا ، فبعد مرور عروج وخير الدين بتونس قبل وصولهما الى الجزائر ، تخوف السلطان الحفصي منهما ورفض السماح لهما بالبقاء فيها ، مع العلم أنه سمح لهما بذلك من قبل ، أي قبل أن يشتد بأسهما ويصبح اسمهما منتشرا في جميع أنحاء البحر الابيض المتوسط ، ويبدو أنه قد خاف منهما ، بحيث رفض تزويدهما بالبارود عام 1514 عندما كانا يحاصران بجاية (2) وكان هذا

---

* مراد آغا ، خصي من زاقورة ، خبير بفنون الحرب ، اشتغل مع خير الدين وشاركه في الهجوم على ايطاليا عام 1539 ، وكان قد ألح على خير الدين في القيام بالاستيلاء على طرابلس الا أن ذلك لم يحدث الا عام 1551 .

1) روسي ، المرجع السابق ، ص ص 164 - 165 .

2) حاجي خليفة ، تحفة الكبار في أسفار البحار ، صورة لمخطوط عند الدكتور ب . كابورال ، ص 16 .

من جملة العوامل التي أخرت أخذ هذه المدينة من يد الاسبان الى غاية سنة 1555 على يد صالح رايس، ولو أن حسن الوزان يرجع السبب الى أن القبائل الجبلية التي هبت لنصرته في البداية، تخلت عنه بدون استئذانه لزرع الحقول (1) .

عاد خير الدين واستولى على تونس عام 1534 وهرب منها السلطان الى الاسبان بحلق الوادي، الا أن شارلكان لم يلبث أن أعاده الى عرشه بعد سنة واحدة فقط.

برز درغوث رايس ليلعب دورا بارزا في أحداث الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر، خاصة المتعلقة منها بتونس، وقد ارتبط اسمه بها طوال المدة المتراوحة ما بين 1540 تقريبا الى غاية وفاته عام 1565.*

هذه نظرة سريعة على ما يتعلق بالقسم الجنوبي من الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط . أما القسم الشمالي منه فنجد أن الدولة العثمانية لم تتوسع كثيرا فيه خلال القرن السادس عشر باستثناء استيلائها على جزيرة رودس على حساب فرسان القديس يوحنا عام 1522 ومن قبل ذلك بلغراد عام 1521 .

بالنسبة للقسم الاوربي اذن يمكن القول فيه أن الدولة العثمانية غيرت من سياستها خلال القرن السادس عشر، بحيث أوقفت زحفها عليه واهتمت أكثر بالناحية الشرقية، وتحول موقفها في أوربا الى موقف دفاعي أكثر منه هجومي، أما في الشرق فقد فتحت جبهات عديدة كما تمت الاشارة الى ذلك . ولكن أكثر الجبهات خطورة على الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر، هي جبهة الدولة الصفوية الشيعية التي رفضت أن تكون على حدودها دولة سنية قوية .

---

1) حسن الوزان، المرجع السابق، ج 2، ص 39.

*انظر المبحث الاول من الفصل الثاني .

من أهم الاحداث التي وقعت في القسم الاوربي خلال القرن السادس عشر هو استيلاء العثمانيين على جزيرة رودس في عهد سليمان القانوني عام 1522، وطرد فرسان القديس يوحنا ، ((لأنهم مابرحوا منذ أيام الحروب الصليبية منتصبين بمثابة رأس الحربة المسيحية في أقصى الشرق ضد الاسلام)) (1) . لكن من هم هؤلاء الفرسان ، ومتى جاؤا الى رودس ومن أين ؟

يعتبر فرسان القديس يوحنا من بقايا الحروب الصليبية ، وقد تأسست هذه المنظمة عام 1099م من طرف أحد الفرسان الفرنسيين ، وكانت مهمتها في البداية هي علاج الحجاج المسيحيين في بيت المقدس ، وسرعان ما أخذت تهتم بحماية الطرق التي يسلكها هؤلاء الحجاج اليه ، وهكذا تحول هؤلاء الفرسان من رهبان الى عسكريين ، وشاركوا في جميع الحروب الصليبية وكلفهم ذلك خسائر كبيرة ، خصوصا في الارواح . وفي عام 1309م التجأوا الى رودس بعد أن تم طردهم من فلسطين وأخذوا هذه الجزيرة من الاتراك ، وجعلوها مقرا جديدا لهم حيث شيدوا مستشفيات وحاولوا منها حماية ما تبقى من المسيحية في المنطقة الشرقية (2) .

شعر العثمانيون بخطورة هؤلاء الفرسان ، فقرر السلطان محمد الفاتح عام 1480م محاصرة الجزيرة لفتحها واستخلاصها منهم ، الا أن الحصار الذي دام ثلاثة أشهر انتهى دون أن يحقق أية نتيجة (3) .

في عام 1522م ، أرسل السلطان سليمان القانوني حملة بحرية لاستخلاص جزيرة رودس من جديد ، وكان رئيس الفرسان في هذا الوقت هو فليب دي فيلي دي ليل آدام Phlippe de Villiers de l'Isle-Adam *الذي قام بهجوم كبير لصد الحملة العثمانية ،

---

1) هربرت فيشر ، أصول التاريخ الاوربي الحديث ، من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، ترجمة ، زينب عصمت راشد ، أحمد عبد الرحمن مصطفى ، أحمد عزت عبد الكريم ، (مصر ، دار المعارف ، 1965) ، ص 90

2) C.E.Engel, op.cit.pp.21-22.

3) محمد فريد ، المرجع السابق ، ص 176

* هو رجل فرنسي الاصل ، ولد عام 1464 ومات عام 1534 .

الا أن قوة المسلمين هذه المرة كانت أكبر من أن تقاومها منظمة الفرسان ، لأن السلطان العثماني انتهز ظروفا دولية كانت لصالحه ، تتمثل في انشغال ملوك الدول الاوربية في جهات أخرى تمنعهم من مساعدة الفرسان *، وكانت الفرصة مواتية فعرف سليمان القانوني كيف يستغلها ويستأصل الفرسان نهائيا (1) .

التجأ الفرسان بعد خروجهم من رودس الى مناطق مختلفة في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط باحثين عن مستقر جديد لهم ، وفي الاخير توقف بهم المطاف في جزيرة مالطة التي وافق شارل الخامس منحهم أياها منذ شهر ماي 1530 . وقد حاولت

---

* كان ملك فرنسا ، فرانسوا الاول (1494-1547) وشارل الخامس ملك اسبانيا منشغلين بمحاربة بعضهما ، فكان فرانسوا الاول يدعي أن له حقوقا على ولاية ميلانو بايطاليا من جهة جدته ، فبمجرد توليه العرش عام 1515 ، سار اليها لفتحها فانتصر . لما انتخب شارل الخامس ملك اسبانيا امبراطورا لالمانيا وما يتبعها بعد موت مكسمليان جده لأبيه في سنة 1520 ، ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا الاول بسبب ادعاء كل منهما الاحقية على ميلانو ، فانتصر شارل الخامس عليه عدة مرات . وفي عام 1525 أخذ فرانسوا الاول أسيرا الى اسبانيا ، ولم يفرج عنه الا بعد أن أمضى معاهدة بكل ما طلبه شارل الخامس ، وكان هذا الحدث من أهم العوامل التي قربت بين فرنسا والدولة العثمانية فيما بعد . وكان البابا ليو العاشر (1513-1521) منشغلا بمقاومة ومجادلة لوثر (1483-1546) مؤسس المذهب البروتيستانتي ، وبلاد المجر مضطربة في الداخل بسبب عدم اتفاق أمرائها وصغر سن ملكها لويس الثاني ، وقد ولد هذا الملك عام 1506 وتولى عرش المجر وبوهيميا عام 1516 ، واستمر كذلك الى غاية وفاته عام 1526 . أما البندقية القريبة من رودس والتي كان يمكن أن تساعد فرسان القديس يوحنا ، فقد كان السلطان سليمان القانوني قد جدد معها معاهدة السلم بتاريخ 11 محرم 928هـ الموافق ليوم 11 ديسمبر 1521 . عن هذا الموضوع انظر:

J.DeHammer, <u>Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'a nos jours</u>, traduit de l'Allemand par, J.J.Hellert, T.I7, (Paris, Bellizard Berthes, Dufont et Lowell, I84I), p.I5

I) محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ص 203-205 ، كذلك Engel, op.cit.p.23

اسطمبول الاستيلاء عليها عام 1565، الا أن الحصار الذي دام شهورا منى بالفشل بعد وفاة درغوث رايس*.

في عام 1521، كان سليمان القانوني قد استولى على بلغراد، وفي يوم 25 أفريل 1526، خرج السلطان على رأس حملة عظيمة لمحاربة المجر، تتكون من مائة ألف جندي و300 مدفع و 800 سفينة** في نهر الدانوب لنقل الجيوش، وفي طريقه، مر ببلغراد التي أصبحت قلعة متقدمة للعثمانيين. وبعد أن فتح عدة قلاع ذات أهمية على نهر الدانوب وصل الى وادي موهاكس Mohacs في 20 ذي القعدة 932هـ الموافق ليوم 28 أوت 1526م، وفي اليوم الثاني جرت معركة فاصلة سحق فيها الجيش العثماني القوي بمدافعه، الجيش المجري، فقتل معظم أفراد الجيش بما فيه الملك الشاب لويس الثاني، ولم يعثر على جثته. لذلك أرسل سكان العاصمة بود Bude مفاتيح المدينة الى السلطان فاستلمها وسار اليها ودخلها يوم 10 سبتمبر 1526، وعين سليمان القانوني جان زابولي Jean Zapolya أمير ترانيلفانيا ملكا على المجر(1).

بعد خروج فرسان القديس يوحنا من رودس، يمكننا القول ان الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط أصبح حوضا عثمانيا على الرغم من وجود دولة البندقية ذات الاسطول القوي الا أن هذه كانت متصالحة مع اسطمبول بمعاهدة سلم كما تمت الاشارة، كما أن جمهورية راجوزة Raguze*** القريبة من البندقية كانت لها هي الاخرى علاقات حسنة مع الدولة العثمانية، فكانت تدفع الجزية لها مقابل تمتعها بالحرية التجارية في المنطقة، وكانت لها معاهدات تجارية مع

* انظر المبحث الاول من الفصل الثاني.

** لابد أنها كانت من الحجم الصغير لان الاسطول العثماني لم يحدث أن وصل الى هذا العدد في هذه الفترة.

1) محمد فريد، المرجع السابق، ص ص، 210-214 وكذلك:

Bennassar, Jacquart, op.cit.p.244.

*** على الادرياتيك غرب يوغوسلافيا الحالية.

العثمانيين ،كما أنها لم تنضو تحت الراية الاسبانية ،ولذا نلاحظ أن السيطر الحقيقي على الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ،هو الدولة العثمانية ،وحتى جزيرة قبرص التي كانت تحتلها البندقية مقابل عشرة آلاف دوكا تدفعها للدولة العثمانية، استولت عليها هذه في عام 1571 كما سيأتي الحديث مفصلا في الفصل الثاني .

لما شعرت الدولة العثمانية بعظمة قوتها في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط ،وسعت نفوذها الى الحوض الغربي - كما سيأتي في المبحث القادم - ومما ساعدها على مد نفوذها الى هذا القسم من المتوسط ،دخول الجزائر تحت رايتها عام 1518 على يد خير الدين بربروس . وقد ساعدها وجودها في الجزائر من تقوية نفوذها في الحوض الغربي ،بحيث تمكن خير الدين عام 1534 من الاستيلاء على تونس ولوالي حين ،كما أن وجود أسطول جزائري قوي ساهم في تكثيف الهجومات على الشواطئ المسيحية في إيطاليا بشكل خاص وكذلك في الادرياتيك . كما لعب الرياس الذين كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص في هذا الوقت دورا كبيرا في اضعاف القوة المسيحية بالمنطقة ،ويوجد على رأس هؤلاء درغوث رايس الذي تكون على يده علج علي ،وقد اشتغل درغوث مدة طويلة لحسابه الخاص قبل أن يلتحق بالدولة العثمانية وتعيينه في وظيفة رسمية ،ولكن على الرغم من كون هؤلاء الرياس كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص ، الا أن المستفيد الاول من نشاطهم هي الدولة العثمانية ،كما أن الدول الأوربية لم تكن تفرق بين نشاط الاثنين ،فكانت تنظر اليهما فقط على أنهما أتراك ،مسلمون ،وقد شعرت دويلات ايطاليا خاصة والامبراطورية الاسبانية عامة ،بخطورة الوضع بعد انتقال النشاط العثماني الى الحوض الغربي من المتوسط ،وكان السبب

المباشر لوصول نشاط هؤلاء الى المنطقة ،ما جرى لمسلمي الاندلس بعد عام 1492م ،فهب كثير من رجال البحر المسلمين لنجدتهم ،وكان وصول عروج وخير الدين الي المنطقة من أهم الاسباب التي فتحت الطريق رسميا أمام الدولة العثمانية لتضع أقدامها فيها ،وذلك بدخول الجزائر تحت رايتها عام 1518م .

3- توسع الدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط وعلاقاتها بكل من اسبانيا وفرنسا

في عام 1492 سقط آخر معقل للاسلام بالاندلس، فبدأ نزوح المسلمين من هناك الى بلدان المغرب العربي، واستقروا خاصة بالمناطق الساحلية وهاجر البعض منهم الى البلاد المشرقية .

بسقوط دولة المسلمين بالاندلس، أصبحت الدولة الاسبانية على مقربة من البلاد الاسلامية في شمالي افريقيا، وأصبح مضيق جبل طارق غير كاف كحدود بين دولة مسيحية فتية قوية في الشمال ودول مسلمة ضعيفة مشتتة متحاربة في الجنوب، ولهذا فكرت الدولة الاسبانيه وهي تعيش نشوة الانتصار على المسلمين في توسيع حدودها الى ماوراء البحر، وضم أراض جديدة في المنطقة لتصبح قواعد جديدة تنطلق منها نحو الداخل للقضاء علي أي محاولة يمكن أن يقوم بها هؤلاء المسلمون لاسترجاع دولتهم في اسبانيا، ومما ساعدها على تنفيذ مخططاتها هو أن العالم الاوربي آنذاك كان يعيش سباقا لا مثيل له من أجل تكوين امبراطوريات واسعة بعد أن نشطت حركة الاكتشافات الجغرافية، فتسابقت كل من اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا وهولندا، ودول أخرى فيما بعد، من أجل الاستيلاء على أراضي واسعة في كل من افريقيا وآسيا والعالم الجديد الذي اكتشف حديثا .

كان التعصب الديني، والرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الاسلام يدفع الاسبان منذ أواخر القرن الخامس عشر، وطوال القرن السادس عشر الى التدخل في البلاد الاسلامية بشمال افريقيا (1)، وكان فرديناند

---

(1) F.Braudel,'Les Espagnols et l'Afrique du Nord de I492àI577), in Revue Africaine, T.69, annèe I928,pp.I98-I99.

وايسزابــلا * Ferdinand et Isabelle شــديدي التعصــب الديني ،فقـررا مطـاردة المسلمين الى مـا وراء حـدود اسبـانيـا ،ومحاربة مسلمي شمال افريقيـا الـذين كانـوا يقـدمون يـد المسـاعـدة لاخـوانهم بالانـدلس (1) • فخـرجت القـوات الاسبـانية منـذ مطلـع القرن السـادس عشـر لاحتـلال مختلـف المـواني' الجـزائرية والتونسيـة والليبيـة ،وكذلك فعلت البرتغـال بالشـواطي' المغربيـة **•

يقول بروديل :((ان الحـروب الاسبـانية في افريقيـا قـد أخـذت صبغـة الصليبيـة الحقيقيـة ،وذلك نظـرا للـدور العظيم الـذي قـــام بأدائـه رجـال الكنيسـة والكهنـوت ،فالكنيسـة بأسبانيـا قـد سـاهمـت بجميع ما لـديها من الحمـاس ومن الجـرأة في هـذه المعـركة ضـــد المسلمـين ، بل ان الكنيسة قـد أرادت في الكثـيرمن الاحيـان اعتبـار هـذه المعـركة ،معـركة خـاصة بهـا)) • (2) وفي هـذا الاطار تم احتـلال كل من المـرسى الكبيرعام 1505 و وهـران 1509 وبجـاية مع طرابلـس عام 1510 والجـزائرعام 1511 ،وتم في هـذه السنـة كذلك الاستيـلاء على دلس ومستغـانم وشرشال ••• *** وتم احتلال كـذلك بعـض المـواني' المغربيـة منهـا المطـل على الاطلسي والمطـل على البحـر الابيض المتوسـط•

تتمثـل أهـداف هـذا الاحتـلال في قطـع الطـريق أمـام المسلمين الفارين

(1 H.De Castries, Les Sources inèdites de l'stoire de Maroc,T.I,(Pub.de la section hist.du Maroc, 1922),p.I.

** عقدت اسبانيا والبرتغال عام 1509 معاهدة في مدينة فياز فرنكا بايطاليــا تقتضي أن يكون المغرب الاقصى للبرتغال والجزائر وتونس للاسبان، المرجـع : أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، (الجزائـر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976) ،ص 33

(2 Braudel,Les Espagnol et l'Afrique...p.201

*** للتوسع في هـذا الموضوع انظر،المدني ،المرجع السابق ،وكذلك بروديـل ، المرجع السابق ،ص: 201_203

---

* فرديناند (1452ـ1516) ملك أراغون تزوج عام 1574 بايزابلا (1451ـ1504) ملكة قشتالة ،وبزواجهما توحدت مملكة أرغون ومملكة قشتالة في دولة واحدة قوية تمكنت من اسقاط آخر دولة مسلمة ببلاد الاندلس•

من الاندلس وعزلهم داخل اسبانيا • ويتمثل برنامج الاسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالاسبان وجعلها مدنا مسيحية (1) لأنه بغير هذه الطريقة يصعب على الاسبان الاحتفاظ بهذه المستعمرات أمام الخطر المحدق بها من طرف المسلمين •

ومن الطرق العجيبة التي استعملها الاسبان لتعمير هذه المدن أو المستعمرات ، أنه اذا ارتكب شخص جريمة قتل في اسبانيا ، فانه بامكانه أن يكفر على ذنبه بالموافقة على العمل في أي مركز اسباني بشمال افريقيا ولمدة شهرين بدون مرتب (2) أي يعيش خلال هذه المدة على حسابه الخاص ، ويكون بذلك قد أخذ جزاءه •

والملاحظ أن نفقات اسبانيا على هذه المستعمرات كانت تغطيها من نفس المنطقة عن طريق الضرائب التي تفرضها على السكان ، وبذلك كان يسهل عليها التحكم فيها (3) •

نلاحظ اذن أن مطلع القرن السادس عشر في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط كان يختلف اختلافا كليا عن الحوض الشرقي • ففي الوقت الذي كان المسلمون يترسمون في المشرق على حساب المسيحيين ، حدث العكس في الغرب ، وبعبارة أخرى نقول ان الاسلام كان يتقدم شمالا في الشرق ، وكانت المسيحية تزحف جنوبا في الغرب ، وكان الصراع على أشده على حدود الجبهتين في الشرق والغرب معا •

وفي الوقت الذي كانت الاحداث تتطور لصالح المسيحية في هذه المنطقة ، ظهر في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط عروج

(1 De la Primaudie, (Les Espagnols en Afrique), in, Revue Africaine, T.19, année, 1875, p.70

(2 Idem, p.67

(3 Idem, p.71

وخير الدين ، وهما من أشهر الرياس الذين عرفهم القرن السادس عشر ، وربما كانا أشهر الرياس الذين عرفهم البحر الابيض المتوسط في مختلف العصور.

بعد أن تمكن عروج وخير الدين من استخلاص مدينة الجزائر* من الاسبان توجها نحو الغرب لطرد هؤلاء من مختلف المناطق التي كانوا يحتلونها . وأثناء ذلك ، قتل عروج في احدى المعارك بضواحي تلمسان عام 1518م وخلفه أخوه خير الدين ، فتمكن هذا من ضم الجزائر الى الدولة العثمانية كما هو مفصل في مختلف المراجع**

---

* اتصل بهما سكان الجزائر عندما كانا في قاعدتهما بمدينة جيجل ، وطالبوا منهما أن ينقذوهم من الاسبان الموجودين في حصن البنيون أمام مدينتهم ، فلبى الاخوان هذا الطلب وقدما الى الجزائر ولو أن الحصن الاسباني لم يسقط بيد خير الدين الا عام 1529 .

** أحيل القارئ الى أهم الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع بالتفصيل ، ولا نرى داعيا للاطالة فيه :

أ ـ ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس . ابن أبي الضياف ، اتحاف أهل الزمان . المدني ، حرب الثلاثمائة سنة .. عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج3 . شارل أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ج2 ، جون وولف ، الجزائر وأوربا ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ...

ب ـ Haëdo, Hist. des rois d'Alger, de Grammont, Hist. d'Alger sous la domination turque, Mercier, Hist. de l'Afrique septentrionale, T.3, Sami Ilter, Şimali Afrika da Türk ler, T.I, Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen au temps de Philippe II, T.II, Albert Prieur, Les Barbarousses corsaires et rois d'Alger, Fuad Carim, Cezayir de Türk ler, Defontin-Maxange, Alger avant la conquête, Eudj Ali, C.Hess, The Forgotten frontier. A history of the sixteenth centry, Hammer, Hist. de l'Empire Ottoman, T.5....

في عام 1518م ،عينت اسطمبول خير الدين بربروس في منصب بايلرباي (باي البايات) الجزائر ،وزودته بألفي جندي وبعض الاسلحة والعتاد الحربي ،مع ترخيص له بتجنيد الجيش من بلاد الاناضول ، ومنذ هذا التاريخ ،بدأت المواجهة بين الدولة العثمانية والدولة الاسبانية في الحوض الغربي من المتوسط ،وهذا بعد أن امتدت حدود الدولة العثمانية الى هذه المنطقة البعيدة جدا عن اسطمبول .

تركز الصراع في المنطقة على نقاط محددة ،أهمها :المراكز التي احتلها الاسبان بالجزائر وهي :وهران* ،مستغانم ،بجاية حصن البنيون بالجزائر ،وكذلك في تونس الحفصية التي أصبحت هي الاخرى محل صراع منذ عام 1534 الى أن سقطت نهائيا بيد العثمانيين عام 1574 ،والى جانب هذه المناطق ،مناطق أخرى ساخنة وهي : جزر البحر الابيض المتوسط والشواطئ الاوربية بسبب رغبة العثمانيين والاسبان في السيطرة عليها خصوصا في الوقت الذي استنجدت فيه فرنسا بالعثمانيين عام 1543 ،ولا ننسى بعض المواجهات التي وقعت في المغرب الاقصى بين السعديين والاسبان والبرتغال وشارك فيها حكام الجزائر بجيوش معتبرة الى

* وقعت عدة محاولات من طرف الجزائريين لاسترجاع وهران خلال القرن السادس عشر ،الا أنها منيت بالفشل . وخلال القرن الثامن عشر تمكن مصطفى بوشلاغم عام 1708 في أيام حكم الداي محمد بكداش من استرجاع وهران ،ثم احتلها الاسبان من جديد عام 1732 ،ودام حكمهم لها الى غاية 1792 حين استرجعها نهائيا الداي محمد الكبير . عن هذا الموضوع انظر: التحفة المرضية في الدولة البكداشية ،محمد بن ميمون ، تحقيق بن عبد الكريم ، (الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والاشهار ،1972) وكذلك ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،لابن سحنون الراشدي ،تحقيق المهدي بوعبدلي ، (قسنطينة ،مطبعة البعث ،1973) ، وأخيرا ،أبوراس الناصري ،عجائب الاسفار ولطائف الاخبار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1632 و 1633 .

جانب السعديين . ومن أهم المناطق التي كانت مسرحا لمعارك عنيفة في شمال افريقيا بين العثمانيين والاسبان منطقة وهران التي شهدت محاولات عديدة لاسترجاعها من طرف حكام الجزائر خاصة أيام حسن بن خير الدين ، ومن أهم المعارك تلك التي عرفتها مستغانم عام 1558م ، وانتهت بابادة شبه كلية للجيش الاسباني وبموت قائده الكونت الكوديت ، وهي المعركة التي دامت ثلاثة أيام وخسر فيها الجيش الاسباني تسعة عشر ألفا بين قتيل وأسير ، من بينهم خمسون ضابطا (1) .

تمكن العثمانيون خلال القرن السادس عشر من تصفية جميع الجيوب الاسبانية في كل من الجزائر وتونس وليبيا ما عدا مدينة وهران التي فشلوا عدة مرات في استرجاعها .

هناك عوامل عديدة سهلت الغزو الاسباني لشمال افريقيا وهي تنقسم الى قسمين : داخلية وخارجية .

أ - العوامل الداخلية :

1 - أولها ضعف الدول المغربية الثلاث : الحفصية والزيانية والمرينية ، ودخولها في صراعات فيما بينها . فالزيانيون كانوا على خلاف مع الحفصيين حول السيادة على الشرق الجزائري ونفس الشيء حدث بينهم وبين المرينيين في القسم الغربي . وسمح هذا الضعف منذ القرن الخامس عشر بظهور امارات مستقلة عن الحكم المركزي ونذكر منها في الجزائر مثلا : امارة كوكو بجرجرة ، امارة بني راشد ، امارة بني عباس ، امارة بني جلاب بتوقرت ، وفي تونس ، يمكن ذكر امارة الشابية في القيروان .

---

1) أحمد بن سحنون الراشدي ، المرجع السابق ، ص 24 .

عند سقوط غرناطة ، كان ضعف دول المغرب يدعو - أو على الاقل - يسهل عملية التدخل الاسباني في المنطقة . ومما سهل مهمة هؤلاء كذلك جهل المسلمين باستعمال الاسلحة النارية . وكان العامل الوحيد الذي أخر عملية الاحتلال الكامل هو توافد مسلمي الاندلس بكثرة على شمال افريقيا مما كان سببا في نهضة دينية وبعث الحماس الديني ضد الاسبان (1) . ومما يؤكد هذا القول ، ماقاله فليب الثاني لسفير فرنسا في مدريد فوركوفو Fourqueveauls :

((يوجد في مدينة الجزائر خمسة عشر ألفا من حملة البنادق النارية ، منهم ستة آلاف من أصل اسباني ، أي مسلمي الاندلس الذين هربوا من هنا ، وهم عسكريون بارعون)) (2) . ويؤكد ذلك أحد الشعراء مخاطبا أهل وهران بقوله :

وان ضاع مرساكم فان ضياعه ضياع بلاد الله شرقا وقبلة
ولا يحم مرساكم ضعافرجالكم ولا البدو ، بل تحميه أهل الجزيرة
فان لهم بالضرب والطعن خبرة وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكة
عليكم بهم فاستعملوا في وصولهم اليكم ذا عقل وألطف حيلة
أخواننا في الله ألقوا مسامعكم ولا تهملوا ما أبرزته قريحة كذا) (3) .

2 - ضعف الحكام * (وهو السبب الاساسي في ضعف الدول على العموم) ، ودخلوا في صراعات عائلية بعد دخول العثمانيين والاسبان في المنطقة ،

(1 Braudel, LesEspagnols...p.2I2.

(2 Idem, p.358, note n° 2.

3) كعبة الطائفين ، مخطوط جزائري من القرن السابع عشر ، نقلا عن أبي القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، (الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1978) ، ص. 335 - 336

* كان ضعف الحكام سببا في توسيع النفوذ الاسباني ، وكان هؤلاء يلعبون على الحبلين ، فكانوا يساندون الاسبان تارة ، والعثمانيين تارة أخرى وفقا لمصلحتهم ، فمولاي محمد الزياني مثلا كان متحالفا مع العثمانيين ، حاول الرجوع الى الصف الاسباني عندما سمع بانهزام خير الدين في تونس عام 1535 علّه ينال بعض الغنائم ، وعله يستعيد مدينة الجزائر ، أنظر: De la Primaudaie, op.cit., T.20, p.24I.

اذ وقعت عدة انقلابات قام بها الابناء أو الاخوة أو الآباء على الحكام "الشرعيين" ، وحدث هذا في كل من تونس الحفصية وتلمسان الزيانية والمغرب المريني ثم السعدي *

3 — السهولة التي تمت بها السيطرة الاسبانية على المراكز الاولى في شمال افريقيا شجعتهم (الاسبان) على احتلال المزيد من الموانيء والمدن الساحلية .

4 — خلق الاسبان في البلاد بعد دخولهم اليها صفا مساندا لهم ، ويتكون من عنصرين مختلفين هما : الاول بعض الحكام الرسميين كالسلطان الحفصي مولاي حسن في تونس ثم ابنه أحمد ، والسلاطين الزيانيين الى غاية سقوط دولتهم . أما العنصر الثاني ، فيتمثل في بعض الاهالي كأفراد أو قبائل كانت تعمل مع الاسبان من أجل الربح المادي السريع ، وقد سهلوا عليهم بذلك الاقامة وكونوا منهم جواسيسهم . **

ب — العوامل الخارجية : وهي كثيرة أهمها ما يلي :

1 — اكتمال نمو الدولة الاسبانية ورغبتها في التوسع على حساب الدول الاسلامية . فقد ظلت الحرب قائمة بين المسيحيين والمسلمين في شبه جزيرة ايبيريا طوال المدة التي مكثها المسلمون في هذه البلاد ، وعملت الدول المسيحية في الشمال على تقوية جيوشها شيئا فشيئا في الوقت الذي انشغل فيه الحكام المسلمون بالخلافات الهامشية ، وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر كانت دولة قشتالة وعلى رأسها فرديناند ، ودولة أراغون وعلى رأسها ايزابيلا قد اتحدتا بعد زواج ،

* — في تونس خلع خير الدين مولاي حسن عام 1534 فأعاده شارل الخامس الى السلطة ، ثم ثار عليه ابنه مولاي أحمد عام 1542 فسجنه بعد أن سمل عينيه .
— في تلمسان ، دعم الاسبان مولاي محمد عام 1524 ضد أبيه مولاي عبد الله .
— في المغرب ، كان الصراع بين أفراد عائلة السعديين ، في البداية بين عبد الله واخوته خاصة عبد الملك ، ثم بين هذا الاخير وابن أخيه ، محمد المسلوخ .
** من بعض هذه القبائل انظر : عبد القادر المشرفي ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان بوهران من الاعراب كبني عامر ، تحقيق ، محمد بن عبد الكريم ، (بيروت ، منشورات دار الحياة ، د . ت .) .

فرديناند مع ايزابيلا ،وكان الهدف الذي حدداه لدولتهما هو اسقاط غرناطة ،آخر معقل للمسلمين ، وتمكنوا من ذلك عام 1492م •

2 ـ اشتداد التسابق بين الدول الاوربية لتكوين امبراطوريات واسعة خصوصا بعد اكتشاف العالم الجديد وكذلك طريق التوابل ،فالدول الاوربية التي بدأت تعرف نهضة علمية لم يسبق لها مثيل ،تطلعت الى خارج قارتها الضيقة ،فراحت تتسابق للوصول الى بلاد التوابل، ونتج عن ذلك اكتشاف طرق جديدة الى الهند ،وكذلك اكتشاف الامريكيتين • ومع مرور الزمن سيطرت الدول الاوربية على معظم أنحاء العالم بما في ذلك العالم القديم والجديد •

3 ـ نشاط الحركة التجارية في أوربا مع بداية العصور الحديثة ورغبة اسبانيا في السيطرة على الطرق التجارية في افريقيا التي كانت تشتهر بتصدير بعض المواد الى أوربا كالتبر وريش النعام والعبيد والتمور والجلود •••الخ • وهكذا سيطرت على معظم الموانيء في افريقيا الشمالية التي تعتبر بوابة أوربا فمنها تصدر هذه المواد السالفة الذكر وأصبحت التجارة العابرة لافريقيا بيدها •

4 ـ رغبة الكنيسة ،وعلى رأسها البابا في روما في نشر المسيحية في مختلف الاقاليم الاسلامية خاصة بعد سقوط الاندلس،وهذا ما أعطى الطابع الصليبي لكل الحملات الاسبانية في البلاد الاسلامية ،وهكذا بحثت اسبانيا المسيحية على حليف مسيحي يوجد جنوب البلاد افريقيا الاسلامية فوحدت جهودها مع الحبشة ،الا أن هذا الاتحاد لم يحقق ما كان منتظرا منه بسبب وجود الاسطول العثماني في مياه البحر الاحمر•

5 ـ ازدياد نشاط الرياس المسلمين ضد المسيحيين لاضعاف اقتصادهم ومحاصرتهم بحريا ان أمكن ،وهو الشيء الذي دفع بالدول الاوربية عدة مرات الى التفكير في القيام بعمل جماعي للقضاء عليهم *الا أن امكانياتهم لم تسمح

* مشاركة الدويلات الايطالية وفرسان القديس يوحنا في معظم الحملات الاسبانية ضد الجزائر • الحلف المقدس في سنوات 1571 ـ 1573•

لهـا بـذلك حـتى بـعد القـرن السـادس عشـر بسبب الخلافات الكثيرة فيمـا بينهـا .

علاقة الدولـة العثمـانيـة بفرنسـا خـلال القـرن السادس عشـر .

تحسنت العـلاقات الفـرنسية ـ العثمـانية خـلال القـرن السـادس عشر بسبـب العـداء القـائم بـين اسبـانيا وفـرنسـا ، لـذا بحثـت فرنسـا عـن صـديق يحميـها من جـارتـها لا حـدود لاطماعـه . وبـدأت تتقـرب من الـدولة العثمانية منـذ العقـد الثاني من القـرن السادس عشر . وقـد تـم امضـاء معاهـدة سلـم بين الـدولة العثمانية على أيام سليمان القانوني والـدولة الفرنسية أيام فـرانسـوا الاول ، وكان ذلك في شهـر فيفـري 1536م ، وأعطيت على أثـرها لفـرنسا في المشرق بعـض الامتيـازات وشمل تطبيقهـا ايالة الجـزائر بحكـم تبعيتهـا لاسطمبـول في هـذا الـوقت .

تتكـون المعـاهـدة من تسعـة عشر بنـدا ، ومـن أهمهـا البنـود التالية :

أ ـ البند الثاني : ((يجـوز لرعـايا وتـابعـي الطـرفين البيـع والشـراء والمبـادلة في كـافة السلع غـير الممنوع الاتجـار فيهـا وسيـرهـا ونقلهـا بـرا أو بحـرا من مملكـة الى أخـرى مـع دفع الفـوائـد والضـرائـب المعتـادة ...)) .

ب ـ البنـد الخـامس : ((لا يجـوز للقضـاة الشـرعيـين أو غـيرهم مـن مأمـوري الحكـومـة العثمـانية سمـاع أي دعـوى جنـائيـة أو الحكـم ضـد تجـار ورعـايـا فرنسـا بنـاء على شكـوى الاتـراك أو جباة الخـراج أو غـيرهم من رعـايا الـدولة العليـة بـل على القـاضي أو المأمـور الذي تـرفع اليـه الشكـوى أن يـدعـو المتهمـين بالحضـور بالبـاب العالـي محـل اقـامة الصـدر الاعظـم الرسمـي .

وفي حالة عـدم وجود الباب المشـار اليـه (أي اذا حصلت الواقعـة في

محل غير الآستانة) يدعوهم أمام أكبر مأمور الحكومة السلطانية ، وهناك يجوز قبول شهادة جابي الخراج والشخص الفرنسي ضد بعضهما)) .

ج - البند السادس :((لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين ومستخدميهم وخادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضي أو حاكم الصنجاق أوغيرهما من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي ، ومن جهة أخرى يكون مصرح لهم باتباع شعائر دينهم ولا يمكن جبرهم على الاسلام أو اعتبارهم مسلمين مالم يقروا بذلك غير مكرهين)) .

د - البند العاشر : ((... ومن الآن فصاعدا لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا ، ولا لقبودانات البحر ورجال الحرب أو أي شخص آخر تابع لاحدهما أو لمن يستأجرونهم لذلك سواء في البر أو البحر ، أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسراء الحرب بصفة أرقاء ولو تجاسر قرصان أو غيره من رعايا احدى الدولتين المتعاقدتين على أخذ أحد رعايا الطرف الاخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله يصير اخبار حاكم الجهة وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته على مخالفة شروط الصلح عبرة لغيره ورد ما يوجد عنده من الاشياء المغتصبة الى من أخذت منه ...)) (1) .

عرف الفرنسيون كيف يستغلون هذه المعاهدة لصالحهم في الجزائر ، وذهب بعضهم الى أبعد من المصالح الاقتصادية فحاولوا التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد بشكل يخدم مصالحهم مثل ما فعل السفير الفرنسي في اسطمبول دي نواي De Nouaille

---

1) المعاهدة الكاملة في : محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ص 225_230 .

عندما تدخل لخلع حسن بن خير الدين عام 1558 *، وكانت هذه العلاقات الحسنة بين الدولة العثمانية وفرنسا سببا في ظهور الاطماع الفرنسية في الجزائر عام 1571 عندما طلب دوق دانجو Duc d'Anjou وأمه كاثرين دي مديتشي ، من السلطان سليم الثاني ، أن يمنح لفرنسا ايالة الجزائر ليحكم فيها مقابل دفع ضريبة سنوية.(1)

ومن أهم النتائج المباشرة لهذه المعاهدة كذلك اقامة الاسطول العثماني بقيادة خير الدين باشا في طولون خلال سنة 1543 لحماية فرنسا من الخطر الاسباني ، وكذلك منح عائلة لانش Lenche عام 1561 امتيازا لصيد المرجان في منطقة القالة ، وانشاء شركة فرنسية لاستغلال هذه المادة (المرجان) بعد أن أعطى لها حق احتكار صيدها بالمنطقة .

تجدر الاشارة في هذا المقام الى المكانة التي كانت تتمتع بها الدولة الفرنسية لدى الباب العالي ، فملك فرنسا هو الملك المسيحي الاول الذي كان له سفير دائم في اسطمبول خلال القرن السادس عشر ، (2) ومنذ بداية القرن ، كانت العلاقات التجارية بين البلدين حسنة ، ففي عام 1528 بدأ التجار الفرنسيون يتمتعون ببعض التسهيلات في مصر ، واستفادوا في الاراضي العثمانية كثيرا من الاتفاقية المبرمة بين البلدين عام 1536 ، وفي عام 1569 ، أبرمت اتفاقية أخرى أعطتهم امتيازات أكبر في كل من أناضوليا وسوريا ،

---

* كان حسن بن خير الدين حذرا من الفرنسيين وقيل أنه يكرههم ويعرقل مصالحهم خصوصا في القالة ، وقال هايدو انه ورث هذا الكره عن أبيه بعد أن خرج من فرنسا عام 1543 دون أن تتمكن فرنسا من الوفاء بما وعدت به قبل ذهابه الى هناك . انظر: جون وولف ، المرجع السابق ، ص 63

1) نشرت المراسلات كاملة في : E. CHRRIERE, Négociations de la France dans le levant, T.III, (New York, Burt Franklin, s.d.);

2) P.Duparc, Receuil des instructions aux embassadeurs et ministres de France, XXIX, (Turquie), (Paris éd. C.N.R.S., 1969), p.XI .

وتم تجديد هذه المعاهدة أو الامتيازات في سنوات 1581 و 1597 وأخيرا 1604م (1)

كان الملك الفرنسي خلال القرن السادس عشر هو الملك المسيحي الوحيد الذي يخاطبه السلطان العثماني في مراسلاته الرسمية بعبارة "ملك" ومعنى ذلك أنه الملك الوحيد المعترف به لدى اسطمبول • وكان الرعايا الفرنسيون في كافة أنحاء الدولة العثمانية يتمتعون بنفس الاحترام ويظهر ذلك واضحا في هذه الرسالة التي بعثها السلطان سليم الثاني الى حكام الجزائر عام 1572 يأمرهم فيها باطلاق سراح بعض الاسرى الفرنسيين ويقول في رسالته : ((••• الطائفة الفرنسية من قدم الزمان معروفة عندنا بصدق العبودية والولاء والامتثال القوانين الشاهانية ، وبناء على ذلك ، لا يجوز التعدي عليهم وارتكاب الظلم ضدهم •••)) • (2)

ويبدو أن عددا كبيرا من الرياس الذين هم من أصل أوربي ، خاصة من جنوب فرنسا كانوا يتدخلون لتسهيل بعض الصفقات التجارية أو بعض العقود لبعض أقاربهم الاوربيين منهم مثلا طوماس لانش Thomas Lenche وأخيه أنطوان وشريكهما ديدي Didier الذين تحصلوا على امتياز صيد المرجان في القالة عام 1561 (3) •

أشار بعض الكتاب (4) الى العلاقات الحسنة بين علج علي

---

1) Idem, p.XXI

2) مهمة دفتري رقم 21 ص 579 حكم رقم 1102 بتاريخ 8 ذي القعدة 979هـ

3) F. Charles-Roux, France et Afrique du Nord avant 1830, Les précurseurs de la conquête, (Paris, Félix Alcan, 1932), pp.62-63.

4) Idem, pp.61-67.

وفرنسا ،وقالوا بأنه كان يقدم للفرنسيين تسهيلات كثيرة ، واستدلوا على ذلك من علاقته الحسنة مع سفير فرنسا لدى اسطمبول ،فرانسوا دي نواي في سنواته الاخيرة ،وقد أشار هذا السفير الى صداقته مع علج علي في مراسلاته العديدة مع الملك الفرنسي شارل التاسع وهنري الثالث من بعده (1) •

الا أن هذه الصداقة لم تمنع علج علي من أن ينزع من أيدي الفرنسيين حق احتكار تجارة المرجان بمركز القالة بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضريبة لثلاث سنوات مضت ،وتصرفهم في المنطقة التي نزلوا بها تصرف السادة في أرض محتلة ،وأباح ذلك للانجليز سنة 977هـ/1569م ، ثم استعادت فرنسا ذلك الاحتكار بعد مفاوضات مع الجزائر شملت أيضا تنصيب القناصل(2) ،ونشير في هذا الصدد الى أن فرنسا كانت أول بلد أوربي مسيحي يقيم قنصلية في الجزائر ،وأول قنصل هو أ٠م٠ بارتول A.M. Bartholle من مرسيليا الذي عين سنة 1564 (3)

بوفاة علج علي عام 1587 ،وبنهاية مهام السفير الفرنسي دي نواي في اسطمبول ،أخذت العلاقات الفرنسية العثمانية مسارا جديدا ، بحيث بدأت فرنسا في الرجوع الى حظيرة الدول المسيحية مبتعدة بذلك عن الدولة العثمانية ،وكان لذلك تأثير معتبر على

---

1) E.Charriere, op.cit.pp.195-215.

2) عبد الرحمن الجيلالي ،<u>تاريخ الجزائر العام</u> ،ج٠3 ،(بيروت،دار الثقافة ، 1980) ،ص٠ 95

3) Eugène PLANTET, <u>Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France</u>, T.I, 2éme éd.(Tunis, éd. Bouslama, 1981), p.I. voir aussi:

وليم سبنسر،<u>الجزائر في عهد رياس البحر</u>،ترجمه من الانجليزية ،عبد القادر زبادية ، (الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980) ،ص٠ 139

العلاقات الجزائرية الفرنسية . ويعود السبب في ذلك الى كون السفراء الذين خلفوا دي نزاي في المنصب لم يكونوا في مستواه ، كما أن علج علي كان يدافع على مصالح فرنسا في كل أنحاء الدولة العثمانية بسبب عدائها للدولة الاسبانية التي يعاديها علج علي كذلك (1) .

يستنتج مما تقدم أن الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط كانت تتقاسمه خلال القرن السادس عشر ، اسبانيا والدولة العثمانية ، ويلاحظ كذلك أن كل واحدة منهما تتبعها دول أخرى في المنطقة ، فالعثمانيون يملكون أيالة الجزائر وبعد 1574 تونس ، كما أن صداقة فرنسا لهم أفادتهم كثيرا خصوصا من الناحية المعنوية . أما الدولة الاسبانية ، فكانت تتبعها بعض الدول منها : الدولة الحفصية من 1534 الى 1574 ، والزيانية الى غاية سقوطها ، والسعدية الى غاية 1576 وكذلك الدويلات الايطالية كجنوة ونابولي والبابوية .

في سنة 1559 ، تم امضاء معاهدة كاتوكمبريزيس Cateau Cambresis بين فرنسا وبريطانيا من جهة وحافظ بموجبها هنري الثاني الفرنسي على منطقة كالي Calais ، وبين فرنسا واسبانيا من جهة أخرى ، وبموجبها وضع حد للحروب الايطالية * بين البلدين ، واعترفت فيها اسبانيا بسلطة فرنسا على كل من متز Metz ، وطول Toul ، وفردان Verdun . وتعد هذه المعاهدة منعرجا هاما في تاريخ أوربا ، اذ أزاحت عنها عبء همومها

---

1) Defontin-Maxange, op.cit. pp.184-193.

* انظر صفحة 32 ، الهامش الاول ، للتوسع أكثر انظر فيشر ، المرجع السابق ، ص ص 82 ـ 142 .

وتفرغت لمشاكلها التي كانت تواجهها خارج القارة الاوربية ، وهكذا سارعت اسبانيا الي تكوين حملة كبيرة لاستعادة طرابلس عام 1560 ، وهي الحملة التي منيت بفشل ذريع خصوصا في العتاد .*

بعد معركة ليبانت 1571 ، نسجل جمودا واضحا في نشاط الدولتين ، العثمانية والاسبانية ، في البحر الابيض المتوسط اذا استثنينا العملية الجريئة التى قام بها دون جوان النصارى عام 1573 عندما أخذ تونس ، الا أن النصر لم يعمر طويلا اذ لم يلبث العثمانيون أن استعادوا تونس نهائيا بعد أن استولوا على قلعة حلق الوادي وأصبحت تونس بذلك اقليما عثمانيا .

ومنذ سنة 1578 ، سعت إسبانيا لدى الباب العالي لامضاء معاهدة سلم ولكن هذه المحاولات لم تثمر الا سنة 1581 ، بامضاء معاهدة بينهما لسنة واحدة ، ثم مددت لثلاث سنوات أخرى ، وسمحت هذه المعاهدة لاسبانيا بالتفرغ لمشاكلها في جبهات أخرى من العالم (1) .

---

* انظر المبحث الاول من الفصل الثاني .

(1 Hamer, op.cit., T.7, p.54. voir aussi, FEVZI, Türk ler in deniz meherebe leri, (Istambul, I932), p.589

4- ظهور علج علي

من بين الشخصيات البارزة في تاريخ البحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ، يظهر علج علي وكأنه يحتل المكانة الاولى ، خصوصا بين الشخصيات التي برزت في الميدان البحري سواء المسلمة منها أو المسيحية . وتكمن أهمية هذا الرجل في تفوقه على أعدائه من جهة ، وفي ارتقائه الى أعلى المناصب في الدولة العثمانية من جهة أخرى ، وهذا بعد أن كان مجرد جدّاف مسيحي مقيدا في سفن المسلمين لمدة أربع عشرة سنة ، ويبدو أنه " الشخص الذي اختاره القدر ليظهر فيه مقدرة نفحاته * حسب تعبير هايدو (1) .

ينحدر علج علي من أسرة فقيرة في ليكاستيلي Licastelli ** بنواحي كلابر جنوب ايطاليا قرب رأس الاعمدة Cap des colonnes (2) وهي قرية ساحلية ، وقد يكون من قرية بنفس المنطقة باسم كوتريلو Cutrillo في خليج سكيلاس ويعتقد أن اسمه الاصلي

---

* ((Un homme sur lequel le destin sembla prendre plaisir à montrer la puissance de ses fantaisies))

(1 Fray Diégo de HAEDO, Histoire des rois d'Alger, traduite et annotée par H.de Grammont, (Alger, Jourdan, 1881), p.136. [illegible]

(2 Idem, voir aussi , L. Galibert, L'Algerie ancienne et moderne depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, (Paris, Furne et Cie 1846), p.208

** تنسب بعض المراجع التركية الحديثة أصل علج علي الى تركيا ، وتقول ((ان الاوربيين ينسبونه خطأ الى كلابر بايطاليا ، أما أصله الحقيقي فهو من تركيا وانه مسلم)) انظر: Küçük Hasan, Kaptani derya KILIÇ Ali Paşa , Istambul, 1975), p.35

ويرد في الموسوعة الاسلامية ما يلي : ((تشير بعض الوثائق القديمة الى أن اسم أبيه (بوعلي علي) هو عبد المنان عبد الله نور الله ، وانه كان مسلما في البداية وان علج علي لم يأسره القرصان))

Islam Ansiklopedisi, art., Kilic Ali T. 6. pp. 679-681

..ير لوكاڤليني (1)Luca Galeni .

بالنسبة لتاريخ ميلاده ،فهو غير محدد بالضبط ،فهناك من يحدده بسنة 1500م ،على أساس أنه عندما توفي عام 1587، كان عمره يقارب التسعين سنة(2) ،بينما يحدده آخرون بسنة 1508(3) . وهي السنة المعتمدة لدى معظم من تحدث عن حياة علج علي .

من الصعب قول أي شيء عن طفولة علج علي في الوقت الحالي ، فالمصادر لا تذكر أي شيء عن ذلك والسبب يكمن في انتمائه الى طبقة بسيطة فقيرة ،ويبدو أنها كانت تعيش على الصيد وخدمة الارض ، وكان منذ صغره يساعد أبويه كما كان الامر بالنسبة لمن كانوا في سنه ،فاشتغل علج علي منذ صغره بالصيد ثم عمل في السفن كمساعد (4) وكانت نيته في البداية على ما يظهر هي أن يصبح كاهنا كاثوليكيا (5) . ويذكر البعض أنه ذهب بالفعل الى نابولي للدراسة والتخصص في الدراسات الكاثوليكية (6) ويبدو أن هذا التخصص قد أختاره له أبواه (7) .

I)Ludwig Bühneu, <u>Hist. des Pirates et des corsaires</u>, (Paris, Hachette,1965),p.134.

2)<u>Encyclopedie de l'Islame</u>, T.III,(L.R.),(Paris, Klincksiech,1936),p.1037.

3)H.D.De Grammont, (Un Pacha d'Alger,précurseur de M.de Lesseps,1586),in,<u>R.A.</u>,T.29,année1885,p.360.

4) Haëdo, op.cit.p.136.voir aussi,G.Delphin, (Hist. des Pachas d'Alger de 1515à1745),in, <u>Journal Asiatique</u>, Avril-Juin,1922,p.222.

5)Philip Gosse,<u>Hist. de la piraterie</u>, traduit de l'Anglais par P. Teillac,(Paris, Payot, 1952),p.53

6)MICHAUD, <u>Biographie Universelle, ancienne et moderne</u>,nouvelle éd. T.31,(Paris,C. de la Grave, 1870),p.140.

7)Renet Coulet du Gard,<u>La Course et la piraterie en Méditerranée</u>,(Paris,éd.France Empire,1980),p.148.

الا أن هذه الدراسة لم يكتب لها النجاح، وربما لم يبدأ في مزاولتها اطلاقا عندما ألقى عليه المسلمون القبض لما كانوا يجوبون سواحل جنوب أوربا بسفنهم من أجل تحطيم الاقتصاد المسيحي من جهة ومن أجل أسر المسيحيين وبيعهم في الاسواق المختلفة للبلاد الاسلامية أو استبدالهم بأسرى مسلمين عند النصارى من جهة أخرى.

في احدى الهجمات التي قامت بها السفن الجزائرية على جنوب ايطاليا حوالي سنة 1520، تمكن الجزائريون من منطقة كلابره فغنموا ما وجدوه في طريقهم وأسروا عددا كبيرا من سكانها، ومن جملتهم الشاب علج علي وهو في طريقه الى نابولي (1). ويقول البعض الآخر أنه كان يرعى الماشية عندما ألقي عليه القبض (2). ويذهب آخرون الى أنه ألقي عليه القبض في سفينته بالبحر (3) وعند تقسيم الغنيمة بين الرياس المسلمين، كان علج علي من نصيب المسمى علي أحمد رايس وهو رئيس البحرية الجزائرية عندئذ، * وقد قيده بسرعة الى مقعد سفينته ليصبح جدافا كشأن معظم الاسرى المسيحيين. (4)

كان عمر علج علي عندما ألقي عليه القبض ما بين 12 و20 سنة، وقد اختلفت الروايات في ذلك، فمنها من قالت ان عمره كان قد بلغ العشرين وهو قوي البنية، لذا قيده سيده الجديد مع

I) Defontin-Maxange, op.cit., p.I4. Michaud, op.cit., p.I40.

2) De Grammont, op.cit., p.360.

3) G.Delphin, op.cit., p.222.

* يذكر مبارك الميلي أنه ألقي عليه القبض من طرف خير الدين بربروس ما بين سنتي 1524 و1528، وهذا غير مؤكد، اذ لم يشر الى ذلك غيره. المرجع، الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، (بيروت، بدران وشركاه، 1964)، ص 103.

4) L. Barbes et autres, Hist. de l'Algerie, (Paris, Les Productions de Paris, I962), p.I67.

بقيـة الاسـرى المسيحيـين (1) •

كان علج علي مصابا بمرض سبب له الصلع ، وقد خلق له مشكلا كبيرا وسط رفاقه في الاسر ،فقد رفضه هؤلاء ،ولم يقبلوه وسطهم حتى وهم مقيدون في سفن المسلمين ،وكانوا يرفضون الأكل معه وحتى الجلوس في نفس المقعد ،وقد لقبوه "بالفرطاس" • ويبدو أن هذه العاهة كانت السبب في تغيير مجرى حياته • وقد تكون من جملة الاسباب التي جعلته يعتنق الاسلام ،حتى يتخلص من نظرة زملائه التي كانت كلها احتقارا واستهزاء • وقيل انه تشاجر مع أحدهم فقتله ،ولم يكن أمامه مفر من العقوبة الا اعتناق الاسلام (2) •

ومهما كان الامر فان علج علي قد قيد الى مقاعد سفن المسلمين حوالي أربع عشرة سنة ، واعتنق خلالها الاسلام • ويذكر بعض المؤرخين بأنه أسلم على يد حسن بن خير الدين الذي أقنعه بذلك بعد أن أصبح جدّافا في احدى سفنه (3) •

وتتضارب الاراء عن ظروف اسلامه وتختلف ،ومعظم الكتاب الذين نقلوا عن هايدو يقولون انه فعل ذلك كي ينتقم من مضايقة زملائه له ،لانه لا يستطيع أن يفعل ذلك ان هو بقي مسيحيا (4) • ويرى

---

1) Defontin-Maxange,op.cit.,p.29.

2) Michel Lesure, Lépante,la crise de l'empire Ottoman, -(éd.Firmin-Didot,collection,archives Julliard,1972), p.225.

3) Paul Sebag, Une relation inédite sur la prise de Tunis, 1574,(Tunis,Publication de l'université,1971),p.175. voir aussi, D.L.M.Mouillard,(Etablissement des Turcs en Afrique et en Tunisie),in, Renue de Tunis, n° 2, 1892,p.367

4) Haëdo ,op.cit., p.137.

البعض الآخر أنه اعتنق الاسلام ،لان جنديا شابا من جنود الاتراك الذين كانوا على نفس السفينة التي كان هو مقيدا فيها قد أهانه وأذله ،ولم يجد علج علي وسيلة للانتقام منه الا باعتناق الاسلام (1) ،لان ذلك يجعله في نفس الدرجة مع هذا الجندي الذي سينتقم منه علج علي في وقت آخر .

ان المتمعن جيدا في السببين المقدمين من طرف معظم الكتاب الاوربيين لاعتناق علج علي الاسلام ،يلاحظ أنهما يخفيان وراءهما شيئا أساسيا ، وهو التشكيك في صحة اسلام هذا الرجل ،ولكن المتتبع لحياته وأعماله ومواقفه بعد اسلامه يلاحظ بسهولة أن هذين السببين مرفوضان وغير مقبولين .

بالنسبة للسبب الاول ،يقولون انه اعتنق الاسلام ليتخلص من الوضع الذي لم يعد يتحمله ،ولكن كيف يفعل ذلك انسان بعد أن قضى حوالي أربع عشرة سنة في هذه الوضعية المزرية ،وبعد أن تعود على الاسر والحياة على سفن المسلمين كجداف ...الخ ،ولو كان عليه أن يفعل ما فعل ،لقام به في المرحلة الاولى من حياته الجديدة قبل أن يتعود على وضعه هذا .

أما السبب الثاني ،فهو مرفوض كذلك ،فالكتب التي وصفت حياة الاسرى المسيحيين في سفن المسلمين تتفق كلها على أنها حياة لا تطاق ،وأن معاملة الاتراك لهم كانت معاملة غير انسانية في كثير من الاحيان - ويتعرض المسلمون في سفن المسيحيين لنفس المحنة - وأن علج علي هذا شعر بالاهانة بعد حوالي أربع عشرة سنة من القيد والتجديف ،فكيف لم يشعر بها وهو

1) Defontin-Maxange , op. cit.,p.41.

حديث العهد بالحرية والحياة الكريمة ؟ ولو فعل ذلك حقا من أجل الانتقام لكان الاحرى به أن يفعله في السنوات الاولى للاسر.

وليس غريبا أن نقول إن علج علي كان على اطلاع بما كان يجري في عصره من صراع بين المسلمين والمسيحيين من جهة ، وبين المسيحيين أنفسهم من جهة أخرى . فهو من سكان جنوب ايطاليا ، نقطة لقاء الحوض الشرقي بالحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط وهي منطقة كثيرا ما تعرضت للهجومات من طرف المسلمين ، وبحكم مهنته كصياد سمك فهو بلا شك كان يتنقل الى المدينة لبيع ما وقع في شباكه ، وهناك كان يختلط برجال البحر الاكثر أهمية منه والاكثر تجربة ، وكان يسمع منهم بما يجري في البحر ، وكان قد عاش الصراع الفرنسي الاسباني على ايطاليا ، وأطماع الدولة العثمانية ، خصوصا الهجومات المتكررة لسفن الجزائر بقيادة خير الدين ومختلف رجاله . ومن المؤكد أن هذا كله ترك فيه أثرا قويا ، قد يكون ذلك من العوامل المهمة التي رسمت له نهج حياته المستقبلية وحدد شخصيته بشكل خاص، فقد وصفته معظم الكتب بأنه رجل حازم ، عارف ، رزين ، قوي الشكيمة ، وقد أظهر ذلك في مواقف كثيرة سيأتي بالتفصيل في الفصول اللاحقة ، خصوصا بعد أن تولى حكم ايالة الجزائر ، ثم قيادة الأسطول العثماني .

استطاع علج علي أن يتحمل المعاملة السيئة في السفن الاسلامية بفضل شخصيته القوية ، وبفضل صلابته وتمسكه بمواقفه (1) ، ومما لا شك فيه أن مدة الاربع عشرة سنة التي قضاها بين المسلمين ، كانت كافية له لاعتناق الاسلام عن اقتناع وترك المسيحية عن اقتناع كذلك ، ولا أستند في كلامي هذا في الواقع الى مرجع معين ، لان المراجع تقول عكس ما أذهب اليه . ولكن المتمعن

I) De Grammont, op.cit.,p.360.

في حياته وأعماله خلال ما يزيد عن خمسين سنة عاشها كمسلم ،يقتنع أن هذا الشخص لم يفعل ما فعل من أجل الثأر، أو التخلص من حالة الاسر المخزي ،وانما فعل ذلك بعد أن اقتنع بوجود خلاص الفرد وتحرره في هذا الدين ،وهو الشيء الذي كان يفتقر اليه في دينه المسيحي الذي كانت الكنيسة مسيطرة عليه.

بمجرد اعتناق علج علي الاسلام رسميا ،اختار اسما جديدا كشأن معتنقي الاسلام. وأصبح يدعى علج علي ،وكلمة "علج" هذه كانت تطلق على المسيحيين الذين دخلوا في الاسلام للدلالة على أصلهم المسيحي.

ان تسميته باسم "علي" فستكون من جملة العوامل التي ستخلق بعض الغموض في حياة هذا الرجل بعد اسلامه مباشرة ،وهي لا تساعد الباحث على الوصول الى الحقيقة التاريخية عن حياته في المرحلة الاولى من اسلامه ،والسبب في ذلك هو كثرة من تسمى بهذا الاسم ،ونجد أيضا في التاريخ العثماني أناسا كثيرين يسمون باسم علي باشا ،وكلمة "باشا" أصبح يلقب بها بعد بروزه كقائد بحري في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

تعرض اسم علج علي في الكتب الاوربية لتشويهات كثيرة بسبب الاختلاف في النطق ، فذكرته بأشكال مختلفة منها علج علي ،أولجلي ، علوج علي ... (1)

I)Ouldj Ali, Euldj Ali, Eudj Ali,Ochially,Oluchialy, Ouchially...

بمجرد اعتناقه للاسلام ،أصبح علج علي مساعدا لعلي أحمد رايس وهو من الرياس الذين اشتغلوا مع خير الدين بربروس(1) ، ففي سفينته ، وبرز بسرعة كرجل بحري ، وفاق أقرانه في هذا الميدان ، الشيء الذي سمح له بأن يصبح بسرعة "رايسا" لسفينة خاصة به (2) . وساهم بهذه السفينة في الغزوات ضد المسيحيين، وقد ساعدته على ذلك خبرته بفن الهجومات البحرية . ويبدو أنه اشتغل لحسابه الخاص ،فتوصل الى امتلاك غليوطة ،وأصبح بعد ذلك من أهم رياس الجزائر ،فانضم الى درغوث رايس الذي كان موجودا في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط (3) كما اشتغل مع حسن بن خير الدين، وأصبح ذائع الصيت ومن أهم مساعديه (4) .

في عام 1536 كان علج علي على رأس فرقة من الانكشارية تتكون من 1500 رجل في مدينة قسنطينة ،ويرد ذكر اسمه في تقرير قدمه حاكم بجاية يوم 29 مارس 1536 الى ملكة اسبانيا وذلك في اطار استعدادات شارلكان لغزو الجزائر عام 1541 فهو يقول : ((...أما مدينة قسنطينة ففيها من الانكشارية 1500 رجل يقودهم تركي اسمه كولج علي ،وبربروس هو الذي أرسل هؤلاء الانكشارية . وبما أن كولج علي هذا تابع لحكومة الجزائر ،فلا ريب أنه سيقدم الى مدينة الجزائر بمجرد علمه بتحرك أسطول جلالتكم)) (5) .

---

1)L.Barbes,et autres,op.cit.,p.I67.

2)P.Gosse,op.cit.,p.53. 2)ويقول هايدو انه تمكن من شراء هذه السفينة بما كسبه من الاموال ، ص. 137

3)Haëdo,op.cit.,p.I37/137

4) Barbes et autres,op.cit.,p.I67.

5) نقلا عن توفيق المدني ،المرجع السبق ،ص. 279

بعد هذا التاريخ يغيب اسم علج علي عن مسرح الاحداث ولا تتحدث عنه المراجع لمدة طويلة من الزمن ، وقد يكون السبب في ذلك هو أن المراجع التي تحدثت عنه ضائعة أو لم نتمكن من الاطلاع عليها ، أو أن الكتب أشارت الى أعماله دون ذكر اسمه• وفي عام 1541 عند هجوم شارلكان على الجزائر يرد اسم علج علي دون تحديد وظيفته ولا مكان وجوده (1) ، ولا شك أنه كان من المساهمين في رد الغزو المسيحي على الجزائر•

بعد هذه الاشارة يغيب اسم علج علي مرة أخرى في المراجع والمصادر كذلك ، وربما كان السبب في ذلك ماتمت الاشارة اليه في البداية ، وهو تسميته باسم "علي " لان هؤلاء كانوا كثيرين • لذا يصبح أمر تتبع حياته قبل اشتهاره ، أي قبل الخمسينات من القرن السادس عشر أمرا صعبا على الاقل في الوقت الحالي •

لقد اشتهر علج علي ابتداء من العقد الخامس من القرن السادس عشر ، وأصبح اسمه مترددا في معظم التقارير التي تتحدث عن مختلف أعمال القرصنة في البحر الابيض المتوسط • ويتقدم عمره بتقدم الزمان وتزداد أهمية دوره على مسرح الاحداث ، وسنلاحظ ذلك بالتفصيل في الفصول القادمة

---

1) نقلا عن : Dëfontin_Maxange,op.cit.,p.II3

الفصل الثاني

علج علي والصراع الاسلامي المسيحي

1) - نشاط علج علي قبل تعيينه على الجزائر

أ- درغوث رايس ، ب- علج علي خليفة درغوث على طرابلس

2) - علج علي بايلرباي الجزائر ومختلف أعماله :

في تونس ، في الأندلس ، في قبرص ...

د- دور علج علي في

3) - معركة ليبانت .

١ـ نشاط علج علي قبل تعيينه على الجزائر

في عام 1568، عين علج علي بايلرباي على الجزائر خلفا لمحمد بن صالح رايس بعد أن كان يحتل منصب حاكم طرابلس الذي شغله مدة تزيد عن ثلاث سنوات .

قبل توليه هذا المنصب الجديد، برز علج علي في مجالات كثيرة خصوصا البحرية منها، وقد تولى مناصب مختلفة قبل هذا التاريخ، منها منصب قايد تلمسان ثم باي الاسكندرية وأخيرا بايلرباي طرابلس قبل أن يعين على الجزائر . وقد أظهر كفاءاته ومقدرته في جميع هذه المناصب التي تولاها . وبرز بشكل خاص كرجل بحري شارك في معظم اللقاءات الكبرى التي حدثت بين الدولة العثمانية والقوات المسيحية بزعامة الامبراطورية الاسبانية .

ان الحديث عن علج علي يقودنا حتما الى الحديث عن درغوث رايس، لان علاقتهما ببعضهما كانت علاقة متينة، ودامت مدة تزيد عن عشر سنوات، وقد اتصل علج علي بدرغوث رايس بمجرد ان استقل بعمله وأصبح يعمل لحسابه الخاص وكان ذلك عام 1548 (1) وترقى في سلم الوظيفة الى أن وصل الى منصب " حاكم الترسانة " عام 1554م، 961هـ (2) وأصبح خليفة لدرغوث رايس(3)، وقد وصل الى هذا المنصب بفضل امكانياته وعلاقته بدرغوث الذي أسند له مهمات كثيرة، وشاركه في مختلف العمليات البحرية سواء في جربة أو طرابلس أو مالطة ...

1) <u>Islam Ansiklopedisi</u>, art. Kılıc Ali Paşa, T.6, (Istambul, MaarifBası mevi 1955), pp.679-681.

2) Idem.

3) Defontin-Maxange, op.cit., p.46.

٢ـ درغوث رايس :

يعتبر درغوث رايس من أهم خلفاء عروج وخير الدين ، وهو من مواليد أناضوليا بآسيا الصغرى في القسم المواجه لرودس حوالي عام 1485م ، ويعد من القادة القليلين في البحرية العثمانية . وكان قد ولد مسلما من أبوين فلاحين (1) .

وكانت لدرغوث علاقة بالبحر منذ نعومة أظافره اذ كان قد بدأ يشتغل في السفن العثمانية وهو صغير ، ويبدو أنه جند في الاسكندرية كبحار على احدى السفن العثمانية الى أن تعرف على خير الدين فاشتغل معه وكسب مهارته ، فعينه رئيسا لاحدى سفنه (2) وأصبح بعد زمن من أخطر الرياس (3) .

قبل أن يسند خير الدين لدرغوث رايس قيادة مجموعة من السفن المكونة من اثنتي عشر غليوطة ، كان قد امتحنه بتكليفه بشن هجومات عديدة على الشواطئ الاسبانية ، وعلى سفنها الراسية في جزر البليار ، والتي كانت تجوب أنحاء البحر الابيض المتوسط ، وقد قام بدوره أحسن قيام في هذه المهمات (4) .

وسمح السلطان الحفصي لدرغوث بالتمركز على شواطئ تونس ، بحيث أصبح مع نهاية 1539م سيدا على معظم شواطئ تونس (5) مع اتخاذ جربة قاعدة له ينطلق منها في مختلف

I) Gosse, op.cit.p.46.

2) عبد الحميد بن أبي زيان ، بن أشنهو ، دخول الاتراك الى الجزائر ، (الجزائر ، مطبعة الجيش ، 1972) ، ص 153

3) Braudel, La Méditerranée...T.II, p.229.

4) René Coulet Du Gard, op.cit., p.I2I.

5) Pellissier de Raynaud, Exploration scientifique de l'Algerie, (Paris , imp.Royale, I844), pp.59-60.

عملياته اذ ((كانت بين السلطان أبي العباس أحمد ودرغوث باشا صحبة أكيدة ، ولما كان درغوث محاربا لجربة أرسل له السلطان أحمد المؤونة وذلك أن جربة عصت عليه لظلم منه وملكتها النصارى ستة أشهر وافتكت على يد الباشا علي أرسله درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى اليه أبو الطيب الخضار لما كان على الجزائر)) (1)

استاء شارل الخامس كثيرا من الانتصارات العديدة التي كان درغوث قد حققها في كل مرة ، فأعطى أوامر خاصة لدوريا لتطهير البحر من نشاطه . فأمر دوريا ابن أخيه جيانيتينو دوريا Gianettino Doria بمطاردته فباغته هذا في صقلية *. ولأول مرة يفاجأ درغوث من العدو دون أن يكون مستعدا لمواجهته. وبعد معركة غير متكافئة استبسل فيها درغوث ، اضطر في الاخير الى الاستسلام وكان ذلك يوم 15 جوان 1540 ، فسلمه دوريا لعمه (2) ، فقضى أربع سنوات مقيدا في سفن عائلة لوميليني التي اشترته من دوريا . ولكن خير الدين فداه بعد ذلك بثلاثة آلاف دوقة عام 1543م مع التنازل لعائلة لوميليني عن جزيرة طبرقة القريبة من الساحل ما بين عنابة وبنزرت (3)

لم يستطع درغوث أن ينسى بعد تحرره المعاملة السيئة التي كان يعامل بها في السفن المسيحية ، لان قائد الجدافين كان يخصه

---

1) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ، تحقيق وتعليق ، محمد شمام ، (تونس ، المكتبة العتيقة ، 1967) ، ص 171

* حسب ايتوري روسي في المرجع السابق ، يكون درغوث قد أسر في كورسيكا ويشاركه الرأي مونشيكور في مقاله عن درغوث .

2) Gosse, op. cit., p. 47.

3) Loup Durand, Pirates et Barbaresques en Méditerranée, (Avignon; imp. Aubanel, I965), p. 75.

بمعاملة خاصة بأمر من دوريا .

في عام 1543 ،عندما استعاد درغوث حريته تعهد بينه وبين نفسه بأمرين :الاول أن يكون وفيا لخير الدين ولا ينسى جميله الى وفاته ،والثاني ،أن ينتقم من المسيحية مما عاناه خلال أسره (1) . وبالفعل فقد ندمت المسيحية بأكملها على تحريره (2) .

تصادفت استعادة درغوث لحريته مع عودة خير الدين الى اسطمبول ،فخلفه على رئاسة جميع سفنه في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط* . ولما لاحظ أن الجزائر لم تعد المكان المناسب له ، استولى على جزيرة جربة وحصنها تحصينا جيدا واتخذها قاعدة له (3) . وفي مقره الجديد هذا ،بدأ حربا شعواء على شواطيء ايطاليا ، يلقي خلالها القبض على كل سفينة لا تحمل العلم الاسلامي ،بحيث رفض الاعتراف بالهدنة التي تم توقيعها بين السلطان العثماني سليمان القانوني والملك الاسباني شارل الخامس عام 1545 ،وسرعان ما أصبح زعيما للبحارة الذين استمروا في نهبهم للتجارة الاسبانية والسواحل الايطالية . وأكبر غنيمة غنمها درغوث هي الاستيلاء على سفينة مالطية عام 1548 كانت تحمل خزينة مال فرسان القديس يوحنا ،

(1 R.Coulet du Gard,op.cit.,p.I23.

(2 Gosse,op.cit.,p.47.

* يبدو أن خير الدين عيّن درغوث حاكما أعلى على لجميع الرجال الذين يشتغلون في الحوض الغربي من المتوسط سواء منهم العثمانيون أو الافارقة كالاندلسيين والجزائريين والتونسيين ،انظر: Jean Monlaû, <u>Les Etats Barbaresques,</u> (Paris,P.U.F.,1964),p.25.

(3 Gosse,op.cit.,p.48.

التي كانت تقدر بحوالي عشرين ألف دوقة ذهبية (1) • وكان هذا المبلغ موجها لتحصين طرابلس الغرب ، وكانت هذه القاعدة من ممتلكاتهم الاكثر أهمية (2) •

وفي سنة 1548 ، لما أدرك درغوث خطورة دور فرسان القديس يوحنا في المنطقة ، حاول التقرب من السلطان أحمد الحفصي ، فزاره وقدم له هدية ثمينة ، وقام بهذا العمل حتى يحمي ظهره اذا هجم على الشواطئ الاوربية • وعندما غادر تونس زوده السلطان بالمدافع والذخيرة والمواد الغذائية والعتاد البحري (3) •

انطلق درغوث من جربة ليستولي على سوسة وصفاقس والمنستير ، وكانت كلها بيد الاسبان ، وبطريقة ذكية جدا * تمكن من الاستيلاء على ميناء المهدية في ربيع عام 1550 • ورغم ضآلة أهمية هذه المدينة التي هي أقرب الى القرية منها الى المدينة ، الا أن درغوث اعتبرها مرحلة مهمة للوصول الى صقلية •

تحركت نابولي بسرعة بسبب وصول درغوث الى المهدية ، وانزعجت اسبانيا من ذلك فأرسل شارل الخامس رسالة الى السلطان العثماني يحتج فيها على هذا العمل واعتبره نقضا للهدنة التي كانت قد أبرمت بين الطرفين عام 1545 (4) ، الا أن السلطان رد عليه بأن درغوث من الرياس الاحرار لا ينتمي لدولته •

1) جون وولف ، المرجع السابق ، ص • 65 •

2) Coulet du Gard, op.cit., p.I23.

3) Tahar Guiga, Dorghuth Rais, (Tunis, I974), p.65.

* عن هذه الطريقة انظر كتاب كولي دي ڤار Coulet du Gard المرجع السابق ، صفحات 123 _ 125 •

4) Braudel, La Méditerranée... T.II p.230.

ان أول عمل قام به درغوث في المهدية هو تحصينها جيدا ، اذ حولها الى مركز لعملياته التي كان يقوم بها ضد المسيحية جمعاء (1) .

ابتداء من 20 أفريل 1550 ، بدأ موسم نشاط درغوث حيث تحرك بأسطول يقدر بخمس و ثلاثين سفينة جاب بها الشواطىء الجنوبية لايطاليا باحثا عن العدو والوقت المناسب للانقضاض عليه .

في يوم 29 أفريل مر أمام مسينة ، ثم صعد الى الشمال الغربي ، فوصل بعد مدة الى خليج جنوة ، وكان رفقته أحد ضباطه الشهيرين وهو علج علي ، فغنم غنائم كبيرة ورجع ظافرا(2) .

وفي يوم 11 ماي ، أبحر دوريا من نابولي لمواجهة درغوث، وكان ينوي أخذ المهدية في البداية مغتنما غياب صاحبها عنها ، الا أنه بدأ بمهاجمة موانيء صغيرة شمال المنستير حيث جوبه بمقاومة غير منتظرة . لذا فكر في تقوية صفوفه قبل مهاجمة المهدية أين كانت قوات درغوث التي تركها للحراسة بقيادة علج علي (3) .

أرسل دوريا الى نابولي 24 غليوطة لتعود ومعها ألف جندي ومدافع كبيرة ومؤونة مختلفة ، وطلب دوريا تعيين جنرال لهذه القوة الجديدة ، ودامت التحضيرات طوال شهر جوان ، وفي يوم 3 جويليه تحركت هذه القوة من نابولي بمعنويات جديدة لضخامة عددها وأهمية سلاحها . وفي انتظار وصول هذه القوة بدأ

---

1) Pellissier de Raynaud, op.cit., p.79;

3) عبد الجليل التميمي ، (رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر) ، المجلة التاريخية المغربية، السنة العاشرة ، العدد 29 - 30 ، جويلية 1983 ، ص 80 .

2) T. Guiga, op.cit., pp.74-75.

دوريا في حصار المهدية منذ يوم 28 جوان ، وهو الحصار الذي دام ثلاثة أشهر ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها الا يوم 10 سبتمبر 1550م بعد أن طلب من جديد قوة اضافية تقدر بخمسمائة (500) عسكري (1) .

لما خاب أمل درغوث في بعث امارة خاصة بالمهدية ، لم يبن له الا التخلي عن استقلال أصبح خطيرا عليه ، والرضى بحماية الباب العالي (2) . وبنصيحة من سنان باشا ، ذهب درغوث رايس الى اسطمبول عام 1551م ، أي بعد ضياع المهدية منه ، فوضع نفسه تحت تصرف السلطان سليمان القانوني ، ورافقه في هذه الرحلة أسطول يتكون من 8 سفن ، واصطحب معه الريس الآتية أسماؤهم : غازي مصطفى ، علج علي ، حسين قلي Kelli ، محمد رايس ، صنجاكتار رايس ، دبلي جعفر ، وقاره قادى Kara Kadi . وفي اسطمبول عين السلطان سليمان درغوثا على رأس السنجاق قاغلى ايلي Karli Eli (في اليونان) وعين علج علي في منصب حاكم الترسانة Tersâne Kapudanı ، وأعطى كل واحد منهم (أي مع بقية الرياس) من 70 الى 80 أقجه Akça (عملة فضية عثمانية) كأجرة لهم . وأعطاهم رخصة وضع فنارات على سفنهم*(3) .

---

1) Braudel, La Méditerranée...pp. 230-231.

2) شارل أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 2 ، ترجمة ، محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1978) ، ص 347 .

* حسب كاتب جلبي أو حاجي خليفة كما يسمى ، يعني هذا الاذن أنهم عينوا رياسا في السفن الحربية بالاسطول العثماني . انظر : تحفة الكبار في أسفار البحار ، مخطوط ، ص 98 - 99 .

3) Islam Ansiklopedisi, art.cit. voir aussi, Fevzi, op.cit.p.383.

لم يلبث درغوث رايس كثيرا في اسطمبول فعاد الى نشاطه في البحر الابيض المتوسط خصوصا ضد شواطئ ايطاليا وما يجاورها (1) وانزعج دوريا كثيرا من ذلك وساءه أن يقوم درغوث بهذا النشاط على مقربة منه ، فقرر الخروج الى البحر لمطاردته على رأس قوة معتبرة ، وقد وجده في جزيرة جربة (2) . وكان درغوث قبل هذا الوقت قد عاد الى قاعدته بهذه الجزيرة حيث أخرج سفنه الى اليابسة لتنظيفها واصلاحها كما جرت العادة بعد كل مدة معينة من الابحار. ولما وصل دوريا بقواته الى هناك وجد درغوثا غير مستعد لمواجهته ، لذا حاصره دوريا داخل الحوض الداخلي للجزيرة من الجهة البحرية ، وتصور أنه ألقى عليه القبض وخلص منه المسيحية جمعاء ، وأرسل الرسائل الى مدريد وجهات أخرى يخبرها بذلك ، الا أنه بعد حصار طويل ، فوجئ بدرغوث يخرج من الحصار ويحاصره هو (3) ، وقد استعمل لخروجه طرقا خاصة به *.

في عام 1551 ، تمت استعادة جربة من طرف قوات سنان باشا الذي أصبح صديقا لدرغوث رايس . وفي هذه السنة استدعاهما السلطان سليمان الى القسطنطينية ، وبقيت محادثاتهما سرية الى غاية خروج أسطول متكون من مائة وخمسين سفينة ** من اسطمبول ، وعلى متنها عشرة آلاف رجل مسلحين جيدا ، وتوجهت الحملة في

I)Pellissier de Raynaud,op.cit.,p.80.
2)Coutet du Gard,op.cit.,p.I26.
3) Gosse,op.cit.,p.49.voir aussi, Loup Durant,op. cit.,p.79.

* حسب غوس Gosse يكون درغوث قد حفر قناة في اليابسة وأوصل الميناء الذي كانت به سفنه بالبحر دون أن يشعر به دوريا وخرج من الحصار (انظر الشكل) ، أما بن أشنهو ، المرجع السابق ، فيقول انه جر سفنه بالحبال على اليابسة وخرج بها من الحصار .

** I40 chez Feraud,(Annales tripolitaines),in, Revue Africaine,T.27,année,I883,p.209.



الضيق الذي يفصل جزيرة جربة عن اليابســـة وهــو المكــان الذي حوصر فيه درغوث من قبل دوريا ،وقام درغوث بحفر ممر سمح له بالانتقال من الوادي الكبير الى خليــج بوغرارة .



الاداة التي استعملها درغوث لتعميق الممر وهي عبارة عن جسم عائم ذو أسنان في الاسفل يجره رجال بالحبال المثبتة على جانبيه وتقـــوم الاسنان بحفر قاع الممـــر . (1)

---

1) Monchicourt, Episode de la carriere tunisienne de Dragut, p.21

اتجـاه مجهـول تحت قيادة سنـان باشـا ودرغـوث رايس. شوهـد هذا الاسطول بنـواحـي مسينـة (جنـوب ايطاليا) • وفي بـدايـة جويلية 1551، تـوجـهت الحملـة نحـو مـالطـة • وأصبـح مـن الواضـح عنـد المسيحيين أن هـذه الحملة متجهـة نحـو هـذه الجـزيرة لمـاكـانت تشكلـه من خطـر على الاسـلام والمسلمـين، خصـوصـا وأنـها تحتـل منطقـة حسـاسـة بين الحـوضـين : الشرقي والغربي من البحر الابيض المتوسـط (1) •

فـي هـذه الاثنـاء قـرر سنـان باشا التـوجـه الى طـرابلس التي كانت بيـد فـرسان القـديس يوحنا * فـأخـذها منهـم بسهـولـة** بتاريخ 14 أوت 1551، ووضـع عليهـا أحـد ضبـاطـه وهو المسمـى مـراد آغـا ***

بالنسبـة لـدرغـوث تم تثبيتـه في منصـب (بك سنجق قارلي الي) وهـي أكارنانيا Acarnania باليونان التي تقـع على سـاحـل أيبيرو الـذي يمتـد من بريفيـسا الى ليبـانتـو ، وهو المنصب الذي كان يشغلـه قبـل الاستيـلاء على طـرابلـس. وقـد سعـى لـدى السلطـان للحصـول على منصـب بايلرباي الجـزائـر، ولكنـه لم يظفـر بـه ، كما لم يظفـر بمنصـب قائد الاسطول العثمانـي بالنظـر الى معـارضة رستـم باشا في ذلك • وفي سنة 1553ـ1554، أسنـدت اليه القيـادة العليـا للاسطـول مـع بقـاء لقـب (قابودان باشا) لسنان • وفي سنـة 1555، تـولى هـذا المنصـب بيـالـه بـاشـا (2) • وهـكـذا أصبحـت طرابلـس والجـزائر وتـونس قـواعـد

---

1) Coulet du Gard, op.cit., pp.I28, I29.

* في عام 1529 أعطى شارل الخامس جزيرة مالطة وطرابلس لفرسان القديس يوحنا الذين طردهم السلطان من جزيرة رودس. انظر: R.A., T.27, année, I883, p.209.

** يتهم فيرو Feraud الكلابريين الذين كانوا ضمن الحامية الاسبانية بالخيانة ويقول انهم هم الذين سهلوا المهمة على العثمانيين • Feraud, op.cit, p.2IO.

*** كان حاكما على منطقة تاجوراء منذ عام 1539 •

2) روسـي ، المرجع السابق ، ص ص. 184 ـ 185 •

عثمانية . وحكم مراد آغا في طرابلس الى غاية 1553، عندما عوضه درغوث رايس.

بالنسبة للمهدية ،حكمها المسيحيون بعض الوقت بعد أن انتزعوها من درغوث ،ثم هجروها بعد أن دمروا تحصيناتها ، لانهم كانوا يرون أن المدينة ليست بذات أهمية كبيرة ،كما أن فرسان مالطة رفضوا البقاء بها لحراستها ،فخرج الجميع منها يوم 4جوان 1554م (1) ،وكان ذلك خطأ سيكلفهم غاليا في السنوات اللاحقة عندما يستولي علج علي على تونس للمرة الثانية عام 1574م .

في عام 1553* تم تعيين درغوث رايس حاكما لطرابلس ،وبقي في هذا المنصب الى غاية وفاته عام 1565 أثناء حصار مالطة . وفي منصبه الجديد هذا ((لعب دورا هاما على المسرح السياسي العثماني وذلك بتوجيه وبلورة السياسة العثمانية الافريقية وتكوين قادة عثمانيين (أمثال علج علي) الذين سيعملون جميعا على تغيير روتينية الاحداث المغربية ،وتحسيس الدولة العثمانية بأهمية هذه المنطقة على الصعيد السياسي والاستراتيجي وهم الذين ستصبح على يدهم الايالات المغربية عثمانية)) (2) .

وفي طرابلس عمل درغوث على تدعيم الحكم العثماني باخضاع مختلف القبائل ،وبناء حصن منيع على التل الذي يشرف على المدينة وحصن آخر مكان المسجد الذي كان بدرونفارو Pedro Navarro قد هدمه عام 1510م ،وشيد مكان الكنيسة التي كان قد أقامها فرسان مالطة مسجدا حيث دفن هو عام 1565 ،كما بنى مركزا

1) Braudel, op.cit.p.23I.

2) التميمي ،المرجع السابق ،ص. 79.

* يقول رزمي في المرجع السابق انه عين في هذا المنصب عام 1556م وهذا غير موكد لانه الوحيد الذي قدم هذا التاريخ ، خصوصا وأن المعاصرين لدرغوث يتفقون على سنة 1553 . انظر، روسي ،ص. 185 .

للاقامة الرسمية سمي " سراي درغوث " (1)

في سنة 1556 ، زحف درغوث على قفصة واستولى على جربة ، وترك على قيادة قلعتها علج علي (2) .

استدعى أهل القيروان درغوث لانقاذهم من مظالم محمد بن الطيب الشابي ، فقدم اليها سنة 1557 ، وقتل صاحبها (الشابي) وشرد عنها أهله وحاميته الى الزاب ، ورجع درغوث الى طرابلس واستخلف على القيروان حيدر باشا (3) .

ساهم درغوث في انقاذ مسلمي الاندلس ، فقام بغارة كبيرة على الشواطئ الاسبانية عام 1559 ، واستطاع أن ينقل معه ألفين وخمسمائة (2500) موريسكي (4) . وفي عام 1560 ، توجهت حملة مسيحية بحرية للاستيلاء على طرابلس وأخذها من درغوث ، وقد سمح فيليب الثاني لهذه الحملة أخذا بخاطر البابا الذي أغدق عليه المنح (5) فهيأ درغوث نفسه للدفاع عن المدينة بمهارة ، واستنجد بالباب العالي الذي أرسل له أسطولا بقيادة پياله باشا ، وقطع الاسطول المسافة من أسطمبول الى طرابلس خلال عشرين يوما ، وهي مدة قصيرة جدا ، وغير مألوفة ، وقد توجه پياله باشا رأسا الى جربة ، وكانت خبرة علج علي تعزز قيادته ، فضلا عن درغوث ، واغتنك الجزيرة بكل سهولة (6) من دون جوان دولا سيردا

---

1) Coulet du Gard,op.cit.,p.p.I38,I39.

2) روسي ، المرجع السابق ، ص. 186 .

3) أحمد بن أبي الضياف ، اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج 2 ، ط. 2 ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1977) ، ص. 18 . وعن الشابية انظر: R.A., T.I8, année, I874, pp.II9-I42.

4) محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط. 1 ، (مصر ، 1949) ، ص. 284 .

5) جوليان ، المرجع السابق ، ص. 348 .

6) التميمي ، المرجع السابق ، ص. 84 .

نائب الملك على صقلية ، والذي جاء Don Juan de la Cerda
بأمر من فليب الثاني بأسطول يتكون من أربعة عشر ألف رجل
تحملهم 113 سفينة بغرض الهجوم على طرابلس وأخذها من
درغوث ، وبدأت حملة دون جوان عملها بأخذ جزيرة جربة عام
1560 ، الا أنها قبل أن تتحرك من هذه الجزيرة نحو طرابلس ،
كان بياله باشا قد باغتها واستولى على تسعة عشر سفينة (گالیرا) ،
وأربعة عشر سفينة من الحجم الكبير كانت تستعمل في النقل ، وأسر
ما يزيد عن خمسة آلاف رجل (15 مارس 1560) ، وهرب قائد
الحملة الى أوربا تاركا وراءه أحد قواده ليدافع عن جربة ولكن
هذا انهزم بسرعة (1) وقد أبيدت حامية جربة النصرانية
عن آخرها بعد قتال عنيف ، وكي يخلد رجال درغوث هذا
الانتصار ، رصفوا عظام القتلى ورؤوسهم على شكل هرم عرف باسم
"برج الرؤوس" الذ ظل ماثلا للعيان الى غاية عام 1846 (2) .

وآخر عمل عظيم شارك فيه درغوث ، هو حصار مالطة ، وهو
الحصار الذي توفي فيه .

كانت جزيرة مالطة بالنسبة للمسيحيين في نفس المكانة التي
كانت عليها الجزائر وطرابلس بالنسبة للمسلمين خلال النصف
الثاني من القرن السادس عشر . وكان فرسان القديس يوحنا
قد اتخذوها مركزا لهم بعد أن تم طردهم من جزيرة رودس

I)Marmol,op.cit.,T.2,pp.558,559;voir aussi;
Alphonse Rousseau,Les Annales Tunisiennes,2eme éd.,
(Tunis, Bouslama,I980),pp.25,26.

2) Idem,p.26. voir aussi:P. Hubac, Les Barbaresques,
(Paris, éd. Berger-revrault,I949),p.I52.

من طرف الدولة العثمانية عام 1522· فأعطاهم شارل الخامس هذه الجزيرة - كما سبقت الاشارة الى ذلك - وجعلوها نقطة ومركزا ينطلقون منها في نشاطهم المعادي للمسلمين ولسفنهم التي كانت تجوب البحر الابيض المتوسط·

في عام 1565، أمر السلطان العثماني بمحاصرة مالطة، وافتكاكها من فرسان القديس يوحنا ، فأرسل أسطولا متكونا من 185 سفينة على متنها ما يزيد عن ثلاثين ألف جندي ، تحت قيادة بيالة باشا ، وعلى مقربة من مالطة ، انضم اليه درغوث على رأس سفنه ، وكان الفرسان على علم بقدوم هذا الاسطول وجهزوا أنفسهم تجهيزا قويا ، ودام الحصار ما يزيد عن ستة أشهر مات خلاله القائد درغوث رايس بعد أن أصيب في رأسه (1) ، وكانت وفاته يوم 23 جوان 1565، بعد سبعة أيام من اصابته بالجروح التي كانت سببا في وفاته ·

ان هذا الرجل الذي كان له الدور الفعال في أحداث القرن السادس عشر بالبحر الابيض المتوسط لمدة طويلة من الزمن ، عرف كيف يكون رجالا لا معين ، حملوا راية الجهاد البحري بعد وفاته ، وقد اعتبر علج علي أحسن نموذج تخرج في مدرسة درغوث، ويعتبر أكثرهم كفاءة ومقدرة ، وهو الوحيد الذي كان يستحق بالفعل أن يكون خليفته في البحر الابيض المتوسط·

---

1) Gosse, op.cit.,pp.51-52. voir aussi,
C.E.Engel, Le Grand siège de Malte(1565-1965),
(Paris, Société de l'histoire de l'ordre de Malte,1965),
pp. 41,42.

ب - علج علي خليفة درغوث على طرابلس :

ارتبط اسم علج علي باسم درغوث رايس خلال القرن السادس عشر ، فشارك معه في معظم أعماله الكبرى منذ اشتغل معه في سفنه . وبرز بسرعة كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فساهم مثلا في فتح طرابلس ومختلف الهجومات ضد نابولي وصقلية ، وذهب معه الى اسطمبول مكث هناك ما بين سنتي 1551 و 1553 م ، وفي هذه السنة الاخيرة عندما عين درغوث بايلربايا على طرابلس رافقه علج علي الى هناك . (1)

في عام 1554 ، عندما عاد صالح رايس من المغرب بعد أن ساعد أبا حسون على استعادة عرشه ، بعث الى السلطان العثماني سفينتين محملتين بالغنائم التي غنمها من المغرب ، وكان قائد السفينتين هو علج علي (2) .

في عام 1557 ، كان علج علي يتولى منصب قايد تلمسان - دون أن تشير المراجع الى سنة تعيينه - وقد شارك في الهجوم الذي قام به حسن بن خير الدين على مستغانم عام 1558 ، حيث خرج علج علي من تلمسان بقواته لمساعدة القوات القادمة من الجزائر وهي القوات التي كانت تحت قيادة حسن بن خير الدين نفسه . فقطع علج علي على الجيش الاسباني خط التموين عن طريق البر . (3) كما أعطى الاوامر للعرب القريبين من المنطقة بعدم تزويد الاسبان بالمؤونة التي يحتاجون اليها (4) .

1) Ali Haydar Emir, Kılıc Ali ve Lepanto, (Istambul, 1931), p.5

2) عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، ط 2 ، (الدار البيضاء ، شركة الطبع والنشر ، 1978) ، ص 81 .

3) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص 94 .

4) Marmol, op. cit., T. 2, p. 367.

في يوم 26 أوت ، والمعركة على أشدها ، كانت القوات التي يقودها علج علي توجد يمين القوات المسيحية ، أي جنوبها ،* وفي جهتها الشرقية ، كانت فرقة الفرسان من الجيش الجزائري وكذلك قنواته مستغانم ، أما من جهة اليسار ، أي جهة البحر ، فقد نزل بحارة الأسطول الجزائري الى البر وأخذوا يضيقون عليهم الخناق ، ومما زاد من سوء حالتهم أن الاعراب الذين كانوا معهم - أي مع الاسبان - لما لاحظوا أن المعركة أصبحت لصالح المسلمين انقلبوا عليهم (على الاسبان) (1) ، وانتهت المعركة بانهزام القوات الاسبانية في شهر سبتمبر من نفس السنة **.

قام علج علي بدور مهم في المعارك التي خاضها درغوث عام 1560 ضد الاسطول المسيحي خصوصا عند مجيء بيالة باشا ، وقد خسر اندريا دوريا في هذه الواقعة أهم سفنه وضباطه ، وعددا كبيرا جدا من جنوده (2) .

---

* يذكر مارمول بأن علج علي هو الذي كان يقود القوات التي جاءت عن طريق البحر (مارمول ، المرجع السابق ج • 2 ، ص • 370) • ويؤكد هذا القول هنري ليون فاي ، ويقول بأنه جلب هذه الجيوش من مازونة وتنس • انظر :
Henri Léon FEY, Hist. d'Oran, avant pendant et après la domination Espagnole (Oran, Typographie Adolphe Perrier éditeur, 1858), p.98.

1) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص • 367

** لمزيد من المعلومات عن هذه المعركة ، انظر : المدني ، المرجع السابق ، الميلي ، المرجع السابق ، Mercier, Hist. de l'Afrique septentrionale.

2) Haëdo, op. cit., p.137.

في عام 1560 ، عندما وقع تجمع المسيحية للهجوم على جزيرة جربة وطرابلس وأخذها من درغوث، قام هذا الاخير بارسال علج علي على باخرتين محملتين بالهدايا الى اسطمبول، وبفضل ذكاء هذا المبعوث ومقدرته في الاقناع، استجاب السلطان لطلبه المتمثل في ارسال الاسطول العثماني وقوة عسكرية كافية لصد الهجوم المسيحي، وجاء الاسطول وأنقذ طرابلس وجربة — كما سبقت الاشارة اليه — وكانت خسائر الاسطول المسيحي في هذه الواقعة عظيمة جدا، وقد اضطر نائب الملك على صقلية الى الهروب نحو ايطاليا مع ما نجا من الاسطول (1) .

ان الدور الذي لعبه علج علي في هذا الانتصار، كان دورا أساسيا، سواء بالنصائح التي كان يقدمها، أو بمشاركته العملية في المعارك التي جرت بين الطرفين . ان الوصف الدقيق الذي قدمه لقائد الاسطول العثماني پياله باشا وهو في اسطمبول، جعله يسرع في تجهيز الاسطول والخروج به قبل فوات الاوان . وقد أجمع كثير من الكتاب على أن نجاحه في المهمة التي قام بها في اسطمبول، كان السبب الرئيسي في انتصار المسلمين على المسيحيين في جربة عام 1560 (2) ومنذ هذا التاريخ ونجم علج علي في تألق مستمر.

بعد مشاركة علج علي في معركة جربة عام 1560، تم تعيينه متصرفا gouverneur على سيغالا Sigala (سنجاق باي ازمير) (3) ، دون أن تذكر المراجع تاريخ هذا التعيين، ولا مدة احتفاظه

I) Defontin-Maxange,op.cit.,p.85.

2) Idem,p.8.voir aussi,Haëdo,op.cit.,R.A.,T.24,pp.40I-4I9.

3)Islam Ansiklopedisi, art.cit.

بهذا المنصب ،تشير الى تعيينه بـايلريا على الاسكندرية ، وهو المنصب الذي بقي فيه الى غاية 1565 عندما خلف درغوثا على طرابلس.

في عام 1565 ، وقع حصار مالطة من طرف الاسطول العثماني — كما سبقت الاشارة الى ذلك — وشارك فيه علج علي بقوات من الاسكندرية ولعب دورا مهما فيه . ولا أستعرض هنا أسباب هذا الحصار ولا مراحله ،لان ذلك وارد بالتفصيل في مختلف الكتب التي رجعنا اليها * وانما سأكتفي بالدور الذي أداه علج علي في هذا الحصار.

اتخذ قرار الحملة على مالطة بالتنسيق مع القيادات العثمانية بالمنطقة ماعدا معارضة درغوث رايس وعلج علي اللذين ألحا على توجيه الحملة الى قلعة حلق الوادي وبادس ووهران ،باعتبارهما امتدادا للرقعة العثمانية ،وان خطر الاسبان في هذه المناطق أشد تأثيرا ، وهذا خلافا لمالطة التي تعتبر احدى القلاع المسيحية المحصنة والبعيدة عن الاراضي العثمانية **.

وصلت الحملة الى مالطة بتاريخ 18 ماي 1565 بقيادة بيالة باشا ومصطفى باشا قائدا للقوات البرية ،والتحق بهما درغوث وحسن باشا بايلرباي الجزائر وعلج علي باشا باي الاسكندرية (1) . وقد وصل هذا الاخير الى مالطة يوم 24 ماي بأربع أو ست سفن وعلى متنها

---

* انظر الكتب التالية : P.Colles, La lutte contre les Turcs. Hammer, Hist. de l'Empire Ottoman, T.6., De Thou, Hist. Universelle, T.6.,Fevzi, Türk ler in deniz muherebe leri. Samih Ilter, Ş imali Afrika da Türk ler.

** تشير بعض المراجع الى عكس هذا ،فتذهب الى القول بأن درغوث وعلج علي هما اللذان أثرا على الباب العالي لتوجيه هذه الحملة الى مالطة ،انظر جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ،ج . 2 . وكذلك : Defontin-Maxange, op.cit.

1) التميمي ،المرجع السابق ،ص . 87 .

تسعمائة رجل وعدد كبير من المدافع والاسلحة النارية ،ورافقه كذلك تسعمائة مصري مختصين في حرب الحصارات (1)، وفي يوم 2 جوان ،وصل درغوث ومعه ثلاث عشرة سفينة (كاليرا) وغليوطتين ، وعلى متنها ألف وثلاثمائة رجل (2) .

أما قوات مالطة ،فقد كانت تتكون من تسعمائة فارس وتسعة آلاف مرتزق من مختلف الاجناس الذين استقروا بمالطة . وكان الجميع تحت قيادة لافاليت الذي تجاوز من العمر السبعين سنة والذي كان قد شارك في الدفاع عن جزيرة رودس قبل سقوطها (3) .

لم يشارك علج علي في كل الاحداث التي جرت طوال المدة التي استغرقها الحصار بسبب تعيينه بايلربايا على طرابلس خلفا لدرغوث المتوفى اثناء الحصار . فأرسل في مهمة الى طرابلس لجلب المؤونة ،فذهب على متن خمس عشرة سفينة ،ونقل علج علي جثة رفيقه درغوث رايس معه وغادر مالطة حوالي 30 جوان (4) .

مر علج علي بتونس وأخذ العهد من حاكمها تأكيدا على مواصلة حياده الذي كان قد تعهد به لدرغوث رايس ،وفي طريقه قام بغزوات عديدة ضد المراكز المسيحية (5) وكان عليه بعد وصوله الى طرابلس أخذ الامدادات والعودة بها بسرعة الى مالطة .

لقد تأثر الجيش العثماني كثيرا بغياب علج علي ،مع العلم أن مهمته كانت ضرورية وملحة ،كما أن بعد المسافة بين مالطة

I) Defontin-Maxange, op.cit., p.p.90, 9I.

2) Idem, p.9I.

3) Coulet du Gard, op.cit., p.I4I.

4) Defontin-Maxange, op.cit., p.93.

5) Idem, p.94.

وطرابلس لا يسمح له بالعودة بسرعة ،ولكن أهمية مهمته - وهي تزويد المحاصرين بما يحتاجون اليه - كانت لا تسمح بالتأجيل . وقد اقتنع مسؤون الحملة أن علج علي هو الرجل المناسب في مثل هذه الظروف . ولكن رغم قيامه بمهمته كما ينبغي ،فان الحصار انتهى لصالح المسيحيين ،وهكذا فمن الناحية المعنوية ،نجد أن علج علي هو الوحيد الذي أحرز الانتصار* اذا أعتبرنا أن هناك انتصارا عثمانيا في هذه الحادثة (1) .

دام الحصار أربعة أشهر ،خسر فيه العثمانيون الكثير من الجنود، كما عانوا الكثير من المشاكل بسبب الطاعون الذي تفشى وسطهم بسبب كثرة الجثث التي بقيت بدون دفن (2) ،ولم يتمكنوا في الاخير من فتح الجزيرة** فانسحبوا في الشهر الاخير من نفس السنة (3)

* بعد حصار طويل لاحدى القلاع بدأ الاتراك يفقدون من حماسهم ،فحاول علج علي ارجاعهم الى ميدان المعركة وتحميسهم بقوله لهم بأن حاكم الجزائر حسن بن خير الدين قد تمكن من الدخول الى القلعة من احدى الفتحات ،الا أنه لم يفلح في رفع معنوياتهم . وهنا قام علج علي بابعاد السفن من الشاطئ حتى يجبر رجاله على المقاومة ولا يفكرون في التراجع والهروب لان السفن أصبحت بعيدة ، الا أن هذه الفكرة كذلك لم تحقق النجاح المرجو منها ،فانسحب البعض ومات البعض الآخر هناك . المرجع: Ch. De Rotalier, Hist. d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater duXVI[e] siecle, T.II, (Paris, éd.chez Paulin, I849), p.227.

I) Defontin-Maxange, op.cit.pp.99, IOI.

2) Erneste Mercier, Hist.de l'Afrique septentrionale, (Barbarie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, I830, T.3, (Paris, E.Leroux, I89I) p.IO4. voir aussi, Braudel, La Méditerranée, T.II, p.322.

** يرد صاحب البرق اليماني سبب هذه الهزيمة الى خلاف وقع بين مصطفى باشا ودرغوث رايس ((أدى الحال الى افتراق الكلمة فانتصرت النصارى بسبب ذلك على المسلمين)) ،انظر ،قطب الدين بن محمد بن أحمد النهرواني المكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ،أشرف على طبعه حمد الجاسر ، (الرياض ،منشورات دار اليمامة ، 1967) ، ص. 240 .

3) عبد العزيز الشناوي ،المرجع السابق ،ص. 723

تتفق معظم المراجع* الاوربية على أن علج علي ورث ثروة ضخمة عن درغوث في طرابلس ، الا أن الوثائق العثمانية تشير الى عكس ذلك ، وتقول ان ماتركه درغوث - وهو شيء ليس بذي أهمية كبرى - أرسل الى اسطمبول ، ولم يأخذ علج علي شيئا من هذه الثروة (1) .

سعى علج علي منذ توليه منصب بايلرباي طرابلس لبناء البرج المربع للدفاع عن السور المجاور لباب المنشية ، وفقا لسياسة أسلوب الدفاع عن الموانيء والمدن الساحلية (2) .

كانت تتبع مدن طرابلس مدن أخرى مهمة ، وحصون - منها طاشور Tachore وغار Gar ، وصورمان Sorman ، ووجد علج علي صعوبة في اخضاع السكان لدفع الضرائب خصوصا وأن هؤلاء كانوا فرسانا مهرة ، مسلحين بالاسلحة النارية فثاروا على الحكم عام 1567 بسبب عدم موافقتهم على دفع الضرائب التي كان يطالبهم بها ، فكانوا يكرون ثم يفرون دون أن يمكنوا علج علي من الانتصار عليهم في مواجهة حقيقية (3) ، فكانوا يزعجونه كثيرا بهذا النوع من الحروب التي لم يكن متعودا عليها .

عندما تولى علج علي السلطة في طرابلس عمل على تنشيط الجهاد البحري في البحر الابيض المتوسط ، فكان يغير على جميع السفن التابعة للعدو ، وتمكن خلال هذه المدة التي قضاها بطرابلس - وهي حوالي ثلاث سنوات - من تقوية نفسه ومركزه وقد برهن فعليا على أنه جدير بالمنصب الذي أسند اليه ، وأنه جدير بأن يكون خليفة لدرغوث رايس في طرابلس ، ولخير الدين وابنه حسن وغيرهما في الجزائر ، وهكذا لفت نظر السلطان اليه ، فاختاره لمنصب البايلرباي في الجزائر ، وعينه فيه بالفعل في شهر مارس 1568 .

---

* من هذه المراجع:
-Haëdo, Hist. des Rois d'Alger.
-Defontin-Maxange, Alger avant la conquête.

1) نقلا عن التميمي ، المرجع السابق ، ص . 94 . كذلك ، خليل الساحلي ، (وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة 1565) ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 7 - 8 ، جانفي 1977 ، ص . 43

2) التميمي ، المرجع السابق ، ص . 90

3) Defontin-Maxange, op.cit., pp.I03;I04.

المسيحيين الذين أهانوه في الاسر مدة أربع عشرة سنة .

عمل خلال حكمه في الجزائر على اعطاء دفع جديد للجهاد البحري ، وتحت سلطته تكون أولئك الحكام الجزائريون الذين خربوا تجارة اسبانيا بغاراتهم المتكررة على شواطئها لمدة نصف قرن ، ومن هؤلاء : مراد رايس ، مامي أرنؤوط ، دبيبو جعفر ، دالي مامي (أول سيد لسيرفانتيز) ، حسن فنزيانو ... (1) .

جاء علج علي الى الجزائر وهو عاقد العزم على اعطاء اسبانيا ضربات كبيرة ، سواء في ممتلكاتها بافريقيا ، أو في اسبانيا نفسها ، ولذا عمل منذ وصوله على تحضير قوة كبيرة من الجيش البري والبحري قصد توجيهها ضد وهران (2) ، مغتنما بعض الظروف التي ساعدته ، منها خاصة انشغال اسبانيا بثورة الموريسكيين التي تزامن اندلاعها مع وصول علج علي الى الجزائر ، وعمل كذلك بعد وصوله الى الجزائر على توسيع أراضي الايالة نحو الغرب (3) .

اشتهر علج علي بامكانياته البحرية التي لا ينازعها فيها أحد . وقد عمل في كل مكان حكم فيه على انعاش هذا الميدان بكل الوسائل الممكنة ، فمن جهة بناء السفن نجد أنه أقام أو نشط الترسانات التي تبني فيها السفن ، ومن جهة الجهاد البحري نجد أنه كثف جهوده ورفع عدد غاراته على العدو فكان يكثر الخروج الى البحر لدرجة أن مدة اقامته خارج الجزائر تفوق بكثير مدة اقامته بها . وهذا كله جعل البحرية الجزائرية تلعب دورا كبيرا في النشاط البحري الذي يقوم به السلطان في البحر الابيض المتوسط . وقد ساهم مساهمة كبيرة في كل من فتح قبرص

I) DE Grammont, Hist. d'Alger sous la domination turque, (Paris, I889), p.I07.

2) Mercier, op.cit., p.I06.

3) Encyclopédie de l'Islam, T.III, p.I037.

2 ـ علج علي بايلرباي الجزائر ومختلف أعماله :في تونس،في الاندلس،في قبرص...

في شهر رمضان 975هـ الموافق لشهر مارس 1568 عيّن السلطان العثماني علج علي بايلرباي على الجزائر خلفا لمحمد بن صالح رايس،وقام السلطان بهذا التغيير لان محمد باشا قمع الثورة التي قامت بقسنطينة بكل شدة ،فهرب سكان المدينة والتحق بعضهم بأسطمبول عن طريق طرابلس ورفعوا شكواهم للسلطان ضد هذا الباشا والشدة التي استعملها في قمع الثورة وكذلك أملاكهم التي انتزعها منهم • فأرسل السلطان أوامره بأن يرجع لهم أموالهم ،وعوضه بحاكم جديد هو علج علي (1) • وقد فكر السلطان أن نقله أحسن من استمراره في الايالة لان ذلك سيكون من بواعث السخط التي ستدفع بسكان قسنطينة الى التفكير في الثورة من جديد ،خصوصا وأن المنطقة قريبة من تونس المعادية للاتراك (2) • وعندما وصل علج علي الى الجزائر استقبل بكل حفاوة ،بحيث ذهبت لملاقاته باخرتان ،كما وجد في استقباله على الرصيف في الميناء مسؤولي الانكشارية وعلى رأسهم الآغا ،وأطلقت 1500 طلقة مدفعية من مختلف الحصون والسفن لتحيته• وبمجرد نزوله الى الارض قدم له حصان زين بما يناسب المقام ،له لجام وركاب مذهبان ومزينان بالفيروز• أما هو فكان يرتدي سترة بيضاء ،وهو اللون الذي يرمز الى السلام (3)•

أجمع معظم المؤرخين أن علج علي كانت له فكرة جمع الشمال الافريقي تحت سلطة واحدة • وذهب البعض الى القول بأنه فكر في تحقيق هذا بمجرد أن تولى السلطة في الجزائر (4) •وكانت له رغبة أخرى عمل على تحقيقها ،وهي محاربة المسيحيين بكل ما أوتي من الوسائل ، ولم يدخر جهدا في تحقيق هذه الرغبة • ويبدو أنه ظل ساخطا على

1) Haëdo,op.cit.,R.A.,T.24,p.371.

2) الميلي ،المرجع السابق ،ص• 103

3) L.Galibert,op.cit.,p.209.

4) Defontin-Maxange,op.cit.,pp.82-119.

ومعركة ليبانت التاريخية كما سيأتي الحديث عنها في حينه •

ان المكانة التي تحتلها البحرية الجزائرية في الصراع العثماني المسيحي * تبين مدى أهميتها ، ومدى أهمية الجزائر في هذا العهد• الا أن هذه الاهمية خلقت مشكلا للايالة ولو بشكل غير مباشر ، وهو غياب البايلرباي ، وترك أوامر الايالة للخلفاء ، لان البايلرباي كثيرا ما يكون في البحر كما رقي الى منصب القابودان باشا مع الاحتفاظ بمنصبه في الجزائر•

بالنسبة للجهاد البحري - أو القرصنة كما يصر الاوربيون على تسميتها - في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، عرف دفعا كبيرا بتولية علج علي الحكم في الجزائر ، اذ تمكن من جمع رياس افريقيا الشمالية حواليه كما كون رياسا آخرين سيصبحون فيما بعد سادة البحر الابيض المتوسط• يقررون في مصير كل السفن المسيحية التي تجوب أرجاء هذا البحر ، خاصة التجارية منها ، ولم يحدث قبل هذا العهد أن تعرضت السواحل الايطالية والاسبانية لمثل الغارات الاسلامية التي عرفتها بعد تولي علج علي لمنصبه في الجزائر(1) •

يتضح من بعض المراجع والمصادر كذلك أن علج علي باشا كان على خلاف مع الجيش الانكشاري في الجزائر ، شأنه شأن سابقيه من الحكام** لذا قرر ترك الجنينة مقر الحكام واستقر بكل متاعه وأتباعه وثروته

* عن البحرية الجزائرية في العهد العثماني ودورها في الصراع العثماني المسيحي انظر M.Belhamissi, Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane, Thèse d'etat, Université de Bordeaux III, 4 vol. Mars 1986.

1) Defontin-Maxange, op.cit., p.123.

** كان الانكشاريون يطالبون دائما بالمشاركة في الغنائم البحرية التي كان يتحصل عليها الرياس • الا أن هؤلاء كانوا يرفضون ذلك الى غاية 1567 حيث سمح لهم محمد بن صالح رايس بالعمل على السفن ، وأخذ نصيب من الغنيمة ، الا أن الخلاف ظل قائما ما بين الرياس والانكشاريين ، وعلى أساس أن البايلرباي كان من الرياس ، فالانكشاريون كانوا يناصبونه نفس العداء •

في حصن خارج المدينة بضواحي باب الواد سمي باسمه (برج الحاج علي)* وهو يقع في مكان يشرف منه على البحر ، ومدافعه تحمي حوضا بحريا صغيرا حيث ترسو سفنه وهي مستعدة للاقلاع في أي وقت يشعر فيه بالخطر (1) .

فكر علج علي وهو في الجزائر في تحقيق فكرة طالما راودته وهو في طرابلس ، ألا وهي تحقيق وحدة مغربية تحت حكم اسلامي خاضع للدولة العثمانية (2) . على أن بعض الكتاب اتهموه بأنه كان ينوي تحقيق مثل هذه الوحدة والاستقلال بالشمال الافريقي عن اسطمبول وأنه منذ تعيينه في هذا المنصب كان يعمل على تحقيق هذه الفكرة ، وكان يرى أن تحقيق هذا المخطط يتوقف على النقاط التالية :

1 - تخليص تونس من الحكم العميل للاسبان .

2 - استرجاع وهران وتخليص الجزائر من الاسبان .

3 - مساعدة مسلمي الاندلس في ثورتهم ضد الاسبان من أجل استعادة مكانتهم الاجتماعية والدينية ولم لا السياسية ، ومثل هذه الثورة ستشغل الأسبان عن جهات أخرى من امبراطوريتهم ، وستفتح بذلك الابواب واسعة أمام الدولة العثمانية .

4 - تدعيم الحكم الموالي للعثمانيين في المغرب الاقصى وطرد الحكام الموالين للاسبان . وقد لخص توفيق المدني هذا البرنامج في نقطتين فقط (هما) : تحرير المغرب العربي من بقايا الاسبان والاندفاع نحو الاندلس لمساعدة المسلمين (3) .

---

* عن هذا البرج انظر: - De Grammont, <u>Hist. d'Alger sous la domination turque</u>, pp. I00, I03.
- Haëdo; (Topographia), in, <u>R.A.</u>, T. I4, p; 425.
- Noureddine Abdelkader, <u>Un épisode de l'ancienne Alger, histoire de Geronimo.</u> (دون بيانات الطبع)

I) G. Delphin, op. cit., p. 222.

2) P. Sebag, op. cit., p. I75.

3) المدني ، المرجع السابق ، ص . 391 .

هذه هي النقاط التي سيعمل علج علي على تحقيقها طوال المدة التي قضاها حاكما للجزائر (1568 - 1587)، وقد أظهر كفاءات كبيرة في الميدان الحربي سواء الكفاءات البرية منها أو البحرية عندما بدأ ينفذ برنامجه هذا • وقد حقق نجاحا كبيرا في مخططه سواء في تونس أو المغرب الاقصى، ولم يسعفه الحظ في وهران، كما أن الجهود التي بذلها لمساعدة المسلمين في الاندلس لم تحقق الاهداف المنتظرة منها، ولو أنها شدّت أزر المسلمين في الاندلس بعض الوقت، كما أن عدم تحقيق هذا الهدف ليس بسبب التقصير منه، وانما يرجع السبب لعوامل أخرى سنراها في حينها •*

أ- تونس :

ان أول نقطة نفذها علج علي في برنامجه هي أخذ تونس والحاقها بالجزائر• ولم تكن الاوضاع الداخلية بتونس الحفصية في هذا الوقت على ما يرام، كما أن الاسبان كانوا طامعين فيها، وكان شارل الخامس قد أخذها عام 1535 وطرد منها الحامية العثمانية التي كان خير الدين بربروس قد تركها بها بعد أن استولى عليها عام 1534• وكان مستشارو شارل الخامس يرون أنه من الاحسن الاستيلاء مباشرة على تونس بدلا من تركها بيد حاكم غير قادر، ذي شعبية سيئة للغاية (1) •

كان مولاي الحسن الذي نصبه شارل الخامس على العرش عام 1535 يواجه مشكلين أساسيين هما : شعبه الرافض لسلطته بعد أن أصبح عميلا للاسبان، وابنه الطامع في العرش• ولم يبن في مكانه المدة التي بقيها الا بدعم من

---

* انظر موضوع الاندلس في العنوان المقبل •

I) De Grammont, op. cit., p. I06.

من الاسبان . وقد تدخل هؤلاء مثلا عام 1540 عن طريق أندري دوريا لاعادة قليبية وسوسة وصفاقس والمنستير اليه بعد أن أخذها منه درغوث(1) . في حين أقام أحد الرجال الدينيين حكما مستقلا في الجنوب التونسي واتخذ القيروان عاصمة له وهذا الرجل هو عرفة الشابي *، فحوصر مولاي حسن فأصبح يعيش على مساعدات الاسبان ، وبالمقابل وعد بتقديم جميع حصون البلاد لهم ، وصرح بأنه ان لم تتقدم له اسبانيا هذه المساعدات فهو غير قادر على البقاء ساعة واحدة في تونس(2) . استطاع ابنه السلطان أحمد أن يتغلب عليه ، وأخذه أسيرا ، وقد سمل عينيه . ثم أخذ تونس وتخلص من الداعي الحفصي يحي الذي نصبه عرفة الشابي سلطانا على تونس ، ثم أخذ يناور بين الاسبان والاتراك ، ولم يلبث السلطان

1) جوليان ، المرجع السابق ، ص . 346 .

* الشابية نسبة الى مدينة الشابة ، وهي مدينة قريبة من المهدية . برزت هذه العائلة منذ القرن الخامس عشر ، وأصبح لها تأثير في القيروان ، وثارت على الحفصيين زمن عرفة بن نعمون الشابي ، وحاول السلطان الحسن القضاء على ثورتهم الا أنه انهزم في القيروان ، فقرر الاستنجاد بالاسبان وأثناء غيابه عن تونس ، ثار ضده ابنه أحمد .

والشابية طريقة جمعت بين التصوف والعمل السياسي ، فكان عرفة الشابي يريد تحرير تونس من الحفصيين المتخاذلين والاتراك المترصدين والاسبان المحتلين . كانت له معارك كثيرة انتصر فيها على الحسن الحفصي الذي كان يسانده الاسبان ، عندما ثار عرفة الشابي في القيروان عين رجلا باسم يحي وهو من لمتونة ، ادعى أنه من بني حفص قدم من المغرب . وحكم هذا الرجل وكأنه سلطان حفصي . وذات يوم دخل مدينة تونس متنكرا بلباس نسوي ، الا أنه تم كشفه ، فألقي عليه القبض وقتل في ساحة عمومية .

تولى زعامة العائلة بعد عرفة ، ابن أخيه محمد بن أبي الطيب الشابي ، واستمر في الحكم الى أن انتزع منه درغوث القيروان وقتله وشرد أهله وحاميته الى الزاب . عن الشابية انظر : علي الشابي ، عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي ، (تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1982) . ابن أبي الضياف ، الاتحاف ، ج 2 ، ص 1 .

-Monchicourt, Kairouan et les Chabbia, (Tunis, I939).

-Feraud (Les Harar Seigneurs des Hanencha), R.A. I874àI879.

2) De Grammont, op.cit.p.I05.voir aussi T.Guiga, op.cit., p.47.

أحمد هو الآخر أن أصبح مكروها من طرف الرعية بسبب جوره ، وبسبب رؤيتهم للاسبان يتصرفون كما يشاؤون في البلاد فطلبوا المساعدة من العثمانيين (1) ويشير ابن أبي دينار الى أن علج علي كانت له ضغائن ضد السلطان أحمد منذ أن كان حاكما على طرابلس، ويقول ان السلطان أحمد ، كان كأبيه غير مرغوب فيه من طرف شعبه بسبب تعامله مع الاسبان النصارى ، فاستاء بعض الاعيان وبعض رجال الدولة من الجور الذي سلطه على الشعب، فراسلوا علج علي يطلبون منه المجيء الى تونس لانقاذهم مما هم فيه ، ووعدوه بتسليمه الحكم هناك وأهم الشخصيات التي راسلته هي : ابن جبيارة Ben Djibara قايد الفرسان ، القايد بوطيب والقايد الخضار* وكانت مراسلتهم الاولى عام 1568 بعد وصول علج علي الى السلطة في الجزائر ، ثم كرروا الطلب عام 1569 ، وهذا الطلب الثاني جعل علج علي يقرر الزحف على تونس(2) .

يقول ابن أبي الضياف : ((ان أبا العباس (أحمد) تنكر لوزيره أبي الطيب الخضار ، وفكر الوصول الى اغتياله ، وأحس الوزير بالشر ، فداخل صاحب الجزائر علي باشا في غزو تونس، وهون عليه أمرها والتزم له بالاعانة ، وجعل ذلك سلما لنجاته من النكبة الحائمة عليه ، واتخذها يدا عند علي باشا)) (3) .

من الواضح أن علج علي كان يهيء نفسه للهجوم على تونس بمجرد وصوله الى الجزائر . وكان ينتظر الفرصة المناسبة لذلك ، وهكذا جاءته هذه الفرصة عام 1569 عندما اتصل بالمراسلة الثانية للاشخاص المذكورين سابقا . ومن جهة أخرى وجد في ثورة الاندلس التي قام بها المورسكيون ، فرصة مناسبة انشغل بها الاسبان بعض الوقت عن التدخل

I) Idem,p.I06.

2) Haëdo,op.cit.,T.24,pp.406,407.

3) ابن أبي الضياف، المرجع السابق ، ص. 18.

* يذكر ابن أبي دينار وابن أبي الضياف الاسمين على أنهما اسم لرجل واحد فيسميانه أبو الطيب الخضار" ويعتبرهما هايدو رجلين مختلفين .

لمساعدة السلطان أحمد ،كما أنه قرر أن تكون الحملة بريسة ،حتى اذا أرادت السفن الاسبانية التدخل فهي لا تقوى على ذلك (1)

تحرك علج علي من الجزائر في شهر أكتوبر 1569 تاركا خليفة له وهو مامي قورصو يحكم البلاد في غيابه ،وأخذ معه قوة تتكون من ستة آلاف زواوي (سبعة آلاف عند ابن أبي دينار) ،وخمسة آلاف جندي نظامي • وفي طريقه عزل في كل مكان مر به ،الشيوخ القدامى ووضعهم بقياد أتراك ،وحصن الفنادق التي استولى عليها (2) وفي باجة التقى مع قوات السلطان أحمد البالغة ثلاثين ألف جندي ،وكان معظم قادتهم من الذين طلبوا من علج علي المجيء الى تونس لانقاذهم ، وبمجرد بدء المعارك انتقل معظمهم الى صفوف علج علي ،فاضطر السلطان الحفصي الى الهروب (3) •

زحف علج علي خلف السلطان أحمد ،وتم اللقاء الثاني بين الجيشين في منطقة سيدي علي الحطاب ،وانهزم السلطان ثانية ،ويقال انه وقع لقاء ثالث عند سيدي عبد الوهاب ،فانهزم السلطان كذلك وانسحب الى تونس (4) • وعند وصوله الى عاصمته وجد أبوابها موصدة في وجهه ،فالتجأ الى المسيحيين الموجودين بالقلعة القريبة من تونس (5) • ويقول ابن أبي الضياف انه دخل العاصمة ولما حاصرها علج علي هرب ليلا الى القصبة مع أهله وثروته ،فتوجه الى حلق الوادي عن طريق رادس والاعراب وراءه ينهبونه (6) •

---

1) ليلى الصباغ، (ثورة غرناطة عام 1568 والدولة العثمانية) ،الاصالة ، العدد 27 ،السنة 1975 ،ص• 165

2) Mouillard, op.cit., p.367.

3) DE Grammont, op.cit., p.I07. voir aussi, Haëdo, op.cit., p.407.

4) ابن أبي دينار ،المرجع السابق ،ص• 173

5) De Grammont, op.cit., p.I07.

6) ابن أبي الضياف ،المرجع السابق ،ص• 19 •

دخل علج علي قصبة تونس في أواخر سنة 1569، ونادى المنادي بالامان في الناس، وأخذ البيعة عن أهل البلد للسلطان سليم وضربت السكة باسمه (1) • وقد فكر علج علي في أن مثل هذا البلد الذي له عاداته وتقاليده ومصالحه الخاصة لا بدّ أن يحتاج الى تعيين الحكام وتحديد السلطات بسرعة • لذا نظم البلاد وحدد طرق تسييرها، ووضع لها جيشا متكونا من خمسة آلاف رجل * موزعين على مائتي كتيبة تتكون الواحدة منها من 25 رجلا تسمى الاوجاق، يحكمها جميعا رجل باسم (أوجاقباشي) (2) • وعيّن القايد رمضان حاكما عاما للبلاد • وبعد أن قضى بتونس فصل الشتاء، غادرها في شهر فيفري 1570 عائدا الى الجزائر التي وصلها في نفس السنة •

يتضح من بعض المراسلات أن مصلحة المخابرات كانت نشيطة في هذا العهد، بحيث علمت اسبانيا بمشروع علج علي قبل غزوه لتونس • ففي يوم 8 أكتوبر، قال أحد الاسبان السجناء بالجزائر يسمى هيرونيمو دي ماندوزا Hieronimo de Mendoza في رسالة بعث بها لاسبانيا بأنه علم بهذا المشروع من مصادر موثوق بها • وفي يوم 29 أكتوبر وصلت رسالة أخرى الى اسبانيا تؤكد الاولى، فأعطى فليب الثاني الاوامر باعلام الحاكم الاسباني في حلق الوادي ألونسو بيمونتال Alonso Pimentel (3) حتى يتخذ احتياطاته ولا يفاجأ بالهجوم العثماني على القلعة • ومن هنا يتضح أن الإسبان استعدوا لمواجهة علج علي في حالة هجومه على قلعة حلق الوادي، وتتفق معظم المراجع على أنه لم يحاصرها، الا أن الموسوعة الاسلامية الطبعة التركية (Islam Ansiklopedisi) تقول انه حاصرها برا، لانه قبل ذهابه من الجزائر كان قد أوصى رجلا من أتباعه (مامي قورصو؟) أن يأتي عن طريق البحر ليحاصر القلعة بحرا، الا أن ذلك

1) ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص • 175

* 800 رجل وبعض الزواوة عند ابن أبي دينار • 3000 تركي عند دي غرامون • 800 تركي و1000 زواوي عند روسو Rousseau في المراجع السابقة الذكر •

2) Galibert, op.cit., p.216.

3) Braudel, La Méditérranée...p.365.

لم يحدث (1) وأكد هذا القول روتالي Rotalier (2) •

عاد علج علي الى الجزائر دون أن يستولي على حلق الوادي ، الا أنه فكر في فتحها في الوقت المناسب ، لان مثل هذه القلعة يتطلب فتحها قوة بحرية لمهاجمتها عن طريق البحر • في حين كان علج علي قد ذهب الى تونس عن طريق البر ، ومع ذلك فقد أصدر أوامره الى خليفته مامي قورصو قبل توجهه الى تونس بتجهيز الاسطول وتهيئته بحيث يكون مستعدا للاقلاع بمجرد عودته الى الجزائر قصد فتح القلعة المذكورة بعد حصوله على مساعدة من الباب العالي (3) وقد ذهب بنفسه الى اسطمبول لطلب هذه المساعدة •

بالنسبة للقايد رمضان الذي عينه علج علي على تونس ، جاءه التعيين الرسمي من اسطمبول بتاريخ 25 شوال 979هـ الموافق ليوم 11 مارس 1572 ، وهو يتضمن ما يلي : ((حكم الى القايد رمضان ، قائم مقام ووكيل أمير أمراء الجزائر (علج علي) في سوسة والقيروان والمنستير وبلد الجريد وبنزرت من نواحي تونس يتضمن تعيينه على المناطق المذكورة • • •)) (4) •

عندما وصل علج علي الى الجزائر ، جهز أسطولا يتكون من 19 سفينة منها سبع كاليرات و12 غليوطة ، فخرج بها الى البحر عاقدا العزم على الذهاب الى اسطمبول لطلب المساعدة ، وفي طريقه قرر اعلان الحرب ضد السواحل الايطالية والاسبانية والمالطية التي كانت تحركاتها المريبة تزعج السلطان (5) •

I)Islam Ansiklopedisi,art.cit.

2) Rotalier,op.cit.,p.p.25I,252.

3)De Grammont,op.cit.,p.I07.

4) أرشيف رئاسة الوزراء باسطمبول ، مهمة دفتري رقم 12 ، حكم رقم 1037 بتاريخ 25 شوال 979هـ •

5) Rotalier,op.cit.,pp.253-256.

سارعت القوات المسيحية هي الاخرى للتحرك ،فأعطيت الاوامر لسان كليمون Saint Clement أمير سفن مالطة بالالتحاق بصقلية ، حيث يوجد أسطول جون دوريا Jean Doria ،وكانت القوات المسيحية تفكر في ضرب القوات العثمانية التي كانت تجوب البحر الابيض المتوسط وتستولي على التجارة المسيحية بشكل خاص، وعندما كانت القوات المالطية في طريقها داخل القناة الفاصلة بين صقلية ومالطة ظهر أمامها فجأة أسطول علج علي، ولاحظ فرسان مالطة أنهم أقل عددا من قوة المسلمين ،وفكروا أن الهروب أمام هذه القوة هو أحسن الحلول في مثل هذه الظروف • فهربوا بقوة الاشرعة والمجاديف ولم يقاوم الا حاكم السفينة التي تحمل اسم القديسة آن Sainte Anne ،الا أنه كان أضعف من أن يتحمل وحده قوة الجزائريين، فاستسلم بعد أن قتل أو جرح معظم رجاله • ولاحق علج علي الهاربين وتمكن من سفينتين ،وبعد معركة غير متكافئة استسلمتا له، ويقول هايدو انه وجدهما على الشاطئ• وقد هجرهما رجالهما (1) ،وقد وجد بداخلهما ثروة كبيرة وعددا من الاسرى المسلمين المقيدين الى مقاعد التجديف•

عاد علج علي الى الجزائر دون أن يصل الى اسطمبول ،لانه سمع في الطريق بأخبار حصار قبرص فرجع الى الجزائر لتحضير نفسه للمشاركة (2) ودخلها يوم 20 جويلية 1570 ،وعلق على باب البحر الدروع التي أخذها من فرسان القديس يوحنا ومعها صورة هذا القديس ،وقد انتزعها من سفينة القبطان المسيحي التي استولى عليها • وقد عامل الاسرى الذين أخذهم من سفينة القديسة آن معاملة انسانية بسبب مقاومتهم ،أما الذين هربوا من أمامه ثم ألقى القبض عليهم ،فقد كان عنيفا معهم (3) •كما أنه عامل معاملة خاصة مفتش هذه السفن فأراد شنقه في الحين لانه سمح لقائد الاسطول بحمل البقر والغنم

I)Haëdo,op.cit.,pp.I44,I45.Fevzi,op.cit.,pp.5I3-5I7. Rotalier,op.cit.,pp.252;253.

3) M.P.Clansolles,L'Algerie pittoresque, ou Hist. de la regence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jaurs, (Paris,I843),p.I5I.

2) Haëdo,op.cit.,T.24,pp.408,409.

على سفنه ،واعتبر علج علي ذلك اهانة لسفينته الحربية أولا ولمهنة القرصان ثانيا (1) .

ب . الأندلس :

ارتبط اسم علج علي منذ توليه الحكم في الجزائر بالثورة التي قامت في الاندلس. ففي عام 1568 ،أشعل المسلمون الذين أجبروا على اعتناق المسيحية هناك ثورة أمتد لهيبها ليشمل مناطق كثيرة من بلاد اسبانيا . وهذه الثورة لم تكن الاولى في شبه جزيرة ايبيريا ،ولم تكن كذلك الاخيرة . وقد اتصل المسلمون الاندلسيون منذ وقت مبكر بالدولة العثمانية يطلبون منها النجدة . وقد حفظ لنا التاريخ القصيدة الشهيرة التي وجهوها للسلطان العثماني بايزيد الثاني . وهي قصيدة يستصرخ فيها صاحبها السلطان العثماني ويستغيث به لنصرة اخوانه المتنصرين ،ويصف له ما تنزله اسبانيا المسيحية برعاياها الجدد وما يصيبهم من تعسف ديوان التحقيق ،ومما يقول فيها :

فلما دخلنا تحت عقد زمامهم	بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة
وخان عهودا كان قد غرنا بها	ونصّرنا كرها بعنف وسطوة
وكل كتاب كان في أمر ديننا	ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم	ولا مصحفا يخلو به للقراءة
ومن صام أو صلى ويعلم حاله	ففي النار يلقوه على كل حالة (2) .

ومن المعتقد أن هذه الرسالة أو القصيدة وجهت بعد ثورة البشرات حوالي عام 1505م . وهي تلخص وضعا آل اليه المسلمون في الاندلس بعد سقوطها بيد المسيحيين عام 1492م .

I) Rotalier,op.cit.,p.257.

2) شهاب الدين أحمد ،المقري ،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج 1 ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939) ،ص ص . 111، 112.

في يوم 12 مارس 1524، صدر في اسبانيا مرسوم يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه، واخراج كل من أبى النصرانية من اسبانيا، وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصر أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة، على أن تحول كل المساجد الباقية الى كنائس(1) . وعند تطبيق هذا المرسوم، نشبت ثورة في معظم الانحاء التي يقطنها المسلمون، ولكنها أخمدت بسهولة، الا أن بلنسية استفادت من موقعها على البحر فسمح لها ذلك بالاتصال بالمغرب لطلب تقديم يد المساعدة، ولذا كانت في طليعة المناطق الثائرة (2) .

تحصل رئيس أساقفة غرناطة من فليب الثاني على مرسوم يحظر به على المسلمين الاستحمام والرقص على الطريقة المغربية، وألا يتكلموا باللغة العربية، وأن تخرج نساؤهم سافرات، وتظل أبوابهم مفتوحة يوم الجمعة حتى يراقبهم الجميع(3) . وكان مثل هذا القرار كافيا لحمل المسلمين على العصيان، فقد تسلح هؤلاء، وحاولوا أخذ غرناطة على حين غفلة . واتصلوا بمسلمي شمال افريقيا . كما أن قسما كبيرا منهم قرر الهجرة الى البلاد الاسلامية الاخرى هروبا من الحياة القاسية التي فرضت عليهم . الا أن الهجرة، كان الإسبان قد عملوا على منعها منذ عام 1541، فأصدروا مرسوما يحرم على المسلمين تغيير أماكن سكناهم، كما حرموا عليهم الخروج الى بلنسية التي كانت طريقهم المفضل لركوب البحر . ثم صدر قرار آخر يحرم عليهم الهجرة الى الثغور الا بترخيص ملكي نظير رسم فادح (4) . وكانت السلطات الاسبانية تخشى دائما

---

1) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 256 انظر كذلك :
Joseph Perez, L'Espagne du XVI° siecle, (Paris, Arman-Colin, 1973), pp. 108;109.

2) نفسه، ص. 257

3) Jaques - Auguste de THOU, Hist. Universelle, T.IV, (J.L. Brandmuller, 1742), p. 339
انظر كذلك :
لوي كارد ياك، الموريسكيون الاندلسيون، ترجمة عبد الجليل التميمي، (تونس، 1983)

4) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 260 .

الـداخليـة ولم تلب الدعوة الموجهـة اليهـا من طرف الثوار باستثنـاء بعض المتطوعـين وباستثناء دولة الجزائر كذلك .

وفي هذا الاطار طلب السلطان العثماني عن طريق بعض عملائـه من الملك الفرنسي أن يسمح له باستعمال ميناء طولون ، لانه لا يوجد في شمال افريقيـا ميناء يسمح لقوة بحرية عثمانية كبيرة باستعمالـه ، ولكن ميناء طولـون سيكـون مناسبا لمثـل هـذه القـوة (1) . ولكن هذه الفكرة لم تطبق لاسباب سبق ذكرهـا ، ولذا لم تنتظر الدولة العثمانيـة رد الملك الفرنسي مع العلم أن هـذا الملك كان يرحب دائما بأي عمل مشترك ضـد الدولة الاسبانية فـي هـذا الوقت رغم انضاء معاهدة كاتوكامبريزي ، خصوصا وأنه بعد سنتين فقط سيطلب من اسطمبول أن تمنحـه ايالـة الجزائر ليحكمها دوق دانجـو ((لحماية الجزائر من الاسبان)) .

كاتب علج علي اسطمبول طالبا منها الاذن بمساعدة الثوار في الاندلس (2) وقـد حصـل منهـا على المـوافقـة (3) .

اختار المسلمون فصل الشتاء هـذه المرة لاعلان الثورة لطول الليل الذي يسمح لهم بالتنقـل تحت جناح الظـلام والاقتراب من المدن دون اكتشافهم من طرف الاسبان ، وقـد حـددوا يوم عيد الفصح من سنة 1568 يوم انطـلاق الثورة ، لان في هـذا اليوم سيكون المسيحيون مجتمعـين اما في الكنائـس أو في بيوتهـم بدون سـلاح (4) . وفي هذه المـرة اختير زعيم آخر للثـورة ينحدر من بني أميـة ويدعى فرناندو دي فالور Fernando de Valor ، وكان يبلغ من العمـر عشرين سنة ، وكان قبل انضمامه الى الثورة مستشارا فـي

1) جون وولف ، المرجع السابق ، ص . 84

2) Tarihi Osmani Encumeni, mecmuasi n° 27, pp. 217-222, cité par Sami ILTER, op. cit., T.I, p.145.

3) أ . ر . و . مهمة دفتري رقم 9 ، حكم رقم 231 . ٦٣

4) DE Thou, op. cit., p. 342.

من أي اتصال بمسلمي المغرب والعثمانيين (1) .

في عهد فليب الثاني اشتدت حالة المسلمين سوءا ،لأن هذا الملك كان يخضع لوحي الرهبان والكنيسة ،ويرى في الموريسكيين ما تصورهم به الكنيسة عنصرا بغيضا وخطرا دخيلا على المجتمع الاسباني ،وبمجرد اعتلائه العرش ظهرت مجموعة من القوانين التي زادت من تدهور الحالة السياسية والدينية والاجتماعية للموريسكيين .

في عام 1563 ،صدر مرسوم يحرم على الموريسكيين حمل السلاح الا بترخيص من الحاكم العام ،وظهرت قوانين أخرى أكثر خطورة ،منها ما يحرم استعمال اللغة العربية والظهور باللباس العربي ... وهي قوانين كانت قد صدرت من قبل الا أنها لم تنفذ الا في عهد فليب الثاني عام 1566 (2) .

ذهب وفد من الموريسكيين في ربيع 1567 الى اسطمبول لطلب المساعدة ، واستقبل هذا الوفد من طرف مختلف الشخصيات ومنها العلماء ،واستقبال هؤلاء لهم أبرز الطابع الديني للحرب بالاندلس ،فهي حرب بين الهلال والصليب ، وقد فكر السلطان في الاستعانة بفرنسا للقيام بعمل مشترك في اسبانيا ،الا أن الظروف* لم تسمح بذلك ،كما فكر في استغلال بعض الظروف وهي : حياد بريطانيا في هذا الوقت والمشاكل الداخلية للبلاد المنخفضة ،وكذلك الانشقاق الذي حدث بايطاليا بسبب تسلط اسبانيا ،وبسبب الغارات الكثيرة على شواطئها من طرف العثمانيين ،وكذلك الثورات الدينية بألمانيا بسبب اللوثريين بشكل خاص(3) .

I) Hist. et Historiens de l'Algerie, Introduction de Stephane Gsell, (Paris, P.U.F., I93I), pp.238, 239.

2) J.Pérez, op.cit., pp.I08, I09.

* قيام بعض الحروب على ضفاف البحر الاسود وعلى الحدود الايرانية وكذلك البحر الاحمر انظر ،وولف ،المرجع السابق ،ص. 82 .

3) Henri Hauser, La préponderence espagnole, I559-I660, (Paris, lib. Félix Alcan, I933), pp.86,87.

عندما تولى علج علي حكم الجزائر ،كانت فكرة الثورة قد خرجت من مرحلة التفكير الى مرحلة التطبيق، وساهم في مساعدة الثوار ،وأعطى بعدا جديدا للصراع في كافة أنحاء الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط . وأرسل الموريسكيون أحدهم وهو المسمى بارتال Partal من مدينة ناريلا Narilla الى الجزائر مرتين لمقابلة علج علي ،واحاطته علما بالوضعية الحقيقية للموريسكيين ،ونوع الاعانات التي يحتاجون اليها (1) . وكما تمت الاشارة سابقا، فان الاندلس كانت من بين الاهداف التي رسمها علج علي منذ البداية ،وقد أبدى كل الاستعداد لنجدة هذه الثورة .

كان من المقرر أن تقوم الثورة يوم الخميس المقدس الموافق ليوم 15 أفريل 1568، اذ ينشغل النصارى يومئذ باحتفالهم وصلواتهم ،وكان من المقرر أيضا أن يتزعمها أحد الصباغين وهو المسمى فرج بن فرج ،الا أن المشروع اكتشفته السلطات الاسبانية ،فاضطر الموريسكيون الى تأجيله الى فرصة أخرى (2) كما أن الحكومات المغربية* في هذا الوقت كانت مشغولة بمشاكلها

1) عبد الجليل التميمي ، (الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين) ،مجلة التاريخ المغربية ،عدد 23، 24 ،نوفمبر 1981 ،ص. 196
2) عنان ،المرجع السابق ، ص. 257
* يبدو أن ملك فاس كان يأخذ بعض الاتاوات من الموريسكيين وهذا اعتراف منهم بأنه ملكهم على أمل أن يقدم لهم المساعدة اللازمة عند اعلان الثورة بالاندلس. انظر الرسالة التي نشرها محمد بن تاويت في المجلة تطوان ،العدد السابع، 1962 ،ص. 89 ،وهذه الرسالة تحمل تاريخ 1565/11/17.
والغالب بالله وان بذل الوعود لرسل الثوار بأن يناصر ثورتهم فقد ظل في الواقع محافظا على الروابط الودية التي كانت له مع فليب الثاني ملك اسبانيا ،وعلى العكس من ذلك فقد عمل في الخفاء ضد الموريسكيين ((وما أهل الاندلس وغشه لهم وتوريطهم للهلكة في دينهم وأموالهم وأولادهم وفي نفوسهم فأمر مستعظم عند جميع من في قلبه مثقال ذرة من الايمان... فقد أمرهم غشا منه بأن يقوموا مع النصارى ليثق بهم في قولهم بظهور فعلهم ،فلما قاموا على النصارى تراضى عنهم وكانت بينه وبين النصارى مكاتبات في ذلك ومراسلات وأنه استشارهم وأشار عليهم أن يخرجوا أهل الاندلس الى ناحية المغرب وقصد بذلك تعمير سواحله ويكون لهم منه بمدينتي فاس ومراكش جيش عظيم ينتفع به في مصالح ملكه)) .انظر ،عبد الكريم كريم" ،المرجع السابق ، ص. 93، نقلا عن : تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول ،ص. 38 .

بلدية غرناطة (1) وكانت قوة الثوار تتكون من عشرين ألف رجل مسلح ، كما أن هناك مائة ألف رجل آخر قادرين على حمل السلاح ، وكانوا قد استلموا بعض الاسلحة بالفعل من الجزائر (2) . وبعد أن اشتعلت الثورة ، بعث مسؤولها الذي تسمى باسم محمد بن أمية ، بعث أخاه عبد الله الى القسطنطينية يطلب العون من جديد . ومر عبد الله هذا بالجزائر حيث استقبله علج علي بحفاوة ، وعامله على أنه أخ سلطان ، وقدم له بعض الهدايا ، ثم أرسله الى اسطمبول وأعطاه رسالة توصية للسلطان العثماني (3) .

جاء جواب السلطان العثماني في رسالة تحمل تاريخ 24 شوال 977هـ الموافق ليوم 1 أفريل 1570 يقول فيها انه منشغل كثيرا بسبب ما يجري في الاندلس ، الا أنه في الوقت الحالي منشغل بجزيرة قبرص القريبة من ممالكه ، لان الكفار نقضوا العهد وأخذوا في التعدي على التجار والحجاج ، لذا فقد تقرر فتح هذه الجزيرة خلال شهر الربيع الثاني من عام 978 هـ الموافق لشهر سبتمبر 1570م ، لذا فان ارسال الاسطول الى الاندلس سيتأخر ريثما يتم فتح هذه الجزيرة . وفي انتظار ذلك فقد أرسل أوامره لعلج علي بايلرباي الجزائر لارسال النجدات والمعونة لهم (4) . وفي هذا الوقت كان علج علي قد أرسل بالفعل العتاد والسلاح والرجال (5) الى الاندلس ، وكان في نيته ارسال الاسطول لاعانة أهل الاسلام (6) .

في الوقت الذي أرسل فيه السلطان رسالته الى الثوار بالاندلس ، أرسل رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ الى علج علي أعطى له فيها الاوامر

---

1) عنان ، المرجع السابق ، ص . 268

2) أ . ر . و . مهمة دفتري رقم 9 ، ص . 89 ، حكم رقم 231

3) DE Thou, op. cit., p. 354

4) أ . ر . و . مهمة دفتري رقم 9 ، ص . 89 ، حكم رقم 231

5) A.C. Hess, The Forgotten frontiere, (Chicago, 1978), p.89.

6) أ . ر . و . مهمة دفتري رقم 9 ، ص . 77 ، حكم رقم 204

بارسال الجند والعتاد والمعاونة لاهل الاندلس ،وتقديم ما يتيسر تقديمه من المساعدة (1) . وقد أحيط الاندلسيون علما بالاوامر المرسلة لعلج علي ،كما أحيط هذا الاخير علما بالرسالة التي بعثها الاندلسيون الى اسطمبول وكذلك بجواب السلطان .

بالنسبة لاسبانيا المسيحية ،كانت تعيش في خوف كبير من تدخل الدولة العثمانية في الاندلس ،وقد سمعت بالفعل بأن المشروع قد طرح للنقاش في اسطمبول وتخوفت كثيرا من خطر الاسلام ،سواء قبل عام 1568 أو بعده (2) .

ان تخوفات اسبانيا كانت في محلها ،فالجزائر كانت قد قررت مساعدة المسلمين سواء على المستوى الشعبي أو على المستوى الرسمي . فعلى المستوى الشعبي ،نجد أن السكان _ وبدافع الحماس الديني _ هبوا لنجدة اخوانهم بما يملكون من الوسائل ،وقد حمسهم خاصة المهاجرون الاندلسيون الذين كانوا يعيشون بينهم ،وهؤلاء كانوا شديدي الحقد على الاسبان . ففي عام 1569 قام سكان الجزائر بجمع الاسلحة في أحد المساجد ،ويبدو أن هذه الاسلحة كان البعض يتاجر فيها ،الا أن علج علي منع ذلك وجعلها صدقة ومساعدة لانقاذ الاسلام ،وقد جمعت من هذه الاسلحة كمية كبيرة تثير الدهشة (حسب قول هايدو) وأرسلت الى الاندلس(3) .

أما على المستوى الرسمي فقد طبق علج علي الاوامر التي تلقاها من اسطمبول ،والرسالة التالية تكفي للدلالة على ذلك وهي موجهة الى لويس التاسع من طرف م.دي لوز M. de LUZ مبعوث فرنسا الى مجلس المنتخبين La cour d'électeurs يقول فيها : ((... ان السيد مونتيز Montèze حاكم وهران كتب بأن ملك الجزائر ،يحضر بعزم لمهاجمته ،وسيكون معه

1) نفسه .

2) Braudel, La Méditerranée...T.II,p.I25.

3) Haëdo,op.cit.,p.I40.

أربعة عشر ألف تركي مسلحين بالاسلحة النارية ،وأكثر من ستين ألف رجل من الاهالي ،وأرسل 400 جمل محملة بالبارود الخاص بالمدفعية نحو مدينة مزغران وهي على طريق الجزائر - وهران)) (1) •

وبالفعل ،فان كل المراجع والمصادر تجمع على أن علج علي كان على استعداد لتقديم المساعدة ،وتذهب بعض المراجع الى أنه كان يريد الذهاب بنفسه * ليتولى قيادة الجهاد هناك ،لكن ما أشيع عن تجمع أساطيل المسيحية واستعدادها لاجراء معركة حاسمة مع المسلمين ، وأمر السلطان له بالاستعداد للمشاركة في هذه الحملة العظمى ،اضطره للبقاء في الجزائر منتظرا للحوادث (2) •

ومع عدم تمكنه من المشاركة بنفسه ،فانه سارع الى ارسال ست سفن محملة بالاسلحة تمكنت من انزالها عند مدينة المرية ،وفي نفس الوقت أرسل 32 سفينة (كاليرا) محملة بالرجال ،الا أنها لم تتمكن من انزالهم بسبب عاصفة هوجاء في نفس اللحظة التي كان سينزل فيها هذه القوة من الجيش • وفي شهر أكتوبر 1569 ،نجحت الجزائر في تقديم 400 بندقية وكمية من الذخائر ، فضلا عن مئات ** من الانكشاريين الذين يملكون خبرة ليكونوا عونا وقوادا للموريسكيين (3) •

في يوم 3 أكتوبر 1569 أرسل السيد فوركوفو Fourqueveaux سفير فرنسا في مدريد رسالة الى لويس التاسع ملك فرنسا يخبره فيها بعلم الاسبان بالمساعدات التي كان الاتراك ينوون تقديمها للموريسكيين ،وهي تؤكد الارقام السابقة الذكر ،وتضيف الرسالة بأن اسبانيا منزعجة كثيرا من هذه المساعدة لانها ستعود بالضرر الكبير عليها ،خاصة وأن المتطوعين سيكونون كثيرين من افريقيا (4) •

I) Chrriere,op.cit.,T.III,p.26.voir aussi,Ilter,op.cit., P.I46.

* هايدو والمرجع السابق ،ج• 2 ،ص• 404 ،هامش 1 •

2) Ilter,op.cit.,p.I46.voir aussi التميمي ، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين ،ص• 198 •

** 500 ou 600 chez Rotalier,p.25I.

3) التميمي ،المرجع السابق ، انظر كذلك سامي التير Ilter المرجع السابق ،ص• 146

4- محمد بن تاويت، (من زوايا التاريخ المغربي) ،مجلة تطوان ،عدد 7 ، 1962 ،ص 90•

واتضح من مجرى الاحداث ،أن الموريسكيين كانوا قد حضروا أنفسهم تحضيرا جيدا ،وحضروا الاسلحة اللازمة وخبأوها في مكان معين ،وكان مسؤولوهم قد اتفقوا مع الجزائريين على أن يقوموا بعمل مشترك ، وكان علج علي قد قدم المساعدات اللازمة التي سبقت الاشارة اليها ،وحضّر القوة الضرورية التي كان قد أرسلها الى مزغران تصد الهجوم بها على وهران ،وانزال القوات بعد ذلك في اسبانيا (1) وقد تقرر أن يكون هذا الانزال في يوم عيد الفصح ،وفي التاريخ المتفق عليه ، وصلت أربعون سفينة الى شواطئ المرية ،الا أن العملية منيت بالفشل بسبب العاصفة كما تمت الاشارة الى ذلك،وبسبب انتباه السلطات الاسبانية للمخطط بعد أن كشفت مخزنا للسلاح عند أحد الرجال الذين سيتزعمون الثورة ،وكانت الثورة في الجهات الاخرى قد انطلقت ،ولا يمكن ايقافها بعد أن عرف سرها (2) .

تخلى علج علي عن فكرة قيادة الاسطول شخصيا عندما علم أن دون جوان النمساوي قد كلف بالقضاء على الثورة بواسطة جيش وتعزيزات ضخمة وضعت تحت تصرفه (3) ،ويبدو أنه علم كذلك بالاهداف البعيدة لهذه الاستعدادات، وفهم"أن القضاء على الثورة لم يكن الهدف الوحيد ،وانما هناك أهداف أخرى في الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ،لذا عدل علج علي عن التوجه الى الاندلس ،وفضل اغتنام فرصة انشغال اسبانيا بمشاكلها الداخلية والاستيلاء على تونس كما تقدم . ويبدو أن السلطان سليم كذلك كان يريد تقسيم قوات اسبانيا وجعلها تحارب على جبهتين (4) . وقد اتضح ذلك في الهجوم على قبرص في الوقت الذي كانت ثورة الاندلس لم تضع أوزارها بعد . وقد وعد الثوار

---

1) محمد بن تاويت ،المرجع السابق ،ص: 90

2) DE Grammont,op.cit.,pp.I04;I05

3) التميمي ، (الدولة العثمانية وقضية الموريسكسين) ،ص: 199 .

4) DE Thou,op.cit.,p.I49.

بأنه بمجرد الاستيلاء على قبرص، سيوجه أسطوله الى الاندلس (1) .

كان رد الفعل الاسباني على الثورة عنيفا*، وكانت القيادة الاسبانية في يد دون جوان النمساوي ، فضرب الثوار بكل عنف، واستعمل الوسائل الاكثر بربرية** للقضاء على الثورة، وتمكن من تصفيتها في جهات كثيرة من اسبانيا خلال سنتي 69-1570 . وابتداء من شهر جوان 1569 ، بدأت عملية الطرد الجماعي للموريسكيين***، فتم نقل حوالي 3500 منهم من غرناطة الى المناطق البعيدة عن المدينة . وفي يوم 28 أكتوبر 1570 ، أعطيت الاوامر لطرد كل المسلمين ، وفي يوم 1 نوفمبر تم جمعهم في قوافل طويلة ثم حولوا الى منطقة الكاستيل (2) .

يتضح من بعض الرسائل الموجودة بأرشيف رئاسة الوزراء بأسطمبول أن الموريسكيين بقوا على اتصال بالباب العالي بعد أن تم القضاء على ثورتهم من طرف دون جوان النمساوي . فقد وجه هؤلاء رسالة استغاثة جديدة للسلطان أخبروه فيها بعدم وصول أسلحة كانت قد أرسلت اليهم (دون أن تذكر الطرف الذي أرسلها) ، وقالوا انهم أصبحوا يواجهون ضائقة في الذخيرة ، وان الكفار تمكنوا من السيطرة على الجهات التي كانت قد بقيت بأيديهم في السابق . وجاء جواب السلطان بأنه أعطى تعليمات لعلج علي بشأن التوجه الى الاندلس على رأس بضعة قطع من الاسطول لمعاونتهم اذا سمحت الظروف بذلك (3) .

توضح رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ 3 صفر 979 هـ الموافق ليوم 27 جوان 1571 ، موجهة لعلج علي من طرف السلطان سليم الثاني يخبره فيها بالرسالة السابقة ويأمره : ((بأن يظل عينا ساهرة ، وأذنا صاغية تجاه الاندلس ، حيث أن معاونتهم ومظاهرتهم بما يمكن تقديمه وحسبما يقتضيه الوضع أصبح أمرا

---

1) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 9 ، ص. 89 ، حكم رقم 231 .

* انظر رسالة فوركوفو ، نشرها محمد بن تاويت ، المرجع السابق ، ص. 93

** عن هذه الوسائل انظر لوي كارد ياك ، المرجع السابق .

*** رسالة فوركوفو المشار اليها سابقا :

Braudel, La Méditerranée, T.II, p.I26. (2

3) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 14 ، ص. 199 ، حكم رقم 283 ، بتاريخ 3 صفر 979 هـ .

هاما)) ويأمره بالتشاور مع وزيره پرتو باشا حول هذا الامر، وفي حالة عدم وجود خطر اتحاد الاسطول الاسباني والاسطول البندقي، وعدم وجود خطر على الاسطول العثماني، فيجب أن ينفصل عن هذا الاخير ويتوجه الى الاندلس بما في حوزته من السفن من أجل ((دفع ورفع ضرر وفساد الاعداء على المسلمين)) (1).

وفي الاخير، هل قام علج علي بدوره كما ينبغي في هذه الثورة؟ ان الكثير من المؤرخين* يتهمونه بالتقصير، وأنه انشغل في هذا الوقت بتحصين مدينته، واستغل الثورة لتحقيق مطامح شخصية في توسيع ولايته، ففتح تونس. لكن الواقع يثبت عكس ذلك، فالثورة كانت تمون من الجزائر بالرجال والسلاح والغذاء، وأن الجزائر ساهمت في هذه الثورة سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي، وقد تمت الاشارة الى ذلك. واذا كان العون المقدم على المستوى الرسمي غير كاف، أو ليس كما هو منتظر، أي أن علج علي لم يتحمل مخاطرات كبيرة كالقيام بهجوم واسع على السواحل الاسبانية أو القيام بعملية انزال كبيرة.

ولكن اذا ما أريد القيام بهذه العملية الضخمة، ما الهدف من ورائها؟ هل هو احتلال اسبانيا واعادتها للمسلمين بمساعدة الثوار؟ أم الضغط على الحكومة الاسبانية لتخفف من غلوائها وتسعى لمصالحة رعاياها ومعاملتهم المعاملة الانسانية اللائقة؟ فاذا كان الهدف الاول هو المقصود، فان علج علي بقواته البرية والبحرية غير قادر عليه وحده، ولا سيما أن عليه اختراق سور السفن الكبيرة الذي أحاطت اسبانيا شواطئها به، وهذا ما سيكلفه غاليا، فلا بد من استشارة اسطمبول في ذلك، لا ليأخذ أمرا بذلك فحسب، وانما

---

1) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 14، ص. 200، حكم رقم 284 بتاريخ 3 صفر 979هـ.

* انظر: - هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، المجلة الافريقية، ج 25.
- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 352.
- عبد الله عنان، (موقف القسطنطينية وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها)، مجلة الاصالة، عدد 27، 1975، ص ص 101، 115.
- برودال، المرجع السابق، ص. 900.

لتحمي مؤخرته وتدعمه بالقوة اللازمة ،وتحمي الجزائر ذاتها اذا ما خلفها وراءه ،وتقوم بالمساعي الديبلوماسية الضرورية لتهيئة الجو السياسي لمثل هذا العمل الخطير ٠أما اذا كان الهدف مجرد الضغط على اسبانيا ،فان التموين المتواصل للثورة ،ورفدها بالمؤن والسلاح واستطالة تلك الثورة قد يكون بحسب ظنه كافيا لمثل هذا الضغط،ولا سيما أن الثورة قد أثمرت مرحلتين رئيسيتين من المفاوضات ،ولكن كان لا بد من دعم أقوى للمرحلة الثانية من المفاوضات وما بعدها ٠

يمكن تعليل عدم غزو علج علي للسواحل الاسبانية بأنه لم يكن قادرا على تحقيق أهداف بعيدة المرمى والاسطول الاسباني مرابط الى شرقه في مسينة والى غربه وشماله الغربي على طول الشواطىء الاسبانية (1) ٠

هذا ما يمكن أن يقال عن دور علج علي في ثورة ـ أو ثورات الاندلس، ويجب أن نشير الى أن نشاطه الذي كان يهدف الى ضرب اسبانيا في البحر الابيض المتوسط في مختلف الميادين بقي مستمرا حتى على جبهة الاندلس٠ وكما سبقت الاشارة ،فان آلاف الموريسكيين كانوا قد التجأوا الى الجزائر والمغرب الاقصى والدولة العثمانية بعد فشل الثورة بالاندلس، وقد نشطوا نتيجة لذلك حركة التصدي للاسبان ،وساعدوا القيادات العثمانية بفعل معرفتهم اللغة القشتالية والاماكن الجغرافية والطرق البحرية ،وهذا ما يبرر القول بأن مساعدة علج علي كانت موفقة في تقديم المساعدات لبقايا الثائرين وتسهيل التجائهم الى الساحل المغربي (2) ٠

ومنذ عام 1569 ،بدأ علج علي حملة ضد شواطيء اسبانيا وايطاليا ، وكان يستولي على سفنها ويأسر سكانها على الشواطيء (3) ويضعف بذلك

1) ليلى الصباغ،المرجع السابق ،ص٠ 165، 165
2) التميمي ،الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين ،ص٠ 92٠
3) أ٠ز٠و٠ مهمة دفتري رقم 9،ص٠ 77 ،حكم رقم 204 ،بتاريخ 23 شوال 977هـ

الاقتصاد المسيحي ، وكان يحضر نفسه للهجوم على الاسبان في حلق الوادي عندما وصلته الأوامر من السلطان بضرورة التوجه الى الشرق والانضمام الى الاسطول العثماني (1) قصد القيام بعمل مشترك من أجل الاستيلاء على قبرص.

ج - قبرص :

في عام 1570 ، كان الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط تحت سلطة الدولة العثمانية ، وكانت في هذا الوقت قد بلغت قمة مجدها ، ولا يفلت من سلطتها في هذه المنطقة الا بعض المقاطعات مثل البندقية البعيدة عنها ، أما اليونان وكل شبه جزيرة البلقان فكانت تخضع لها ، ما عدا جمهورية ركوز Raguse الصغيرة* المطلة على الادرياتيك والتي كانت تدفع ضريبة مقابل استقلالها ، وكذلك شريط ساحلي ضيق في شمال الادرياتيك.

وبواسطة أساطيلها في طرابلس وتونس والجزائر ، فرضت الدولة العثمانية نفسها في كل البحر المتوسط وهددت شواطئ اسبانيا نفسها . وفي هذا الوقت كانت اسبانيا قد جمعت تحت لواء امبراطوريتها الدويلات الايطالية الصغيرة ، كصقلية وسردينيا ودوقية ميلانو ومملكة نابولي ، وجمهورية جنوة . وكانت قواتها تحارب تحت لواء الملك الاسباني .

لم يفلت من الخضوع للاسبان الا جمهورية البندقية التي رفضت بكل صراحة سيطرة الاسبان ، وفضلت الاهتمام بتجارتها التي كانت مرتبطة أكثر بالشرق ، لذا فضلت السلم مع دفع بعض الضرائب للعثمانيين ، على الحرب التي ستتضرر منها تجارتها بدون شك.

في هذا الوقت أيضا بدأ السلطان سليم يشعر بمضايقة كبيرة من طرف قراصنة قبرص الذين كانوا يلحقون أضرارا كبيرة بالمسلمين بحكم قربهم من

---

1) Mercier, op.cit., p.III.

* دوبروفنيك Dubrovnik الحالية ، وهي مدينة جنوب غرب يوغوسلافية على بحر الادرياتيك.

الشواطي• الاسلامية ،خصوصا سوريا وجنوب آسيا الصغرى ،كما ألحقوا أضرارا بالتجارة العثمانية والحجاج المسلمين •وكان السلطان يرى أن جزيرة قبرص ملك للدولة العثمانية على أساس أنها كانت في الماضي جزءا من مصر(1) •
وبعد أن أنذر جمهورية البندقية عدة مرات ،أرسل السلطان لها يوم 27 مارس 1570 مبعوثا ،وقدم لمجلس هذه الدولة (Sénat) شكوى السلطان من خرق المعاهدة الموجودة بين الدولتين من طرف قرصان هذه الدولة في قبرص،وكذلك الاعتداءات المتكررة على أملاك الدولة العثمانية في دالماسي Dalmatie والتعذيب الذي يتعرض له المسلمون على يد القراصنة المسيحيين في جزيرة قبرص• وكحل لهذا المشكل ،اشترط السلطان من دولة البندقية تسليمها هذه الجزيرة وبسرعة ،للابقاء على السلم بين الدولتين ،الا أن المجلس رفض هذا الاقتراح (2) •

قررت الدولة العثمانية بعد هذا الرفض ،تجهيز حملة بحرية قوية لاخذ قبرص بالقوة• فطلب السلطان من جميع قواته في البحر الابيض المتوسط الالتحاق بالاسطول الذي تم تحضيره لهذه المهمة • وخرج الاسطول من الدردنيل متوجها الى قبرص تحت قيادة پياله باشا يحمل مائة ألف جندي يقودهم لا لا مصطفى ،فرست السفن أمام مدينة ليمازون في أول أغسطس 1570• وتم فتحها في نفس السنة (8 ربيع الآخر سنة 978هـ) (٩ سبتمبر) ،ثم وضع الحصار أمام مدينة فماجوست ،ونظرا لاقتراب فصل الشتاء أجل فتحها الى أوائل الربيع من سنة 1571 ،وهكذا فتحت يوم 2 أوت 1571 الموافق ليوم 10 ربيع الاول 979هـ (3) •

تلقى علج علي أوامر الالتحاق بالاسطول العثماني للمشاركة في فتح قبرص وهو في تونس (4) ،الا أن هايدو يقول انه عاد الى الجزائر ومنها ركب البحر

1) L.Galibert,op.cit.,p.209.
2) M.Lesur,op.cit.,p.30.
3) محمد فريد ،المرجع السابق ،ص• 255، 256
4) Islam Ansiklopedisi,art.cit.

متوجهـا الى اسطمبول لطلب المساعدة لفتح حلق الوادي ،وفي الطريق سمع بأخبار الحصار وكان قد التيقى بعض سفن فرسان مالطـه فأسرها ولم يتمكن من الالتحـاق بالاسطول العثماني الا بعـد سقوط قبرص والتحق به في جـزيرة كريت (1) • ورغم عدم مشاركته في حصـار قبرص ،الا أنـه أرسـل أحـد رياسه وهو قارة خوجه رايس، وأعطى لـه الاعـلام التي أخـذها مـن فرسان مالطة ،ولما وصل الى نيقوسيا التي كانت محاصرة من طرف الجيش العثماني عرض تلك الاعـلام في مكان يراه المسلمون والمسيحيون فرفعت كثيرا من معنويات المسلمـين وحطمت معنويات المسيحـيين فأخـذت المدينـة بعـد ذلك بسهـولـة (2) •

عندما كان علج علي متوجهـا للالتحـاق بالاسطول العثماني ،عرج في طريقـه على الشواطئ المسيحية فغزاها وأحـرق كل ما وقع في طريقـه من بيوت وأشجار وزرع، ولمـا أسر السفن المالطية التي سبق الحديث عنهـا ، تبين لـه وجـود أحـد أقرباء ملك اسبانيا فيهـا ،فأمره السلطان بالاحتفاظ بـه ،والحـذر من افـلاته منه ،وطلب منه كذلك التأكـد من هويتـه ومدى قرابته من ملـك اسبـانيـا (3) • لمعرفة قيمته لان اسبانيا ستعمل على فديه بالضرورة •

أخـذ علج علي ما استولى عليه من السفن والاسرى وعـاد الى الجزائر ،ولم يتمكن من المشاركة شخصيا في أحـداث قبرص ،الا أن قارة خـوجه الذي أرسله ، ذهب على رأس أسطول الجزائر ومثل هناك علج علي •

من الاعمال التي قـام بهـا الاسطول العثماني قبل الاستيـلاء على قبرص، أنه توجـه الى جزيرة كـريت وأخـذها بكل سهولة • وكان السلطان قـد أعطـى الاوامر بعـدم البقاء في كريت مدة طويلة ، فقال في الرسالة التي وجههـا لبياله باشا قائد الاسطول : ((لتغيروا على كريت ولتلحقـوا بهـا فظيع الخسائر

I) Haëdo, op.cit., T.24, pp.408-409.

2) Islam Anseklopedisi, art.cit. voir aussi, Katip Çelibi, Tühfet ül kibar fi esfar il-bihar, (Istambul, I973), p.I3I.

3) أ•ر•و• مهمة دفتري رقم 14 ،ص• 274 حكم رقم 390 بتاريخ 13 ربيع الاول 978هـ

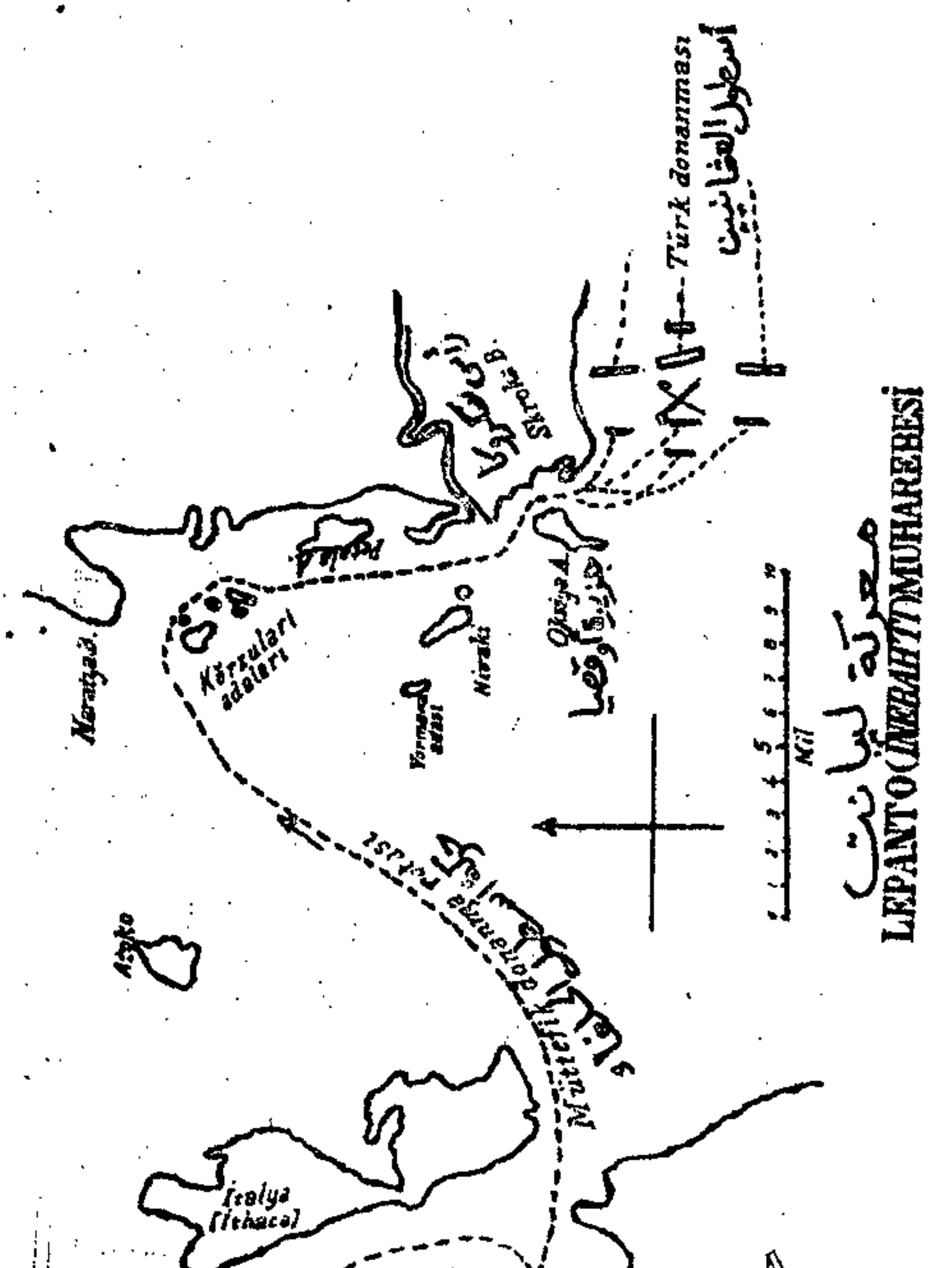
بأقصى سرعة ،وحينئذ عليكم بملاحقة أسطول الكفار حتى جزيرة كورفوس ولتسعوا بعناية الله للاستيلاء على سفنهم)) (1) ٠

ان سقوط قبرص قد أثر تأثيرا كبيرا في المسيحية جمعاء بشكل يفوق تأثرها بالغزوات الاسلامية السابقة ،ويظهر هذا التأثر في الحلف الذي سيعقد بين الدول الاوربية بمشاركة البابا ،على الرغم من أن البندقية لم تكن - كما سيأتي في حينه - على وئام تام مع بعض الدول المسيحية (2) ٠ وعرفت كيف تنتقم في معركة ليبانت٠

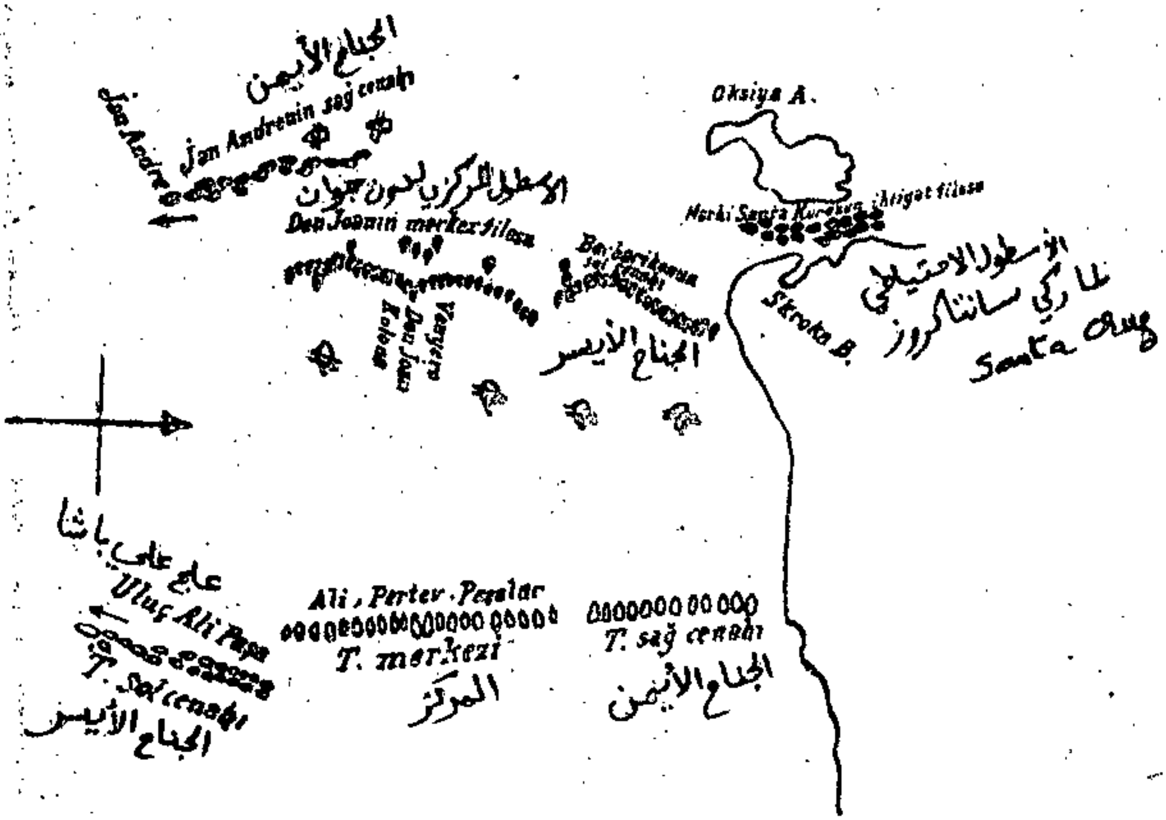
---

1) أ٠ر٠و٠ مهمة دفتري رقم10 ،ص٠ 19 ،حكم رقم 23 بتاريخ 2 محرم 978هـ

2) Gosse,op.cit.,p.55.



Fevzi,op.cit.,p.562

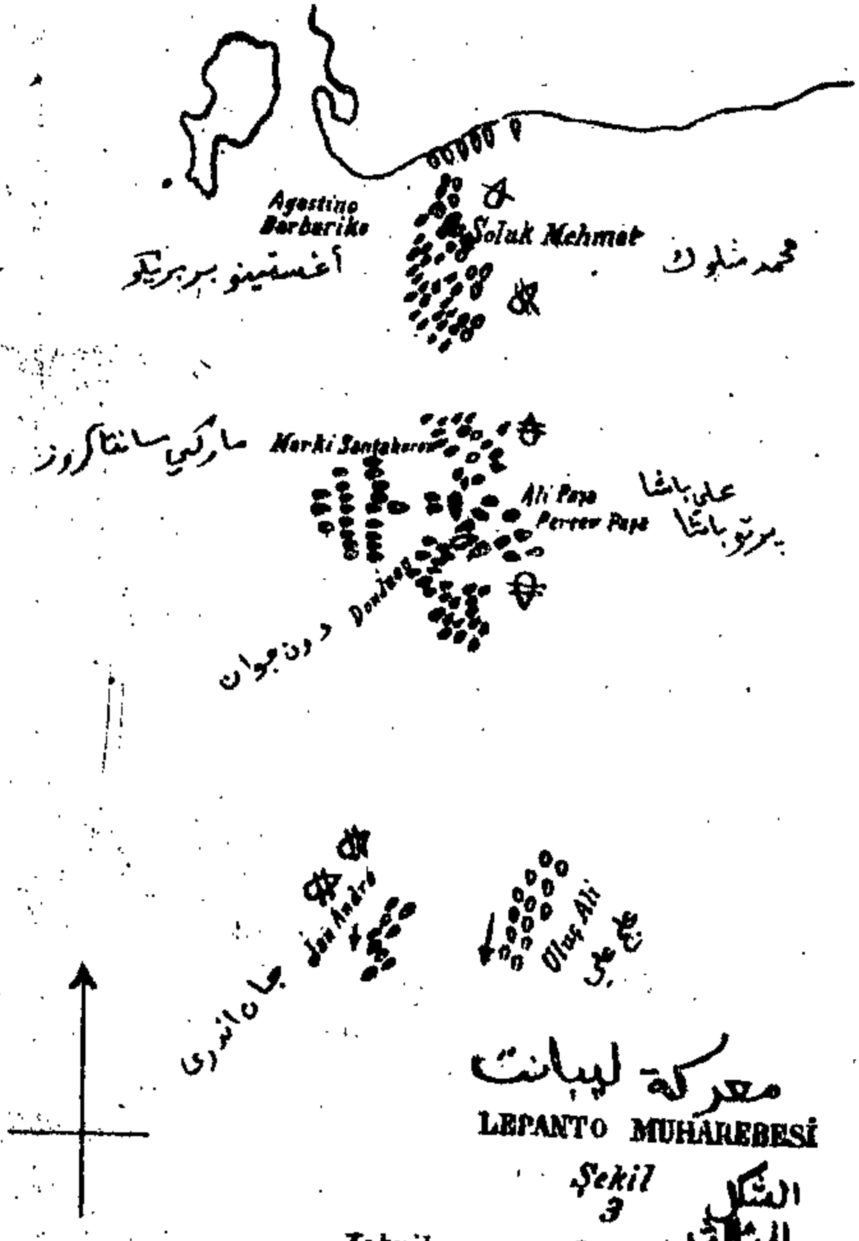


معركة ليبانت
LEPANTO MUHAREBESİ

Takriben zevalde — Şekil-2 — İki tarafın vaziyeti

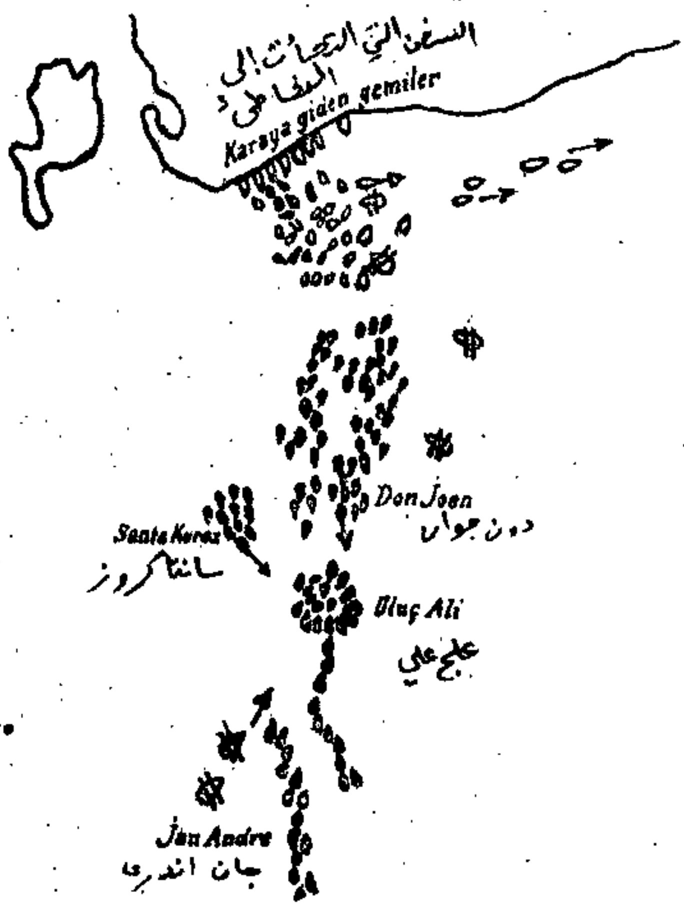
وقت الزوال تقريبا — الشكل الثاني — وضعية الطرفين

Fevzi, op. cit., p. 570



معركة ليبانت
LEPANTO MUHAREBESİ
Şekil 3
الشكل الثالث
Takriben saat 12/30
حوالي الثانية عشر ونصف

Fevzi,op.cit.,p.572



معركة ليبانت
LEPANTO MUHAREBESİ
Şekil 4 الشكل الرابع
Saat 14/30 da Uluç Ali Paşa. mukabil hücumu
هجوم علج علي الساعة 14,30 دقيقة

Fevzi,op.cit.,p.574

3 - دور علج علي في معركة ليبانت

تعد معركة ليبانت البحرية التي جرت يوم 7 أكتوبر 1571 بين الاسطول العثماني بقيادة علي باشا والاسطول المسيحي بقيادة دون جوان النمساوي ، من أعظم المعارك البحرية التي عرفها البحر الابيض المتوسط خلال القرون الحديثة ، اذا اعتبرنا عدد القوات المشاركة وكذلك السفن ، الى جانب عدد الدول . وكانت أول واقعة حصلت بين الدولة العثمانية من جهة ، وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى ، واشتراك البابا فيها يدل على المحرك الديني لهذه التألبات ضد الدولة العثمانية .

تعد هذه المعركة كذلك نقطة تحول في النزاع الاسلامي - المسيحي في البحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ، ولو أن المنتصر فيها ، وهو الاسطول المسيحي لم يعرف كيف يجني ثمار هذا الانتصار .

لقد كتب الكثير ، وقيل الكثير حول هذه المعركة*، سواء من الجانب المسيحي أو الجانب الاسلامي ، لذا فلا داعي للتعرض لهذه المعركة بالتفصيل ، وسيقتصر الموضوع على دور علج علي فقط فيها . وكما اعتبرت هذه المعركة فاصلة في الصراع الاسلامي المسيحي بالبحر المتوسط ، تعتبر كذلك حاسمة في حياة علج علي الذي اعتبر المنتصر العثماني الوحيد فيها ، والذي فتحت له بعد هذه المعركة آفاق واسعة للرقي في السلم الوظيفي داخل الدولة العثمانية ، بحيث عين بعد المعركة مباشرة في منصب القابودان باشا للاسطول العثماني ، مع الاحتفاظ بمنصب البايلرباي في الجزائر . وهكذا انتقل من مجرد حاكم أيالة عثمانية ، الى منصب

---

* Lesur, Lépante. Hammer, Hist. de l'Empire Ottoman, T.6. Braudel, La Méditerranée..., T.2. Bennassar, Jaquart, Le 16ème siècle. De Thou, Hist. Universelle, T.6. Charrière, Négociation de la France dans le levant, T.III.

يجعله الشخصية الثالثة في الدولة بعد كل من السلطان والصدر الاعظم . وقد بقي في هذا المنصب الى غاية وفاته عام 1587 ،وهو التاريخ الذي انتهى فيه حكم البايلرباي في الجزائر ،وقرر السلطان بعد علج علي مباشرة استبدال ذلك النظام بآخر ،يجعله يشدد قبضته على الجزائر التي كانت شبه مستقلة ، وذلك بتعيينه الباشوات لمدة ثلاث سنوات فقط،الا أن النتيجة كانت ~~كما سنرى~~ عكس ما كان ينتظره السلطان .

ان التحضير لمعركة ليبانت بدأ من الناحية العملية بعد سقوط قبرص مباشرة . اذ استغاثت البندقية بالدول المسيحية الاخرى على الرغم من أنها لم تكن على وئام تام معها ،الا أنها لبت نداءها خوفا من امتداد سلطة العثمانيين الى ايطاليا (1) . وكان القديس بيوس الخامس Pie V هو الذي تولى القيادة الروحية لهذه المعركة ،وطلب من جميع المسيحيين أن يساعدوا البندقية في المعركة الفاصلة بين المسيحية والاسلام . وقد لبت جميعها النداء بما فيها بريطانيا التي كان البابا قد طرد (excommuniée) ملكتها من الكنيسة في العام الماضي (2) . وقد وصلت الأخبار الى اسطمبول بهذا الحلف (3) الذي يعد احياء لذلك الذي خطط له البابا ليون العاشر مع بداية القرن (4) .

تلقى علج علي الاوامر من السلطان بتجهيز أكبر عدد ممكن من السفن والتوجه بها الى قبرص للانضمام الى الاسطول العثماني الذي حضر نفسه لمواجهة الاسطول المسيحي المتحالف ،ومما جاء في نص الامر ما يلي :
((بعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق جل وعلا ،والتوسل والاستناد الى آيات معجزات سرور الكائنات عليه وعلى آله أفضل الصلوات ،فقد تقرر في هذه السنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر والاغارة والحاق الخسارة

---

1) محمد فريد ،المرجع السابق ،ص. 257
2) Gosse,op.cit.,p.55.
3) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 12 ،عدد 98 بتاريخ 978هـ
4) Henri, Garrot, Hist. générale de l'Algerie, (Alger, P. Crescenzo, I9I0), pp.432,433.

بجزره المعادية وأسطوله ــ هزمه الله ــ وكذلك بقصد دفع ورفع مضرته وفساده ، ولتلقينهم درسا لن ينسوه)) (1) . ((ونظرا لاعتمادى الهمايونى على حسن فراستك ، وكياستك ، ووفور شجاعتك وشهامتك ، فاننى آمرك ومن معك من السفن والقاليتات بكامل أسلحتها بالتوجه عاجلا لملاقاة المشار اليه الوزير پرتو باشا)) (2) .

بعد أربعين يوما من الامر السابق ، وجه السلطان أمرا جديدا لعلج علي جاء فيه ما يلى : ((حال وصول هذا الامر ، فلا تتأخر وتعيّن من رجالك الاكفاء على الجزر والبقاع الواجب حفظها وحراستها من هذا الجانب من ولايتك ، وعليك بتجهيز القاليتات ، وبقية السفن التى بحوزتك واعداد العدة والعتاد والحبال والحبالين والمحاربين بكامل زادهم ، ولتسرع بالابحار ... ثم باشر بقلع وقمع قلاع وبقاع الكفار ، وعليك بدفع ورفع الضرر والفساد ، وصد الضارة والخسارة القادمة من بعض الاماكن والجزر المعادية . وبالجملة على أن تكون متحد الجهة واللسان مع قائد الحملة كي تكونوا على أحسن اتحاد واتفاق ...)) (3) .

تلبية لهذه الدعوة ، خرج علج على من الجزائر فى ربيع 1571 بحوالى خمسين سفينة (عشرين عند هايدو) والتحق بقائد الاسطول فى كورون Coron وغزا عدة جزر فى الساحل الادرياتيكى (4) .

ان الحلف المقدس الذى تم امضاؤه يوم 25 ماى 1571 بكنيسة القديس بطرس بروما من طرف الدول المسيحية ، جاء نتيجة حتمية للخوف والهلع الذى أثارته الانتصارات الكثيرة التى حققتها الدولة العثمانية فى المدة الاخيرة ، خصوصا بعد الاستيلاء على قبرص ، فخافت أوربا مما هو أخطر ، لذا فكرت فى هذا الحلف ، وأسرعت لتجهيز أسطول قوى شاركت فيه اسبانيا وايطاليا وألمانيا وكذلك البابا وجنوه ، والبندقية . وأسندت قيادة الاسطول لدون جوان النمساوى الذى سبقت اليه الاشارة فى ثورة الاندلس .

يتضح من رسالة موجهة الى علج علي ، أن اسطمبول كانت تتابع جميع تحركات

---

1) أ . ر . و . مهمة دفترى رقم 12 ، ص 173 ، حكم رقم 367 بتاريخ 2/11/978 هـ
2) نفسه .
3) نفسه .
4) De Grammont, op.cit., p.108.

أعدائها عن طريق جهاز كبير من المخابرات وكانت على علم بكل مخططاتهم .

يتضح من هذه الرسالة كذلك أن السلطان كان ينتظر مجيء الاسطول المسيحي الى قبرص لأخذها ثانية . لذا أصدر أوامره لقائد الحملة بترك قوة عسكرية وحوالي خمس عشرة سفينة لحماية الجزيرة (قبرص) ويخرج باقي الاسطول لمواجهة العدو في عرض البحر قبل وصوله الى الجزيرة . ويقول السلطان كذلك انه أمر قائد الحملة مصطفى باشا بمحاصرة أسطول العدو وأينما وجده ولا يدعه يتجه نحو قبرص. واذا تحقق هذا ، عند ذلك يسهل ويتيسر فتح ماغوسة أيضا (وقد تأخر فتح هذه القلعة في قبرص بعض الوقت) وبفتح هذه القلعة يتم تطهير قبرص من أعداء الدولة العثمانية (1) .

وقد رد علج علي على هذه الرسالة برسالة أخرى يعلم فيها الباب العالي بأنه كان على أتم الاستعداد بما كان معه من الرجال والسفن للالتحام بالاسطول (2).

لما قررت الدولة العثمانية مواجهة الحلف المسيحي ، أحدثت بعض التغيير على قيادة الاسطول والقوات البرية كذلك ، فبينما كان الاسطول الذي فتح قبرص تحت قيادة پياله باشا ، وقائد القوات البرية هو مصطفى باشا ، نجدها - أي الدولة العثمانية - قد عينت قائدا جديدا للاسطول وهو علي باشا وقائدا للقوات البرية وهو پرتو باشا . وهذا التغيير في القيادة في هذا الوقت بالضبط كان من أبرز العوامل التي تسببت في الهزيمة ، لأن قائد الاسطول الجديد هذا لم يكن من رجال البحر بل كان انكشاريا ماهرا على البر الا انه لا يملك خبرة في البحر، وكان طموحا جدا يريد ان يحقق انتصارا سريعا ومجدا عظيما (3) .

كان الاسطول العثماني يتكون من الاساطيل القادمة من مختلف الايالات وهي : الجزائر ، تونس ، طرابلس ، مصر ، وجهات أخرى من الدولة (4) .

---

1) أ.ر.و. دفتر مهم 12 ، عدد 98 ، بتاريخ 978 هـ .
2) أ.ر.و. دفتر مهم 12 ، ص 249 ، حكم رقم 518 بتاريخ 2 ذي الحجة 978 هـ .
3) Fevzi, op. cit., p. 559.
4) أ.ر.و. دفتر مهم 12 ، ص 249 ، حكم رقم 518 بتاريخ 2 ذي الحجة 978 هـ .

على الرغم من تأكد الدولة العثمانية من نية الاسطول المسيحي ، الا أنها بقيت متخوفة من مخادعة الاسبان لها ، واغتنام فرصة انشغالها بهذه المعركة المنتظر اجراؤها ، والهجوم على كل من تونس والجزائر وأخذها على حين غفلة (1) . وقد ألحت اسطمبول في معظم الرسائل التي وجهتها الى حكام تونس والجزائر وكذلك طرابلس على تحصين كل القلاع وأخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا يفاجئهم العدو . والرسالة التالية واحدة من بين عدد من الرسائل في هذا الموضوع :((حكم الى الوزير پرتو باشا ،حال سماع الكفار بخبر توجه اسطولي الهمايوني الى جوانب كورفوس ، فان احتمال هجوم سفن اللعناء الاسبان على الجزائر وتونس يصبح أمرا مؤكدا ، لذا فان حفظ وحراسة تلك الاطراف غدا من أهم الامور ، ولقد سبق ارسال حكمي بشأن التعاون لدفع المضرة والبقاء عينا ساهرة وأذنا واعية تجاه تلك الاطراف ، وأن ذلك الامر الشريف لا يزال مقرا كما كان عليه كذلك فقد ارسل حكمي الشريف بهذا الخصوص الى علي دام اقباله أمير أمراء الجزائر ، في حال تجاوز سفن الكفار على ولايتي تونس والجزائر فعليكما بالسعي البليغ لدفع خطر وفساد الاعداء بأي شكل كان كما جاء في حكمي السالف الذكر)) (2) .

عندما التحق علج علي بالاسطول العثماني ،كلفه قائد الاسطول علي باشا ، رفقة سفنه بالذهاب جهة جزيرة كاندى Candie* ، ولما وصلها وجد أنها غير محصنة فغنم ما وجده بها ، ثم أحرقها ، وعاد بغنائم كبيرة . ثم توجه الى جزيرة طورطورا Turtura قرب كاندى فغنم ما وجده بها كذلك ثم أحرقها هي الاخرى (3) .

لما كان پرتو باشا متوجها الى الشواطئ الالبانية من أجل تجنيد القوات اللازمة لتعويض تلك التي فقدت في كانديي أو مكثت هناك للحصار ، رأى سفينتين من السفن المسيحية . كانت الاولى تحت قيادة ميشال بربريغو Michel Barberigo والثانية تحت قيادة بطرس برتولازى Pierre Bertolazzi فحاولتا الفرار نحو كورفوه

1) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 10 ،ص 12 ،13 ، حكم رقم 14 بتاريخ 2 محرم 979 هـ.
2) أ.ر.و. مهمة دفتري رقم 10 ،ص 17 ،حكم رقم 19 ،بتاريخ 12 محرم 979 هـ .
* غرب يوغسلافيا الحالية على الادرياتيكي .
3) De Thou,op.cit.,T.IV,p.445.

الا أنهما التقيتا بعلج علي الذى كان قد انفصل عن الاسطول العثمانى ودخل بسفنه أحد موانئ كورفو، وظنتا فى البداية أنهما أمام سفن مسيحية ، وتقدمتا نحوه حتى أصبحت المسافة بينهما وبينه لا تسمح لهما بالفرار . وبعد أن حاصرتهما سفن علج علي ، استسلمتا بدون مقاومة وأخذهما أسيرتين مع من كان عليهما (1) .

فى يوم 22 جويلية 1571 ، هاجم علج علي سفينتين خاصتين بالحمولة ، كانتا قد خرجتا من البندقية يوم 8 من نفس الشهر ، وقاوم رجالهما بكل عنف ، وقد قدمت لهما المساعدة من بعض السفن التى كانت توجد فى ميناء سوبوتو Soppoto ، الا أن تلك المساعدة لم تجدهما نفعا ، فاستسلمتا فى الاخير (2) .

توجه علج علي بعد هذا الى زارا (زادار غرب يوغسلافيا) ونزل فى جزيرتين هما : ليسينا Lesina، وقورزولان Gürsolan (غرب يوغسلافيا) ، فغنم كل شئ وقع بيده هناك كما أخذ بعض الاسرى .

تسبب قدوم علج علي الى هذه الناحية فى هلع كبير وسط السكان ، وبدأوا فى اقامة الخنادق وأغرقوا بعض السفن لغلق القنوات لمنع السفن الاسلامية من التسرب الى المناطق الداخلية ، ولم يفهموا كيف سمح الحلفاء له _ أى لعلج علي _ بالدخول الى المنطقة (3) .

لم يحاصر پرتو باشا كوتور فى هذه المرة ، لانه لم يكن معه عتاد الحصار ، فغادر البندقية وذهب مع جماعته الى پارغا Parga ينتظر التعليمات من اسطمبول (4) . ويقول دى تو De Thou ان پرتو باشا قد جمع مجلسه الحربى قبل مغادرته كوتور للتشاور حول موضوع محاصرة هذه القلعة أو عدم محاصرتها ، الا أنهم قرروا تركها ، لان الفصل كان متقدما _ نهاية شهر أوت _ وان الحصار يتطلب مدة طويلة ، لذا قرروا استشارة اسطمبول (5) .

(1 Idem,p.447.
(2 Idem.
(3 Fevzi,op.cit.,p.553.
(4 Idem.
(5 De Thou,op.cit.,T.IV,p.448.

فى يوم 19 أوت 1571م الموافق ل 27 ربيع الاول 979 هـ، وجه الامر التالـــى من الباب العالى الى قائد الاسطول ومما جاء فيه : ((... توجد أزمة التموين فى قلعة نوفا Nova، كما أن تكاليف النقل من مناطق سمنديرى Semendere وسيرام Serem تكلف غاليا . وعلى أساس أنك ستقضى فصل الشتاء مـــع علج علي فى ميناء قلعة كوتور سيحتم ارسال التموين الكافى لمدة ستة أشهر للاسطول الذى سيقضى الشتاء هو الاخر فى قلعة نوفا ... ان كان الغرب (الجزائر) هادئا فعليك بالذهاب الى كوتور والانضمام الى علج علي ، وقضاء فصل الشتـــاء هناك، واذا شعرت ببعض التحركات من طرف العدو فعليك ببذل المجهـــود لمواجهته ...)) (1) .

وقبل وصول هذا الامر، قرر قائد الاسطول ادخال السفن الى داخل كاتور* وتكليف علج علي مع بعض قادته ، رفقة ستين سفينة بالتوجه الى كاستيلنوفـــو Castelnuovo ثم قورزولان ، وبعد أن غزا المنطقة المشار اليها ،عاد الى كـــوتـــور والتحـــق ببقية الاسطول الذى كان داخل الخليج (2) .

فى هذا الوقت ،كان الاسطول المسيحى المتكون من حوالى ثلاثمئـــة قطعـــة بحرية ،يوجد فى ميسنه تحت قيادة دون جوان النمساوى . ومع نهاية شهر أوت خرج من هذا الميناء واتجه نحو الجنوب الشرقى ،حيث سيلتقى بالاسطول العثمانى(3) .

كان الحلفاء المسيحيون يرون أن أحسن وسيلة للدفاع عن البندقية هي الخروج من الادرياتيكى قبل أن تستولى معظم القوات العثمانية على هذا البحر الذى كان علج علي قد وصله قبل مدة قصيرة فى مهمة استطلاعية .

فى شهر سبتمبر 1571 كان الاسطول العثمانى قد نال منه التعب بسبب كثرة الاعمال والغزوات التى قام بها ضد الشواطئ المسيحية ، وهذا بعد الاستيـــلاء على جزيرة قبرص مباشرة ، وقد علم الحلفاء بنقطة الضعف هذه ، وعلموا كذلك أن الجيش العثمانى كان يستعمل اسلحة تقليدية تتمثل فى الرماح والاقواس والسهـــام ،

---

1) Cité par Lesur ,op.cit.,p.80.

* خليج بميناء كاتور (Cattoro حاليا) فى منطقة الجبل الاسود على الادرياتيكى .

2) De Thou,op.cit.,T.IV,p.449.

3) Galibert,op.cit.,p.2IO.

فى حين كان الجيش المسيحى يستعمل الاسلحة النارية • وهذه النقاط كانت كلها فى صالح الاسطول المسيحى زاد عليها عدد الاسرى المسيحيين فى سفن العثمانيين وكان عددهم يقدر بحوالى ستة آلاف أسير ساهموا بدورهم فى انهزام الاسطـــول العثمانى اذ انقلبوا على المسلمين عندما لاحظوا بداية التفوق المسيحى ــ كمـــا سيأتى ــ قام علج علي بارسال بعض قادته فى مهمة استكشافية قصد التجسس على قوات الحلفاء الراسية فى مسينة لمعرفة عددها وامكانياتها ووجهتها الى غير ذلك ، واختار لهذه المهمة الصعبة كلا من قرة خوجة ، وقرة علي* ، وخرج أولا قرة خوجة على متن سفينة ذات 20 مقعدا صبغها باللون الاسود ، ودخل بها ميناء مسينـــة بايطاليا وتمكن من تعداد سفن العدو ، ثم استولى على سفينة بندقية وعاد بها الى الاسطول العثمانى ، وكان الرقم الذى قدمه هو 150 سفينة فقط ، لان سفن الاميرال جان كوردونا Jean Cordona المقدرة بست وعشرين قطعة ، كانـــت لم تلتحق بعد بالاسطول (1) • وفى المرة الثانية ذهب قرة علي لتحقيق نفـــس المهمة ، وتمكن من الوصول كذلك الى مسينة ، الا أنه لم يحسب الا عددا قريبـــا من الذى قدمه قرة خوجة ، لان أربعين سفينة كانت قد خرجت فى مهمة استطلاعية فى تارانتا Taranta تحت قيادة ماركيز سانتاكروز Santa Creuz وباولو فانالا Fanala (2) •

يبدو أن قرة علي دخل ليلا وسط الاسطول المسيحى ، وحسب بكل سهولـــة عدد سفنه ، ثم نزل الى البر والقى القبض على أربعة أشخاص جاء بهم الى قائـــد الاسطول علي باشا وسألهم كل واحد على حده ، وكان جواب كل واحد منهم متشابها للاخر بحيث قدروا جميعا عدد قطع الاسطول بـ 206 سفينة من نوع كالـــيرا galére وست سفن من الحجم الكبير galéasse واعلنوا كذلك ان الاسطول جاء بنية اجراء معركة مع العثمانيين (3) •

فى يوم 20 سبتمبر كان الاسطول المسيحى قد وصل الى (رأس الاعمـــدة

---

* عن قرة خوجة وقرة علي انظر المجلة الافريقية، رقم 25، ص 11 وما بعدها •

1) Marmol, L'Afrique de Marmol, T.1, Traduction de Nicolas Pirro, (Paris, Lovis Billaine, 1657), p.522.

2) Fevzi, op.cit., pp.552,553.

3) DE Thou, op.cit., T.4 p.459.

Cap des colonnes) على ساحل كلابر مسقط رأس علج علي ، وفي يـــوم 26 وصل دون جوان الى كورفو . وفي يوم 30 سبتمبر وصل الى السواحل الالبانية وفي يوم 5 أكتوبر كان على سواحل سيفالونى وهي الجزيرة التى توجد على مقربـــة من خليج ليبانت (1) .

أما بالنسبة للاسطول العثمانى ، الذي رأينا سابقا أنه كان فى كوتور ، فبمجرد ما علم بوجود القوة المسيحية بمسينة ، ترك قاعدته وتوجه الى كورفو حيث مكـــث خمسة عشر يوما ، فغزا المنطقة وغنم الكثير من خيراتها وأحرق الكثير منها كذلك . وهنا قرر قائد الحملة محاربة العدو اذا وجده فى طريقه ، الا أنه لم يلبث أن تراجع عن هذا القرار بسبب تقدم الفصل كما سبق ذكره واقتراب موعد توقف النشاطـــا ت البحرية . لذا قرر التوجه الى اسطمبول ، ووصل الى ليبانت حيث بقي بعض الوقت ينتظر الاوامر من الباب العالى (2) .

اختلفت الاراء بين الضباط المسيحيين عن مهاجمة المسلمين أو تجنبهم . فالبعض كان يرى أنه من العار على المسيحية جمعاء ان يجتمع مثل هذا العدد من الجنود والسلاح وآلة الحرب ، ثم ترك مثل هذه الفرصة تضيع دون مهاجمة العدو . فــى حين يرى البعض الاخر أن قوة الاتراك لا تسمح للمسيحيين بتحقيق النصر المنتظر ، وأن الاتراك الذين كان النصر حليفهم بالامس سيكون حليفهم فى هذه المرة كذلك ، لذا فمن الاحسن تجنبهم . وفى الاخير اقتنع دون جوان قائد الحملة بالرأى الاول أى الهجوم ، فقرر ذلك (3) .

عندما كان الاسطول العثمانى راسيا فى ليبانت ، وصلته رسالة من الباب العالى تحمل تاريخ 27 ربيع الاول 979 هـ الموافق ليوم 19 أوت 1571 ، يتضح من تاريخها أنها وصلت متأخرة ، اذ كانت تحمل الاوامر للقابودان باشا بقضاء فصل الشتاء فى كوتور ، بينما لا يمكن فى الظرف الحالى الرجوع الى هذا المكان بعد أن غادروه من مدة ، خصوصا وأن الاسطول المسيحى أصبح قريبا منهم . والذى كان يبعث على القلق ، هو أن أوامر الباب العالى كانت صريحة : ((اذا التقيتم بالاسطول المسيحى ،

1) Defontin-Maxange, op.cit., p.I42.
2) De Thou, op.cit., T.IV, p.456.
3) Idem, pp.457, 458.

فعليك أنت وعلج علي بالاتفاق والتشاور ومهاجمته)) (1) .

هل كان بامكان القابودان باشا في هذه الظروف حقيقة تهيئة الاسطول لمثل هذه المهمة الصعبة وهي مواجهة عدة دول مسيحية مرة واحدة بقوة خرجت الى البحر منذ ما يزيد عن أربعة أشهر ، منهكة القوى ، مثقلة بالغنائم وآلاف الاسرى ، زيادة عن البعد الكبير عن مركز التزود بالمؤونة ، وكذلك البعد عن اسطمبول مما يجعل الاوامر والتعليمات تصل متأخرة جدا ؟ .

يتضح من بعض الرسائل أن الباب العالي لم يقدر كثيرا خطورة الموقف ، أو كان واثقا من نفسه نظرا للانتصارات السابقة التي حققها على المسيحيين ، ويتضح ذلك من الرسالة التالية الموجهة لعلج علي اذ تقول : ((اذا جاءتك الاخبار من الولايات الغربية وعرفت منها أن وجودك هناك أمر ضروري ، فلا تتأخر لحظة في ذلك بموجب أوامري الشريفة ، وهناك تكمل تحضيراتك وتلتحق في الربيع المقبل من جديد بالاسطول الهمايوني)) (2) .

ويتضح بالفعل من هذه الرسالة أن الباب العالي لم يكن يقدر الموقف حق قدره . والا كيف يطلب في مثل هذا الوقت من علج علي أن يذهب الى الجزائر ليكمل هناك تحضيراته ويعود في الربيع المقبل ؟ .

اجتمع المجلس الحربي للاسطول العثماني من جديد لمناقشة الموقف ، وكان يتكون من قادة الاسطول وهم : علي باشا قائد الاسطول ، برتو باشا قائد الحملة ، علج علي بايلرباي الجزائر ، جعفر باشا من اسطمبول ، حسن باشا بن خير الدين ، وعدد آخر من قادة الاسطول .

كان قائد الاسطول يرى أن هناك وسيلتين للعمل وهما :

- اما الانتظار في ليبانت وانتظار هجوم دون جوان .
- أو الخروج من الخليج والهجوم على العدو .

---

1) cité par Lesur, op.cit., p.85.

2) Idem, p.87.

وعندما تكلم علج علي ، قال : ان الاسطول غير مجهز تجهيزا كافيا بالمدافع والذخيرة وزيادة عن ذلك فهو في حالة سيئة ، لانه يوجد في البحر منذ ستة أشهر، كما أن عددا من الانكشاريين كانوا قد توزعوا باذن أو بدون اذن * وكان يرى أن الاسطول لا يستطيع الهجوم على العدو، لذا اقترح انتظار نهاية فصل الشتاء ، وتقوية الاسطول ،وعندما يكون قادرا على العمل والهجوم .

وافق على هذا الاقتراح عدد من الرياس، الا أن الاميرال الذى كان انكشاريا بارزا ولم يسبق له أن تولى قيادة الاسطول ، عارض اقتراح علج علي ودعمه في معارضته حسن باشا بن خير الدين .

وتكلم علج علي من جديد قائلا : ما دام القرار قد اتخذ بالهجوم ،فليكن في البحر بعيدا عن الساحل . وطال النقاش حول هذه النقطة ، الا أن القابودان باشا عارض هذا الاقتراح كذلك ، وهنا فقد علج علي صوابه فصرخ قائلا : ألا ترون أنه اذا اجريت هذه المعركة قرب الساحل فاننا نعطي فرصة لقواتنا المنهوكة المتعبة للهروب الى الشاطيء عند أول هجوم ** . الا أن

---

* كانت ترافق الاسطول العثماني ستون سفينة مسلحة تسليحا جيدا ،وهي ملك لرياس من الخواص، وقد تعود هؤلاء الانضمام الى الاسطول العثماني من أجل الكسب . وعندما لاحظ اصحاب هذه السفن أن موسم النشاط البحرى قد وصل الى نهايته ،انفصلوا عن الاسطول العثماني معتقدين أن هذا الاخير سيركن الى الراحة كالعادة خلال فصل الشتاء ،ولذا فوجودهم معه لا يفيد أيا منهما فتركوا الاسطول اذن دون ان يتقرر أمر مواجهة الاسطول المسيحي . للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر : De Thou, T.IV, pp. 456, 457

** يقدم دى تو معلومات عما جرى في المجلس فيقول : ((كان علي باشا شابا نشيطا يريد اغتنام هذه الفرصة لابراز امكانياته، فاقترح الخروج للعدو ومواجهته خارج الخليج ،ووافقه معظم الحاضرين ،الا أن البعض عارضه . ولما تكلم علج علي ،حاول ان يتخذ موقفا وسطا بين الرأيين السابقين ، وفي الاخير تم الاتفاق على الهجوم بعد أن تكلم معظم الحاضرين . انظر دى تو ، الجزء الرابع، ص ص، 459، 460 .

قائد الاسطول عارض كلامه من جديد (1) كما عارض اقتراحا آخر يتعلق باخفاء الفوانيس المستعملة للاشارة حتى لا يتمكن العدو من معرفة سفن المسؤولين (2) • وسنرى أن هذه السفن ستكون في مقدمة السفن التى ستتحطم في معركة ليبانت •

أعطى القابودان علي باشا الاوامر بالخروج من خليج كورانث ، ولما خرجت السفن ، التقت بالاسطول المسيحى يوم 7 أكتوبر 1571 فى المكان الواقع بين ليبانت وباتراس Patras • وهنا جرت المعركة الفاصلة بين الطرفين ، وعلى الساعة الثانية زوالا من هذا اليوم ، بدأت المواجهة بين الاسطولين الضخمين (اختلفت الاراء حول عدد سفن كلا الطرفين) وأحسن ما وصف به الاسطولان هو: ((ان البحر كان مغطى بغابة من الصوار، ويظهر وكأنه يرزح تحت ثقلها)) (3)•

رتب علي باشا قواته على شكل هلال ، فكانت الميمنة تحت قيادة محمد شولوك باى الاسكندرية ، وكان الوسط تحت قيادة علي باشا نفسه ، أما الميسرة فكانت تحت قيادة علج علي ، واعتبر هذا الاخير أكثرهم تجربة •

بمجرد بداية المعارك انسحبت ميمنة المسيحيين التى كانت تحت قيادة جان أندرى دوريا Jean A; Doria الى عرض البحر * وسمح ذلك لعلج علي الذى كان يواجهها من الزحف وراءها الشيء الذى خلق البلبلة وسط الاسطول

(1 Fevzi,op.cit.,pp.55I-559.

(2 Lesur,op.cit.,p.II2.

(3 Galibert,op.cit.,p.2I0.

* انسحب دوريا خارج الحدود العادية للمعركة ناحية البحر• الا ان حركته هذه كانت غير منتظرة من طرف القيادة المسيحية ولم يفهم زملاؤه القصد منها ، الشيء الذى خلق بعض البلبلة وسط الاسطول المسيحى ، وسمح لعلج علي أن ينقض على سفن مالطا ، وأعاد ذلك بعض الثقة للمسلمين •

السؤال الذى يبقى مطروحا هو : لماذا انسحب دوريا الى عرض البحر؟ حاول المؤرخون الاجابة عليه ، وقد اختلف فى ذلك الاسبان عن البنادقة كما اختلفوا عن الفرنسيين ••• انظر : Lesur,op.cit.,pp.I25,I26
voir aussi,Rotalier,op.cit.,pp.263,264.

المسيحي ،الا أن ميمنة ووسط الاسطول العثماني كانتا قد انهزمتا في الساعات الاولى للمعركة .

لما لاحظ علج علي الخطأ الذى ارتكبه دوريا بابتعاده عن بقية الاسطول المسيحي ، اغتنم هذه الفرصة ، فهجم على سفينة القيادة لقوات مالطة . وفي مدة تقل عن ساعة قضى على كل من كان يتولى الدفاع عنها ، وحاول جون كوردونا Jean de Cordona انجاد هذه السفينة بقوة تبلغ 500 جندى ،الا أنه قضى عليها بسهولة ،ولم ينج منها الا حوالى خمسين جنديا ، ولم يبق منهم على قيد الحياة فيما بعد الا سبعة عشر شخصا (1) .

بعد أن تخلص علج علي من العدو الذى كان أمامه ، هجم الى وسط المعركة ، ولكنه لم يكن يدخل الا الاماكن التى يضمن الخروج منها ، ولما رأى أن سفينة علي باشا قد تحطمت بعد أن مات هو بطلقة نارية ، أصبح حذرا أكثر فى تحركاته ، وعملت سفن العدو على التجمع ضده محاولة محاصرته ، الا أنه عرف كيف يتخلص منها (2) ولما لاحظ تقهقر المركز والجناح الايمن بعد موت علي باشا تولى قيادة الاسطول بنفسه(3) . وفى الاخير تمكن من الافلات وسط الاسطول المسيحى بين الميمنة وبقية الاسطول الذى كان بعيدا عنها . وتمكنت معظم سفنه من النجاة (4) . على العكس من بقية الاسطول العثماني الذى اغرق او احرق او تم الاستيلاء على معظمه من طرف الاسطول المسيحي . وعندما انسحب علج علي من المعركة كان قد استولى على بعض السفن المسيحية كما استولى على علم فرسان مالطة . وكانت قواته هي الوحيدة التى نجت من هذه الكارثة التى عرفها الاسطول العثماني ، وتعد أول هزيمة بحرية خطيرة بهذا الشكل تلحق بالدولة العثمانية (5) . [انظر الخارطة الا رقم ١٣ لساحة]

لو أن قائد الاسطول عمل بنصيحة علج علي لما حدثت هذه الكارثة ، فمن خلال

(1 Coulet du Gard,op.,p.I96
(2 DE Thou,T.IV,p.467.
(3 De Grammont,op.cit.,p.I08.
(4 Lesur,op.cit.,p.I38.
5) دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد 5 ،ص 177 .

التقارير التى قدمها له جواسيسه كان يعلم بأن عدد سفن المسيحيين أقل عددا من سفن المسلمين ، ولذا فكر علج علي أنه على سفن المسلمين أن تخرج من المضائق الى عرض البحر ،لمواجهة العدو وحتى لا تبقى معظم السفن جامدة فى أماكنها بسبب ضيق المكان • وقد حدث ان هذه السفن لم تخرج من أماكنها ، وتم احراقها من طرف القوات المسيحية فى أماكنها دون أن تقوم بأى عمل يذكر •

اختلفت الاراء حول الدور الذى لعبه علج علي فى هذه المعركة ، الا أنها تتفق جميعا على أنه كان زعيما بدون منازع ،فهايدو يقول انه اظهر مهارة فائقة لدرجة أن السفن المسيحية لم تتمكن من الاقتراب منه ••• ولما تأكد من هزيمة الاسطول العثمانى فى هذه المعركة ،فضل الانسحاب بالسفن التى كانت معه وبعض السفن التى تمكن من انقاذها (1) •

((أن علج علي تصرف فى المعركة تصرف الزعماء)) (2) وهو الوحيد الذى لم تلحق به الخسارة مع قواته فى الاسطول العثمانى ،فى حين الحقت خسائر كبيرة بالاسطول المسيحى ، ولم ينج من الاسطول العثمانى الا خمسون سفينة بفضل شجاعة وذكاء علج علي (3) •

غادر علج علي ميدان المعركة مستعملا الاشرعة والمجاديف ، وتوجه ناحية قناة سان مور Saint Maure (شمال جزر كورزولارى Curzolari وحاول جان دوريا ملاحقته، الا انه فشل فى ذلك (4) ، وفى الاخير تمكن علج علي من صيانة الشرف العثمانى ، وذلك بأخذه لعلم فرسان مالطة ،وسيكون هذا الانتصار الذى حققه علج علي وسط هزيمة الاسطول العثمانى نقطة تحول عظيمة فى حياته ، وهذا بعد أن تجاوز السبعين من عمره •

---

1) Haëdo,op.cit.,p.I47.
2) Léo ,Barbés,J.Lassus,G.Marçais,L.Mouilleseaus, P.Boyer, et J.Farran,op.cit.,p.I67.
3) Clansolles,op.cit.,pp.I52,I53..
4) Defontin-Maxange,op.cit.,p.I50.

ونظرا لبعد ميدان المعركة عن اسطمبول ، فقد كانت الاخبار تصل اليها متأخرة جدا ، الشيء الذى خلق نوعا من البلبلة وعدم فهم ما جرى فى ليبانت للاسطول العثمانى • ويتضح هذا من الرسالتين التاليتين : الاولى موجهة لعلج علي وتحمل تاريخ 4 جمادى الثانية 979 هـ (24 اكتوبر 1571) والثانية بنفس التاريخ وموجهة للوزير أحمد باشا •

تعتبر الرسالة الاولى ردا على رسالة كان علج على قد وجهها الى السلطان يوم 8 اكتوبر ، وشرح له فيها كل ما جرى فى المعركة • وفى الحقيقة نجد أن علج علي شخصيا لم يكن فى هذا الوقت يعلم حقيقة الوضع ولم يكن يدرى خطورة الموقف ويتضح ذلك فى رد السلطان نفسه اذ يقول : ((ما هي أوضاع ما تبقى من الاسطول ؟ وما هي أحوال الكفار ؟ وأين يتواجدون بالضبط ؟ وما هو فكرهم وتداركهم ؟ ونظرا لاهمية الاعلام عن جميع أحوالهم وتتبع وتجسس أخبارهم فقد أمرت : حال وصول هذه الرسالة اليك خبرنى بكل شيء يتعلق بهذه الاسئلة المطروحة عليك •••)) (1) •

أما الرسالة الثانية فكانت عبارة عن شرح للوضعية التى آل اليها الاسطول للوزير أحمد باشا وذلك اعتمادا على الاخبار التى بعث بها علج علي ويأمره بحفظ القلاع الموجودة بشبه جزيرة المورة وجميع الاماكن التى يجب حفظها وحراستها • ويأمره كذلك بالاسراع لتقديم يد المساعدة لعلج علي اذا اقتضى الامر ذلك • كما يأمره بتأمين الذخيرة اللازمة للقلاع الواقعة على السواحل واعداد وتجهيز ثغراتها للقتال • (2) •

ولما انسحب علج علي من المعركة الى ناحية قناة سان مورة ، بدأ يعمل على جمع شتات ما تبقى من الاسطول ، وترميم ما تعطب منه • وقدر معظم الكتاب *

1) أ • ر • و • مهمة دفترى رقم 16 ، ص • 62 ، حكم رقم 129 بتاريخ 979/6/4 هـ

2) أ • ر • و • مهمة دفترى رقم 16 ، ص • 67 و68 ، حكم رقم 139 بتاريخ 979/7/4 هـ •

*
-Clansolles, op.cit., p.I59, 50 galères.
-Mercier, op.cit., p.II2, 40 galères.
- De Thou, op.cit., T.IV, p.469, 30 galères.
- Garrot, op.cit., p.433, 40 galères.
- Mouillard, in, R.T. n°2, annéeI895, p.368, 40 galères.

عددها بأربعين سفينة ، ومنهم من يذكر عددا أكبر منه في حين يذكر البعض الآخر عددا أصغر . منها حوالى أربعين كانت تشكل أسطوله الخاص تضاف اليها السفن التي غنمها وهي تقدر بحوالى عشرين قطعة .

ويتضح من خلال رسالة موجهة له بتاريخ 4 جمادى الثانية من طرف الصدر الاعظم محمد صقللي * أنه كان الرجل الوحيد الذى كان يعتمد عليه لجبر ما تبقى من الاسطول العثمانى . ومما جاء فى هذه الرسالة : ((حال وصول الامر عليك بتسجيل أسماء أصحاب المهارات فى علم البحار واستخدامهم فى البارجات والسفن الموجودة هناك . واذا كانت الفرصة مهيأة لارسالهم فعليك بارسال القدر الكافى من ذوى الكفاءات واصحاب المهارات فى علم البحار مع قائمة باسمائهم كما يتم تسجيلهم فى ترسانتنا واعطائهم أجورهم حال وصولهم ، ينبغى تمركز السفن المبعوثة فى المكان الذى تراه مناسبا بعد أن يتم جمع شتاتها ، ومن ثم ينبغى انبقاء عينا ساهرة واذنا واعية لحفظ اطراف واكناف تلك السفن ، والقيام باجراء الاتصالات معها ، فيجب القيام بذلك على أحسن وأنسب وجه والتصرف حسبما تمليه الظروف ...)) (1) .

---

* محمد باشا الملقب بالطويل ، من أشهر الصدور العظام الترك ، ولد فى قرية صقول من أعمال البوسنة . أهلته مواهبه لتولى مناصب هامة فى خدمة السراى منها : " قابوجى كخياسى " فى عام 953 هـ/1546 م ترك خدمة السراى وخلف خير الدين فى منصب قبودان باشا . بعد ذلك بثلاث سنوات عين بايلرباى الروملى وفى عام 961 هـ صحب سليمان القانونى فى حملته على بلاد فارس وحصل بعدها على رتبة " وزير ثالث " . كان صوقوللى يقود الجنود التى اعانت سليمان عندما نشب الصراع بينه وبين اخيه بايزيد . ثم تزوج صوقوللى اسميخان اخت سليم وكانت تصغره بأربعين سنة ، وبعد ان تولى منصب " وزير ثانى " انتهى به الامر الى ولاية منصب الصدر الاعظم عقب وفاة احمد باشا وظل فيه الى وفاته عام 1579 م .

كان الحاكم الفعلى للامبراطورية خلال حكمه كصدر اعظم . قتل يوم 1579/10/11 .
(انظر ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع عشر كلمة صوقلى . ص 382 .

1) أ . ر . و . مهمة دفترى رقم 16 ، ص 74 ، حكم رقم 150 ، بتاريخ 979/6/4 هـ

فى يوم 18 جمادى الثانية 979 هـ/7 نوفمبر 1571 م أرسل الصدر الاعظم محمد الصقللى الى علج علي رسالة تعيين فى منصب القابودان باشا ، وأعلمه أن السلطان عينه فى هذا اليوم 18 جمادى الثانية فى هذا المنصب ، ويقول فى الرسالة : ((آمرك عند استلامك لهذا الامر بأن تخبرنى بدون تأخر عن ذلك ، وبعده تركب البحر مع السفن الموجودة معك وتتصل بسعادة وزيرى أحمد باشا وتضم سفنك الى سفنه والسفن الموزعة هنا وهناك ، وتكمل تسليحها وتجهيزها ورجالها وجداغيها وما تحتاج إليه من العتاد ، وتأتى بها عبر الارخبيل ما بين جزر أوبى Eubée وشيوس ، وتتكلف بالدفاع عنها)) (1) .

دخل علج علي اسطمبول رفقة اسطوله المتكون من 90 سفينة (2) وما تمكن من جمعه من السفن التى كانت مشتتة هنا وهناك ، واستقبله السكان والحكام استقبال المنتصرين ، واستقبله السلطان شخصيا ، وعينه رسميا فى منصبه الجديد (3) . ومنذ هذا التاريخ استبدلت كلمة " علج " بأخرى أحسن منها وهي " قليج " أي السيف ، وسمي منذ ذلك التاريخ باسم قليج علي .

بعد تعيين قليج علي فى منصبه الجديد ، صدر قرار تعيين حسن باشا* ابن خير الدين فى منصب بايلرباى الجزائر (4) للمرة الرابعة . وقد اخبر الصدر الاعظم قليج علي بذلك (5) الا أن حسن باشا لم يتمكن من الالتحاق بمنصبه

1) cité par Lesur, op.cit., pp.I80, I8I.
2) Fevzi, op.cit., p.580.
3) Galibert, op.cit., p.2II.
4) أ.ر.و. مهمة دفترى رقم 10 ، ص ص 102، 103 ، حكم رقم 164 بتاريخ 979/8/27 هـ.
5) أ.ر.و. مهمة دفترى رقم 18 ، ص 106 ، حكم رقم 236 بتاريخ 979/8/19 هـ

* لم تذكر المراجع الدور الذى قام به حسن بن خير الدين فى معركة ليبانت سوى انه شارك فيها ، ويبدو انه لم يقم بدور بارز يحتاج الذكر ، لان الوحيد الذى قام بدور يستحق الذكر هو علج علي .

بالجزائر لانه كان مريضا ، ومات مع بداية سنة 1572 (979 هـ) ودفن قرب أبيه بأسطمبول (1) . وبعد وفاته صدر أمر تعيين قليج علي في منصب بايلرباى الجزائر، أو بالاحرى أمر بالاحتفاظ بهذا المنصب الى جانب منصبه الجديد كقائد للاسطول (2) .

---

1) Ilter, op.cit., p.I43. voir aussi, Encyclopedie de l'Islame, art. Hassan Pacha, pp.258, 259.

2) الامر موجه الى مسؤولي الجيش الانكشاري في الجزائر (يكيجرى اغاسى ، كتخدا ، بلوك باشلرى ، اوده باشلرى ، وانكشاريه جزائرغرب) بناء على مشاهدتنا لما بذله قليج علي أمير أمراء جزائر الغرب السابق من بسالة ومشاركة حقة في أداء خدماتنا المبرورة في سبيل الغزو والجهاد ، فقد استجلب بذلك مزيد عنايتنا ، واستحق بذلك تقليده قيادة الاسطول لدى بابنا المعلاء الى جانب امرة ولاية الجزائر ، كما فوضت اليه ايضا أمور ولاية تونس ... كما ونعرفكم بأنه قد تم تفويض ولاية جزائر الغرب الى أحمد باشا ... وأمرت، عليكم بحسن الاتفاق والاتحاد معه ، والعمل بأوامره ، والاجتهاد الى تعظيمه وتكريمه كما تعودتم دائما ...)) .
المصدر: أ . ر . و . مهمة دفترى رقم 12 ، ص 571 ، حكم رقم 1088 ، بتاريخ 7 رمضان 979 هـ .

الفصـــل الثالـــث

قليـــج علـــي أمـــير البحـــر (قـابـودان بـاشـا)

1)ـ التعريـف بمنصـب القـابـودان بـاشـا .

2)ـ اعـادة بنـاء الاسـطـــول .

3)ـ اســترجـاع تـونـس .

علاقة الجزائر بالمغرب [illegible] قبل عهد قليج علي.

4)ـ ~~الحملة ضد المغرب عام 1581~~ .

[illegible] في عهد قليج علي.

5)ـ حمـلات بحريـة أخـرى ما بـين 71 و 1587 .

1 - التعريف بمنصب القابودان باشا

لم يكن منصب القابودان باشا قبل القرن السادس عشر منصبا مهما لان الدولة العثمانية في هذا العهد لم تكن دولة بحريـة . ولذا كانت تعين أناسا لا تراعى فيهم الشروط التي يجب أن تتوفر في صاحب هذا المنصب، ولم تكن لهم غالبا خبرة بشؤون البحر . ومنذ عهد خير الدين بربروس أصبح المنصب المذكور مخصصا للبايلربايات (1) . ففي هذا العهد أصبح القابودان باشا يتمتع بمكانة محترمة جدا وقوة عظيمة لا تفوقها الا قوة الصدر الاعظم، فلا يستطيع أحد مخالفة آرائه ،بل وحتى انتقاده أمام السلطان .

كانت البحرية العثمانية كلها تحت سلطة القابودان باشا . فالموانى والشواطى وكذلك الترسانات وعتادها الضخم ،بالاضافة الى الجيوش العمال الذين يشتغلون بها . كل ذلك كان خاضعا للقابودان باشا ،فهو الوحيد الذي يعينهم أو يعزلهم . وهو الوحيد الذي يرقيهم في مناصبهم ،وهو الذي يحكم بالعدل بينهم ،كما كان يتصرف تصرفا مطلقا في الميزانية المخصصة للبحرية .

كان القابودان باشا يتحصل على نصيب مهم من ريع أناضوليا وشبه جزيرة أسطمبول وكذلك الخمس($\frac{1}{5}$) من جميع الغنائم البحرية ،كما كان له بيت محترم وحراس يتكونون من ثلاث فرق انكشارية (2) .

كانت ايالة القابودان باشا تسمى (جزائري بحرى سفيد)أي جزر البحر الابيض المتوسط ،وأحيانا تسمى الجزائر فقط،وهي تضم الصناجق التالية :

I) Ismail Hakki,op.cit.,p.4I4.

2) -Defontin-Maxange,op.cit.,p.I65. voir aussi,
-<u>R.A.</u>,T.,24,annéeI880,p.4I7,note,2.
-De la Croix,<u>Chronologique de l'hstoire Ottoman,</u>T.I,(Paris,I768),p.402.

نوع الخاص (1) :

افريبوز Ağribuz ،ليبانت Inebahti ،متيلان Midilli ،سيغاجيك Sigaçik ،غاليبولي Galibolu ،مزستري Mezistre ،بيغا Biga ، رودس Rodos ، قارلي ايلي Karli eli ، قوجه ايلي Koca eli .

الى جانب هذه الصناجق ، هناك أخرى سنوية تسمى : ساليانه Salyane (2) وهي تمنح لمدة سنة قابلة للتجديد وهذه الصناجق هي : صاقيز Sakiz ، ناقصوص Naksos ، مهدية (؟) Mehdiye .

كان على جميع صناجق باي والمتحصلين على التيمار (3) والزعامة (4) أن يشاركوا

---

1) خاص، هي اقطاعات ولاة الاقاليم ، وهي لا تتصل بشخص الحاكم ، بل تتصل بمنصبه وهي كبيرة ، وكان للسلطان اقطاعاته الخاصة تسمى ((خاص همايون)) .

لقد احتفظ العثمانيون بمبدأ كان متبعا أيام السلاجقة يقضي بأن تقسم الاراضي المفتوحة الى اقطاعات مختلفة القيمة تعطى أقلها للسبايهية لقاء خدماتهم العسكرية وتعطى أحسنها بصفة (زعامة) أو (خاص) للقادة الاكبر مركزا ، بشرط أن يسلحوا عددا من الجند يتناسب مع اقطاعهم .

ولما كانت أراضي السبايهية وراثية ، فقد ولدت نوعا من الارسطقراطية الزراعية راسية الاساس ، وكانت هذه الطبقة من الناس التي تتوقف مصالحها وايراداتها على الرواج الاقتصادي في القرى الممنوحة لها ، كانت تمثل الحكومة - على نحو ما - في نطاقها ، وكان لها دور كبير في تقدم الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر وفي رخائها . (محمد فؤاد كوبرلي ، المرجع السابق ، ص ص . 189 ، 190) .

2) كلمة فارسية ، معناها سنوي .

3) التيمار ، منح أرض نظير خدمة حربية ، أو هو من نوع الاقطاع التركي يلزم صاحبه أن يذهب الى الحرب راكبا وأن يقدم عددا من الجند أو الملاحين متلبسا لدخل الاقطاع ، وكان يطلق على صاحب التيمار اسم "سباهي" أي فارس ، ثم أطلق على التيمار الاسم المألوف "سباهيك" .

4) زعامة ، وهي اقطاع لا يقل دخله السنوي عن 20 ألف أسبر (أقجه) ولا يمكن انقاص هذا الدخل أو تقسيمه اذا ما انتقل الاقطاع الى وريث أو مالك آخر . وكان على صاحب هذا الاقطاع أن يسير الى الحرب بنفسه .

مع الاسطول .وتقديم الرجال اللازمين له ،وكان على البعض منهم المشاركة بالسفن كذلك (1) ،وكانت كل من تونس والجزائر وطرابلس تدخل ضمن هذا النظام ،ودام هذا الوضع الى غاية عهد قليج علي باشا ،وبعد وفاته استقلت كل من تونس والجزائر وطرابلس عن خاص الباليرباي . وابتداء من عهد خير الدين أصبح القابودان باشا ضابطا تميزه ثلاثة ذيول من الخيل (2) وأصبح عضوا في مجلس السلطان (3) .

كان الاسطول العثماني يتكون من الاسطول الاساسي للدولة ،وتضاف اليه سفن تقدم من طرف دريابايلر (أي حكام الحاص) (4) عند الضرورة .

كانت تطلق اعلى ادارة دريا باي تسمية دريا قلمه Derya Kalemi ، وهذه الادارة هي التي تشرف على كل الترسانات الموجودة باقليمها الاداري ،

---

1) في أواسط القرن السابع عشر كانت هذه السناجق تتكون من الزعامات والتيمارات التالية :
- غاليبولى يتكون من 14 زعامة و32 تيمارا .
- أغريبوز يتكون من 12 زعامة و 188 تيمارا .
- اينيباختي يتكون من 13زعامة و 287 تيمارا .
- مدللى يتكون من 4 زعامة و 83 تيمارا .
- سياجق يتكوم من 32 زعامة و 230 تيمارا .
- قوجاايلي يتكون من 25 زعامة و 187 تيمارا .
- قارلى أيلى يتكون من 11 زعامة و 119 تيمارا .
- رودس يتكون من 5 زعامة و 71 تيمارا .
- بيغا يتكون من 6 زعامة و 146 تيمارا .
- مزيسترى يتكون من 16 زعامة و 91 تيمارا .

في وقت الحملات تجتمع كل السنجاقيات وهذه الزعامات التي يبلغ عددها 138 زعامة والتيمارات التي يبلغ عددها 1434 تيمارلى لتشارك في الحملات زيادة عن ذلك تأخذ معها 1893 عزابا وعددا من أنواع أخرى من الجيوش يبلغ عددها الاجمالي 4500 شخصا الى جانب هذا تشارك السفن الجيدة التابعة لتونس والجزائر وطرابلس مع 3 أو 4 آلاف شخص تنظم الى الاسطول . (اسماعيل حقي ، المرجع السابق ،ص ص . 420 ، 421) .

2) كان ذيل الحصان يستعمل للدلالة على الرتبة عند كبار الدولة ،هناك مثلا باشا بذيل واحد أو اثنين أو ثلاثة وهكذا ،وتعلق على عمود يرفع أمام الباشا .

3) Ismail Hakki,op.cit.,p.42I.

4) الموسوعة الاسلامية ،الجزء الثاني ،ص ص . 170 ، 171 .

وهي موضوعة تحت حاكم يسمى "ترسانة أميني Tersana emini"(1) .

لما عين علج علي في منصب القابودان باشا عام 1571 ،بقي محافظا على سلطته في كل من طرابلس وتونس والجزائر (2) وأحدث في الاسطول تغييرا مهما يتمثل في نوع السفن التي بناها بعد معركة ليبانت ،اذ أدخل النوع الجزائري الذي يمتاز بخفة الحركة والسرعة* ،كما شيد ثماني سفن من الحجم الكبير (galéasse) وأصبح الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط هو ميدانه الذي يصول ويجول فيه بحرية شبه مطلقة . وقد مكث في هذا المنصب ما يزيد عن ست عشرة سنة .

كان القابودان باشا اذا خرج من اسطمبول على رأس الاسطول العثماني يزود بالتوجيهات اللازمة والاوامر التي ينفذها طوال فترة غيابه، وتكون هذه التوجيهات والاوامر مغلقة ومختومة يبدأ في تطبيقها بعد خروج الاسطول من اسطمبول ،ولا يفتح الغلاف الذي يحتوي على الاوامر والتوجيهات الا بعد خروج الاسطول من مضيق غاليبولي** Gallipoli بالضبط (3) .

بعد تعيينه في منصب القابودان باشا ،قام قليج علي بتعيين خلفاء له على الجزائر وتونس حكموا فيها باسمه ،وكانوا يعينون في الغالب من طرفه شخصيا دون تدخل الباب العالي*** وهؤلاء الخلفاء هم :

---

1) نفسه ،وكذلك : Ismail Hakki,op.cit.,p.42I.

2) أ.ر.و. دفتري مهم رقم 12 ،ص. 571 ،حكم رقم 1088 ،بتاريخ 979/11/7هـ.

* عن هذا الموضوع انظر M.Belahmissi,op.cit.,T.I,pp.I32,I39

** هو بوابة مضيق الدردنيل عند الخروج من بحر مرمرة نحو البحر المتوسط.

3) Chalcondyle,op.Cit.,T.II;p.I28.

*** باستثناء جعفر باشا الذي خلف حسن فنزيانو كان قد عينه الباب العالي بعد شكاوي قدمت له من طرف انكشارية الجزائر عام 1580م .

ـ عرب أحمد 1572 ـ 1574

ـ القايد رمضان 1574 ـ 1577

ـ حسن فنزيانو 1577 ـ 1580

ـ جعفر باشا 1580 ـ 1582

ـ حسن فنزيانو للمرة الثانية 1582 ـ 1583

ـ مامي أرناؤوط 1583 ـ 1586

ـ أحمد باشا 1586 ـ 1589م (1)

---

1) Eugène Plantet, op.cit., T.II, p.584.

هناك دراسة مفصلة لهايدو بعنوان "تاريخ ملوك الجزائر" عن هؤلاء الخلفاء، وهي منشورة في المجلة الافريقية من طرف دي غرامون في العددين 24 و 25. Haëdo, (Hist. des Rois d'Alger) traduite et annotée par H.D. de Grammont, Revue Africaine, T. 24-25.

2 - قليج علي قابودان باشا وتجديد بناء الاسطول

انتهت معركة ليبانت بتحطيم الاسطول العثماني وموت القابودان علي باشا كما سبقت الاشارة الى ذلك، ولم ينج الا قسم صغير من السفن وهو ما يمثل الاسطول الجزائري الذي كان تحت قيادة قليج علي، واعترافا من السلطان بالدور البارز الذي قام به قليج علي في هذه المعركة عينه في منصب القابودان باشا خلفا لعلي باشا. كما أن السلطان أعطى له لقبا جديدا يتلاءم مع مكانته كبطل معركة ليبانت، فسماه بقليج علي، عوضا عن علج علي وهذه الكلمة تعني في اللغة التركية السيف((فهذا الاسم يحمل في ثناياه معنى الجهاد، ومعنى التكريم)) (1).

أصبح قليج علي في منصبه الجديد شخصية عظيمة في الدولة، فهو المسؤول على كل ما يتعلق بالبحرية والجزر والشواطئ والموانئ والصناعات البحرية وصناعة السفن والثكنات البحرية والميليشيات، وكان له حق التوظيف واعطاء الرتب العسكرية (2).

كان أول هم لقليج علي بعد توليه منصبه الجديد هو بناء أسطول جديد وفي أقصر الآجال لمواجهة الحلف الاوربي تحسبا لهجوماته على الدولة العثمانية مغتنما فرصة ضعف اسطولها. والملاحظ أن قليج علي بدأ في القيام بهذه المهمة وهو لم يدخل اسطمبول بعد، فبمجرد انسحابه من معركة ليبانت يوم 7 أكتوبر 1571، بدأ يفكر في لم شتات الاسطول، وقد اتضح من الرسائل المتبادلة بينه وبين الصدر الاعظم محمد صقللي أن هذا الاخير كلفه بهذه المهمة مع مهمة تجهيز ما تبقى من السفن وتجنيد ما يمكن تجنيده من الرجال المتخصصين في شؤون البحر، ويظهر

---

1) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 391.

2) De Grammont, (Un Pacha d'Alger), in, R.A., T. 29, année I885, p. 36I.

هـذا بوضوح في تلك الرسالة التي يأمره فيها بتسجيل أصحاب المهـارات في علم البحار بغية استخـدامهم في البارجات والسفن وارسالهم من قائمة بأسمائهم • كما يأمره بجمع السفن في مكان محـدد والقيام باجراء الاتصالات معهـا وجمع شتاتهـا ،مع المحـافظة على السفـن التي تصل الـى جهتـه وجعلهـا في المكـان الذي يراه مناسبا (1) •

بعـد أن جمـع السفـن التي تمكن من جمعهـا وأصلح المتضررة منهـا قام ببنـاء بعض السفن الجـديدة في ليبـانت وبعض المـوانئ الاخـرى القريبـة ،ثم توجـه الى اسطمبول ودخلهـا دخـول المنتصـرين حامـلا معه علم فرسـان القديس يوحنا وهو العلم الـذي غنمـه في المعـركـة (2) • وكـان عـدد قطع أسطوله يبلـغ 130 قطعـة من مختلف الانـواع(3) •

في اسطمبول بدأ القيام بالمهمـة المنوطـة بـه ،ألا وهي تجـديد بناء الاسطول ،وقـد وجـد المساعدة اللازمـة من طرف الوزير محمـد صقللى باشا وقال له : ((ان ثروة الامبراطورية تمكننـا ان أردنـا أن نصنـع مراسينـا مـن الفضة ،والحبال من الحـرير والأشرعـة من حريري من نوع ساتان (Satin) [قماش] ، واذا احتجـت الى أي شيء لتجهـيز السفـن فمـا عليك الا بالتوجـه الـيّ شخصـيا)) (4) •

كذلك عمل قليج علي على تـوسيـع ترسـانة اسطمبول ،وأضـاف لهـا حـدائق قصر حاصكوي Hasköy ،وبـدأ في بناء ثماني سفـن كبـيرة (galéasse) على النموذج البندقـي داخل ثمانية أحواض جديدة تـم بناؤها داخـل الترسا نـة حديثـا :

عـين قليج علي في منصب قبطـانات الترسانة رفقـاءه من الجـزائـر

1) مهمة دفتري رقم 16 ،ص: 74 ،حكم رقم 150 ،بتاريخ 4 جمادي الثانية 979هـ
(2 Lesur,op.cit.,p.224.
3) رسالة السفير البندقي بتاريخ 1572/11/29 ذكرهـا Defontin-Maxange في المرجـع السابق ،ص• 155 :
(4 Lesur,op.cit.,p.225.

وأعطى لكل منهم منحة ،فقدم لأرنا ووط مامي 80 أقجه* ومراد رايس 70 أقجه، وقره علي 50 أقجه وقره حسن 50 أقجه كذلك (1) .

بفضل عزم قليج علي باشا والامكانات المتاحة لـه ،تمكن في شتاء 1571/ 1572 من بناء أسطول جديد يتكون من 250 سفينة تم بناؤها جميعا على النموذج الجزائري : خفيفة الحركة بسبب خفة وزنها وقلة حمولتها ، الشيء الذي جعلها سريعة جدا بالمقارنة مع السفن المسيحية ،كما أعاد تسليح رجالها ،فألغى سلاح السهام والرماح الذي أثبت عدم فعاليته في معركة ليبانت ،وعوضه بالاسلحة النارية (2) .

لم ينتظر محمد صقللي باشا عودة قليج علي للشروع في بداية تجديد الاسطول ،بل أصدر أوامره منذ وصول خبر الهزيمة الى اسطمبول بالبدء في العمل منذ يوم 24 أكتوبر 1571 لبناء مائة سفينة حربية جديدة من نوع كاليرا مسلحة على أن تكون جاهزة قبل ربيع سنة 1572 ،كما أمر بصب المدافع وصناعة القذائف ذات 13 كلغ بكميات تكفي لهذه السفن ، وأعطى تعليمات للجهات المعنية بتحضير المواد الضرورية لهذه السفن من الاخشاب والمعادن المختلفة والحبال والاشرعة (3) وقد جلبت هذه المواد من المناطق التالية : الاشرعة من اليونان ،القنب من بلغاريا ،السلاسل والمراسي من ساماكو Samako **،الشحم والزفت والقطران والاخشاب من موانئ البحر الاسود (4) .

لاحظ قليج علي في معركة ليبانت أن قوات المسلمين تعوزها الماعونات وهي سفن من الحجم الكبير التي تستعمل في تزويد الاسطول بحاجاته

---

* عملة صغيرة من الفضة قيمتها واحد سنتيم و3/4 .

1) Fevzi,op.cit.,pp.580,58I.

2) Braudel, La Méditerranée,T.II,p.4II.

3) Lesur,op.cit.,p.227.

** مدينة توجد جنوب شرق صوفيا .

4) Idem,p.228.

وهو في البحر ،فهي اذن سفن نقل من جهة ،وخزانات عائمة من جهة أخرى ،ولما لاحظ أهميتها أعطى الاوامر لبناء ثمان قطع منها تم تسليحها بالمدافع في المقدمة والمؤخرة (1) .

بعد أن تم تجهيز السفن بالاسلحة والعتاد* ،ظهر مشكل الرجال ، وقد أجمع معظم الكتاب على أن الدولة العثمانية استطاعت في ظرف وجيز أن تبني الاسطول الجديد وتجهزه وتسلحه ،الا أنها واجهت مشكل البحارة . لقد استطاعت أن تعوض قواتها التي فقدتها في ليبانت عن طريق التجنيد من مختلف أنحاء الامبراطورية ،الا أن التكوين والتدريب كان ناقصا ،لان تكوين الرجال يتطلب مدة أطول بكثير من بناء السفن ،لذا فالاسطول يحتاج الى الملاحين المهرة والمدفعيين والضباط . ولو أن التجنيد كان قد ركز على منطقة اليونان نظرا لمعرفتهم الكبيرة بفنون البحر ،الا أن هؤلاء المسيحيين قد يشكلون خطرا كبيرا في المواجهات الخطيرة مع العدو كما حدث في ليبانت.

يتضح من رسالة موجهة لشارل التاسع ملك فرنسا من طرف سفيره باسطمبول تحمل تاريخ 23 مارس 1572 ،أنه في ربيع هذه السنة كان الاسطول جاهزا للابحار بمائتي قطعة من بينها مائة وستون كاليرا ،تحت قيادة قليج علي باشا (2) .

ان الانتصار الذي حققته المسيحية يوم 7 أكتوبر 1571 في ليبانت لم يؤثر على معنويات الدولة العثمانية ،بل بالعكس ،فقد كان حافزا

---

1) Idem, p. 229.

* كانت الاسلحة النارية تصنع في مصانع الدولة العثمانية المختلفة خصوصا الموجودة منها في اسطمبول ،ويستعمل فيها الاسرى المسيحيون البارعون في مختلف الامور العسكرية كبناء السفن وصب المدافع وكذلك مختلف الاسلحة النارية الاخرى ،كما تستعين الدولة ببعض العمال اليونانيين البارعين في هذا الميدان .

2) cité par Charriere, op. cit., T. III, p. 29I.

لهــا بعــد أن عــرفت خطــورة الموقــف الذي آل اليــه الاسطول لتســارع لتعــويض قــواتهــا المهــزومــة بقــوة أكبر وأحســن تسليحــا .

أمــا بالنسبــة للــدول المسيحــية فيبــدو أنهــا لم تعــرف كيف تستغل انتصــارهــا ، وهــذا ما تأسف له معظم من كتــب من الاوربيــين عن موقعــة ليبــانت، بحيث تفرق الحلــف وسارع الحلفــاء الى تقسيم بعض الغنــائــم . ولكــن الشيء الذي لم يــذكره معظم هؤلاء الكتــاب ، هو أن الاسطول المسيحي كانت خســائره أيضا كبيرة ، وتضــرر كثــيرا ، ففرقــة البنــدقية انسحبت نحــو الشمال لتضمد جراحــهــا وتسد النقص في مؤونتهــا ، أمــا السفــن الايطالية والاسبانيــة فهي لم تصل الى موانيء نابولي وصقلية الا بصعــوبة كبيرة نظــرا للأضرار الكبيرة التي لحقت بهــا (1) .

يعتقــد البعض أن عــدم مواصلة الــزحف المسيحي بعد ليبانت كان بسبب بعض الخــلافات الشخصية* بين المسيحيين (2) ، كما أن انتصــار المسيحيــة في ليبانت كان في الحقيقــة بــداية انهيار الدولتين العظميين في ذلــــك العهــد ، أي الدولة العثمانية والاسبانية (3) .

من المؤكد أن الدول المسيحية بعد أكتوبر 1571 كانت تعتقــد أ ن القضاء النهائي على الــدولة العثمانيــة لم يعــد الا مسألة وقت لأن حامي حماها هــو الاسطول وقــد تحطــم ولم يبق منــه مــا يهــدد المسيحيــين بعــد هــذه الموقعــة . الا أن مفــاجــأتهــا كانت عظيمــة عنــدما سمعت بأخبار الاسطول الجــديد وخاصــة عندما رأتــه في صيف 1572 يجــوب البحر الابيض المتوسط تحت قيادة قليج علي أميره الجديد . ويتضــح مــن

1) جون وولف، المرجع السابق ، ص. 90

* تلقى قائد الاسطول المسيحي تعليمات من ملكه بأن يكون حذرا جدا ، وفي خريف 1572 عندما التقى مع الاسطول العثماني تحت قيادة قليج علي تماطل في مواجهته ولم ترض البندقية بذلك وفكرت أنه مادام الاسطول المسيحي غير قادر على حمايتها ، فالاحسن لها عقد معاهدة صلح مع العثمانيين وكان ذلك عام 1573م . انظر: DE Thou, op.cit., T.IV, p.p.712-720

2) Revue Tunisienne, T.21, année 1914, p.4.

3) Idem.

رسالة أخرى لسفير فرنسا في اسطمبول لملكه بتاريخ 1572/5/8 ،أنه متخوف من مصير المسيحية جمعاء أمام نمو الاسطول العثماني ويحذر ملكه من ذلك ،والاكثر غرابة في نظر هذا السفير هو أن هذا الاسطول الجديد تم بناؤه دون أن تسحب الدولة أوقية واحدة من خزينتها (1) •

كانت أكثر الدول المسيحية تخوفا من القوة العثمانية الجديدة ،هي دولة البندقية القريبة من اسطمبول ،والتي لها مصالح تجارية في شرق البحر الابيض المتوسط ،وهي الدولة التي تضررت أكثر من غيرها بفعل معاداتها للعثمانيين ،وقد جاء سفيرها في اسطمبول لجس نبض الوزير محمد صقللي فقال له هذا الاخير: ((جئت لترى كيف أصبحت معنوياتنا بعد ليبانت؟ هناك فرق كبير بين خسارتكم (ضياع قبرص) وخسارتنا ،فباستيلائنا على قبرص نكون قد قطعنا لكم ذراعا ،وبهزيمتكم لاسطولنا تكونون قد حلقتم ذقننا • فالذراع المقطوع لن ينمو أبدا ،أما اللحية المحلقة فهي تعود أكثر من السابق)) (2) •

مع بداية فصل الصيف كان الاسطول جاهزا ومستعدا للخروج من اسطمبول في مهمة داخل البحر المتوسط • والجديد فيه زيادة عن حداثة السفن ،أن الجنود الذين يزيد عددهم عن عشرين ألف رجل ،كانوا مسلحين كلهم بالاسلحة النارية ،وهو الشيء الذي لم يمارس من قبل في الدولة العثمانية ،ويعود الفضل فيه لقليج علي الذي اتخذ التدابير اللازمة لتغيير الاسلحة التقليدية بأسلحة حديثة بعد أن اكتشف فعاليتها في معركة ليبانت (3) •

كان الاسطول الذي خرج بهقليج علي في صيف 1572 يفوق عددا الاسطول المسيحي الذي شارك في معركة ليبانت ، اذ كان يتكون من 250 كاليرا و 8 ماعونه وعدد كبير من السفن الصغيرة الحجم •

(1 cité par Charriere,op.cit.,T.III,p.269.
(2 Defontin-Maxange,op.cit.,pp.158,159.
(3 Charriere,op.cit.,T.III,p.272.

ان أهم هدف رسمه قليج علي في هذه الآونة ،هو منع الاسطول المسيحي من الوصول الى الارخبيل اليوناني ،وكذلك حماية الاسطول العثماني من كارثة جديدة • فالارخبيل يعد مفترق طرق ،والمسيطر عليه يكون بيده زمام القوة • أما الاسطول فهو الذي يمثل كل قوة الدولة (1) •

في يوم 7 أوت 1572 ،وقعت مواجهة بين قوات قليج علي والقوات البندقية بجوار جزر سيرف Cerfs ودراغونيراس Dragoneras القريبة من سيريغو Cerigo (Eythère) ،الا أن المواجهة لم تدم طويلا لنزول الليل الذي داهمهم ،فانفصل الاسطولان دون خسائر كبيرة بين الطرفين ،ودون أن يتغلب أحدهما على الآخر (2) • ويقول هايدو ان قليج علي استفز المسيحيين في جزيرة المورة الا أنهم لم يستطيعوا مواجهته رغم كثرة عددهم ورغم أن انتصارهم في ليبانت لم تمض عليه الا مدة قصيرة من الزمن • واعتبر هذا انتصارا معنويا لقليج علي وللدولة العثمانية كذلك (3) •

حاول الحلفاء محاصرة قليج علي وقواته في ميناء كورون ،وأرادوا مباغتته قبل خروجه الى عرض البحر (1572/8/11) الا أن قليج علي الذي كانت له عيون في كل مكان عرف نوايا الحلفاء قبل وصولهم ،فأخرج الاسطول الى عرض البحر واستعد لمواجهتهم • وعند وصولهم ، فوجئوا بسفن العثمانيين على استعداد لمحاربتهم في عرض البحر • وهكذا اكتفوا بتأمل هذا الاسطول القوي ولم يتجرأوا على مواجهته ،وتركوه يواصل غزوه للجزر والشواطئ المسيحية (4) •

---

1) Braudel, La Méditerranée, T.II, p.4II.

2) Demetrius Cantimir, <u>Hist. de l'Empire Ottoman, où se voyent les causes de son agrandissement et de sa décadence</u>, traduit par M. de Joucquière T.III, (Paris, imp. Barois, fils, I74I), p.I3.

3) Haëdo, op.cit., p.I48.

4) Cantimir, op.cit., T.III, pp.I3, I4. voir aussi,

رغم ما ذكر ،فان قليج علي لم يكن يشعر أنه في مستوى الاسطول المسيحي من حيث الخبرة ،لذلك رفض التورط في معركة متكافئة ،فقد انسحب على الاقل مرتين خلف ستار من الدخان أطلقته أسلحته ،ثم ظهر في جهات أخرى لمضايقتهم من جديد (1) . بسبب قلة خبرة بحارته وجنوده ،ففضل عدم المغامرة كثيرا وسط صفوف العدو . ان تعليمات الوزير الاول محمد صقللى لقليج علي كانت واضحة ،فهي تطلب منه الحذر الكبير ،ومراقبة الاسطول المسيحي . وإذا كانت قوات العدو كبيرة فيجب الانسحاب، واذا كانت صغيرة فالهجوم . وقد تصرف في لقائه السابق وفقا لهذه التعليمات(2) .

في يوم 16 سبتمبر 1572 ،التقى دون جوان النمساوي بطل ليبانت بقليج علي في مودون ،الا أنه لم يتجرأ على مواجهته (3) بسبب قوة الاسطول الذي كان معه ،كما أن سمعة قليج علي بعد ليبانت أصبحت جيدة خصوصا وأنه الوحيد الذي خرج من المعركة بدون أضرار كبيرة .

استمر قليج علي في غزو الجزر والشواطئ المسيحية طوال شهر سبتمبر وأكتوبر دون أن يستطيع الحلفاء ايقافه عند حده ،وفي شهر نوفمبر مع نهاية موسم النشاط البحري ،عاد الى اسطمبول ودخلها دخول المنتصرين محملا بالغنائم الكثيرة التي غنمها في ضواحي اليونان . وعندما كان بمياه المورة ،اغتنم فرصة وجوده هناك لتعليم بحارته فنون الحرب والملاحة وما يتعلق بالبحر(4) .

لما رأت دولة البندقية أن الاسطول المسيحي غير قادر على مواجهة الاسطول العثماني ،اقتنعت أن بقاءها في الحلف المسيحي سيلحق بها من الاضرار أكثر مما تجنيه من الارباح (5) ،فسعت الى التقرب الى الدولة العثمانية

---

1) وولف ،المرجع السابق ،ص. 91

2) Lesur,op.cit.,p.239.

3) Idem,p.24I.

4) Fevzi,op.cit.,p.582.

5) De Thou,op.cit.,T.IV,pp.7I0-7I2.

فعرضت عليهما الصلح ، واستمرت بينهما المفاوضات مدة طويلة انتهت بامضاء الصلح بينهما يوم 7 مارس 1573 (ذي القعدة 980هـ) ، وقد تم الصلح على أساس التنازل على قبرص للدولة العثمانية ودفع غرامة حربية قدرها 300 ألف دوكا (1) ، والاحتفاظ كذلك بجزر : أنتيفاري Antivari ودولسينيو Dulcigno بألبانيا ، وكذلك جزيرة سوبوتو ، وما عدا ذلك تحتفظ كل دولة بما كانت تملكه قبل اندلاع الحرب بينهما ، وأرضت الاتفاقية باطلاق سراح المساجين لدى الطرفين (2) .

---

1) محمد فريد ، المرجع السابق ، ص . 258

2) De Thou, op. cit., T. IV, p. 7I9.

3- استرجاع تونس عام 1574

في يوم 7 مارس 1573، تم امضاء معاهدة صلح بين الدولتين البندقية والعثمانية، وخسر الحلف المقدس بذلك أحد أعضائه النشطين في الصراع المسيحي العثماني . واستفادت اسطمبول من هذا الصلح، بحيث تحرر أسطولها الذي كان مرابطا في الحوض الشرقي للمتوسط، وبدأ يستعد للاهتمام بما يجري في حوضه الغربي الذي كان دون جوان يجول فيه دون خوف من الاسطول العثماني .

بمجرد امضاء الصلح اذن مع البندقية، صدرت الاوامر لقليج علي بالتوجه الى ناحية تونس ((لغزو الكفار)) ويتضح ذلك في الرسالة الموجهة لحاكم تونس القائد رمضان بتاريخ 21 ذي القعدة 980هـ الموافق ليوم 25 مارس 1573 (1) .

يتضح من هذه الرسالة أن الهدف من الحملة هو اقليم تونس بشكل عام دون تحديد نقطة معينة، ولكن اذا عرفنا الدور الخطير الذي تقوم به قلعة حلق الوادي الاسبانية التي لم تسمح الظروف لقليج علي من الاستيلاء عليها عام 1569، نعلم أن الهدف من الحملة هو القلعة بذاتها، خصوصا وأن الاسبان كانوا يضيقون الخناق على المسلمين بواسطتها لأنها كانت تحتل مكانا استراتيجيا . يقول صاحب الحلل السندسية فيها : ((كانت النصارى تكمن فيها للمسلمين، ويرسلون الاغربة لاخذ الموحدين، ويقطعون الطريق على المسافرين ... وعم أذاهم للأمة المحمدية قتلا ونهبا، وأسرا وسلبا، الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام، وزاد فساد أهل الصليب على صلحاء المؤمنين ...))(2) .

تأكدت وجهة الاسطول وهدفه في الرسالة الموجهة الى أمير أمراء الجزائر

---

1) مهمة دفتري رقم 21، ص. 226، حكم رقم 540 بتاريخ 21 /980/11هـ.

2) السراج، محمد بن محمد الاندلسي، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تقديم وتحقيق، الحبيب الهيلة، ج. 2، القسم الاول، (تونس، دار الكتب الشرقية، 1973)، ص. 13.

نصب دون جوان النمساوي على عرش تونس مولاي محمد (أخ السلطان أحمد الذي رفض شروط القائد الاسباني)* ونصب معه حاكما اسبانيا وهو سربلوني Serbelloni بقوة تقدر ب 000 22 عسكري في تونس ، وفي حلق الوادي عين بورتو كريرو Porto Carrero بقوة تزيد عن 000 4 جندي ، وبعد ذلك غادر تونس(1) .

يبدو أن السلطان أحمد هو الذي أقنع ملك اسبانيا بضرورة تجهيز هذه الحملة على تونس لاستعادة عرشه الذي سلبه منه قليج علي باشا ، وبدون شك فان تلبية طلبه هذا لم يكن في الحقيقة من أجل اعادته الى السلطة بقدر ما كان الغرض منه هو التخلص من قوة الجزائر التي كانت تقلق ملك اسبانيا كثيرا (2) .

كان الملك فليب الثاني ينوي تغيير استراتيجيته في افريقيا ، فبدلا من اقامة هذه التحصينات المتباعدة والتي تتعرض دائما لتهديدات العثمانيين ، كان يرى أنه من الافضل هدم قلعة حلق الوادي وتونس ومختلف التحصينات الساحلية المتفرقة ، لان احتلال السواحل بصفة دائمة يعتبر أمرا صعبا ، ولا تجني اسبانيا منه فائدة اقتصادية ولا سياسية (3) ، الا أن دون جوان لم يكن يشاطره الرأي ، فكان يرى أن تونس يمكن أن تكون قاعدة ممتازة لاوربا لمواجهة الدول الشرقية ، وقد وجد تشجيعات من طرف روما ومالطة ، فراح ينفذ مخططاته مخالفا بذلك أوامر فليب الثاني ،

---

* أرسل دون جوان السلطان أحمد أولا الى باليرمو مع اثنين من أبنائه ، ومن هناك تم تحويله الى نابولي حيث سجن في حصن سانت الم Saint Elme ويقول دي تو انه رآه عام 1574 في هذا الحصن وكان عمره في تلك السنة يقارب الثمانين سنة وهي سن متقدمة جدا : De Thou, T.IV, p.722 -

(1 Revue Tunisienne, n° 2, année 1895, p.368 voir aussi ابن أبي دينار ، المرجع السابق ، ص. 175 وما بعدها .

(2 Rousseau, op.cit., p.27.

(3 Idem, p.28.

بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ / 19 أفريل 1573م تخبره بنية الدولة في ارسال الاسطول الى حلق الوادي وسائر القلاع الحربية الاخرى، ويكون الاسطول تحت قيادة القابودان قليج علي باشا ، وتطلب الرسالة منه أن يرسل لملاقاة الاسطول الرجال والاسلحة مع العتاد الحربي اللازم ... (1) .

الا أن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح ، اذ واجهت قليج علي عاصفة أجبرته على الالتجاء الى موانئ اليونان بأسطوله ، ومع ذلك تضررت سفنه واضطر في الاخير أن يرجع الى اسطمبول استعدادا لتجديد المحاولة للمرة الثانية ، ولكن مصير هذه أيضا لم يكن أحسن من الاولى ، فأجل العملية بعض الوقت (2) .

اغتنم دون جوان* النمساوي الذي كان مع قواته في ميناء مسينة فرصة فشل قليج علي ، فهجم يوم 7 أكتوبر 1573 على تونس واستولى عليها بدون مقاومة بعد أن التجأت الحامية العثمانية التي كانت بتونس الى القيروان وهي تعلم أن المقاومة لا تجدي نفعا مع عدو كان عدد قواته يزيد عن 22 ألف رجل ، في حين كان عدد أفرادها لا يتجاوز الالفين من الرجال .

استغل اعداء قليج علي هذه الحادثة فاتهموه بالتواطؤ مع العدو والسماح له بأخذ تونس وذلك لكونه لم يترك بها القوات الكافية للدفاع عنها (3) ، والمعروف أن أعداءه كثيرون ، خاصة داخل القصر ، فكانوا يتهمونه كذلك بالالحاد وممارسة شعائر الديانة المسيحية في الخفاء كما سيأتي في الفصل الرابع .

---

1) مهمة دفتري رقم 21 ص. 266 ، حكم رقم 637 بتاريخ 980/12/16هـ

2) De Grammont, (Un Pacha d'Alger), p.II4.

* يقول دي تو ان فليب الثاني أراد أن ينتقم للامة الاسبانية من الاهانة التي وجهها لها قليج علي عندما هزمها في صيف 1572 ، فقرر أخذ تونس ، انظر:
De Thou, op.cit., T.IV, pp.720, 72I.

3) Charrière, op.cit., T.III, p.452.

فحصّن قلعة حلق الولدي وقلعة تونس بدلا من هدمهما ،وكان يهدف الى تنصيب نفسه ملكا على هذه المملكة الجديدة لانه يرى نفسه أ هلا لها وذلك حسب بعض المصادر (1) .

طلب قليج علي من السلطان سليم الثاني أن يأذن له باستعادة تونس قبل أن يتمكن المسيحيون من تحصينها تحصينا جيدا (2) ، ولعله أراد كذلك أن ينفي التهم الموجهة اليه فيما يتعلق بسقوط هذه الولاية في يد الاسبان ،وقد استجاب له السلطان ،وبدأت الاستعدادات في الحين .

تظهر الاستعدادات الاولية في تلك الرسائل الاربع التي أرسلها السلطان بتاريخ 5 ذي الحجة 981هـ / 28 مارس 1574،والخامسة بتاريخ 14 ذي الحجة من نفس السنة .

وجهت الرسالة الاولى الى حاكم تونس كرد على الرسالة التي أخبرت بسقوط الولاية بيد الاسبان وهي تعلم الحاكم عن الاسطول المجهز ضد حلق الوادي وتطلب منه الاستعداد لمد يد المساعدة بالرجال والسلاح والعتاد (3) .

أما الرسالة الثانية فهي موجهة لأحمد باشا وهو أمير أمراء الجزائر تخبره بتعيين القايد رمضان على الجزائر مكانه مكافأة له على خدماته التي أداها في تونس ،وتطلب منه التوجه الى تونس بقواته البحرية للالتحاق بالاسطول الذي يقوده قليج علي باشا والالتحام مع قوات تونس وطرابلس ،وكلها ستكون تحت مسؤولية قليج علي (4) .

---

1) Mangin, Regards sur la France d'Afrique, I2eme éd. (Paris, Plon, I924), p.I9. voir aussi, Pellissier de Raynaud, op.cit., p.IOI.

2) De Thou, T.V, p.73. voir aussi, Rotalier, op.cit., p.267

3) مهمة دفتري رقم 24 ،ص. 59 ،حكم رقم 166 بتاريخ 5/12/981هـ .

4) مهمة دفتري رقم 24 ص. 59 ،حكم رقم 167 بتاريخ 5/12/981هـ .

أمـا الرسالة الثالثة فقد كانت موجهـة الى القائد رمضان باشا حاكم الجزائر* تخبره بتجهيز أسطول يتكون من 300 (قدرغه) وتحـدد تاريخ خـروجه مـع بداية شهر محرم 982هـ/أفريل 1574م بقصـد ((فتح وتسخـير قلعة حلق الوادي)) • وتخـبره بأن الحملـة أسندت الى سنان باشا أما قيادة السطول فقد كلف بهـا القابودان قليج علي باشا • وتأمره بالتعاون مع حاكم طرابلس وحاكم تونس والاتحاد مـع قـائد الحملـة عند وصولـه الى تونـس(1) •

بالنسبـة للرسالـة الرابعـة فقد وجهـت الى الامراء والقضاة في سواحـل البحر الابيض المتوسط تأمرهم بمساعدة ميمي رايس المبعوث الى المنطقـة لتجنيـد المتطوعين والراغبين في الجهـاد بهـدف الحاقهم مع سفنهـم الى الوزير سنان باشا وتأمرهم أيضا : ((بترغيب واستمالة المتطوعين في مناطقهـم وترغيبهم في الجهاد المقدس في سبيل الله ••• واذا كان منهم القادرون علـى بناء القاليتات فيجب معاونتهم ومظاهرتهم بشراء اللوازم والمهمـات لبنـاء القاليتات كي يكونوا على أهبة الاستعـداد لنقلهم بسفن المتطوعين المجهزة الى حلق الـوادي التي تم العقـد على فتحهـا •••)) (2) •

وفي الرسـالة الاخـيرة المؤرخـة بتاريخ 14 ذي الحجة 981هـ الموافـق ليوم 6 أفريل 1574 الموجهة الى أمـير أمـراء جزائر الغرب القايد رمضـان تطلب منـه ارسال عساكر الجزائر للمشاركة في الحملة بعدد 1095 فارسـا

---

* يقول هايدو : كان رمضان باشا في القيروان ،وعند عودة مامي أرنؤوط مـن اسطمبول وهو يحمل أمر تعيين رمضان باشا على الجزائر ،توقف بميناء سوس وسلم التعيين لرمضان باشا ،فغادر هذا الاخير القيروان بعد أن ترك أحـد خلفائه هناك وتوجه الى الجزائر ودخلها في شهر ماي 1574• وفي شهر جويلية أرسل قوة بحرية شاركت مع قليج علي في أخذ تونس• انظر المرجع السابق ،ج • 24، ص ص • 425، 426•

1) مهمة دفتري رقم 24 ص• 60 ،حكم رقم 168 بتاريخ 981/12/5هـ
2) مهمة دفتري رقم 24 ص• 72 ،حكم رقم 198 بتاريخ 981/12/5 هـ•

وألف انكشاري بكامل عتادهم وعدتهم (1) •

خرج الاسطول العثماني من اسطمبول بقيادة قليج علي يوم 23 محرم 982هـ الموافق ليوم 15 ماي 1574 يتكون من 290* سفينة حربية وبعض سفن النقل ، وفي الطريق عرج على نفاران بالمورة حيث استراح بعض الوقت ثم استأنف الطريق متوجها نحو شواطئ البندقية • وفي يوم 5 ربيع الاول دخل ميناء انجري Endjeri (؟) ، وفي اليوم الموالي استأنف الطريق فوصل الى قلعة طبرق Tabark ** وهي قلعة جيدة التحصين كانت بيد المسيحيين • هنا جرت أول معركة بين القوات المسيحية والاسطول العثماني ، فانهزم الجيش المسيحي ، وهرب من هذه القلعة الى قلعة أخرى مجاورة حيث جرت معركة ثانية وخلفت المعركتان خسائر معتبرة بين الطرفين (2) •

1) مهمة دفتري رقم 24 ، ص• 91، 92، حكم رقم 246 بتاريخ 981/12/14هـ وتحدد الرسالة أماكن تجنيد هؤلاء بالشكل التالي : ((••• 60 فارسا من لواء تنس، 100 فارس من لواء معلعامة (كذا) ، 20 فارسا من منطقة سلسل (كذا) و80 فارسا من لواء مدية ، و100 فارس من رفقاء شرمي (كذا) الموجودين في نفس الجزائر ، و100 فارس من أغوات المتفرقة (متفرقه اغالرى) ومن قادة البلوك (بلوك باشترى) ، والجزائر ، و20 فارسا من بوابي الجزائر (قبوجى) و40 فارسا من جاويشها و35 فارسا من منطقة عمرون (كذا) و400 فارس من قسنطينة و80 فارسا من بسكرة ، و60 فارسا من بلد عباس (كذا) وألف من الانكشارية الاكفاء المسلحين ببنادقهم •••))

* 200 galères et plusiurs batiments de transport. (Relation de la conquête de la Goulette et du Royaume de Tunis par Sinan Pacha), Le Moniteur Algerien, n°7I5 du 25-I0-I845.

** يذكرها ابن أبي دينار باسم تيجة ، المؤنس ، ص• 187 (قلعة في بر الكفر) •

2) La Relation de la conquêti de la Goulette et de Tunis par Sinan Pacha وهو كتاب عن تاريخ الدولة العثمانية ، ترجم الى العربية، بأمر من حسن بن علي أول بايات تونس المنتمين الى العائلة التي كانت تحكم الى نهاية 1845 ، ومن النص العربي ترجم ألفونس روسو Rousseau هذا النص الى الفرنسية ونشره في جريدة Le Moniteur Algerien بتاريخ 1845/10/20 تحت رقم 715 وبتاريخ 1845/11/5 تحت رقم 717•

بمجرد سماع اسبانيا بخروج الاسطول العثماني لفتح تونس ،أمر دون جوان النمساوي وهو قائد الاسطول المسيحي ،بنقل قوات عسكرية وما يلزمها من السلاح والعتاد لدعم القائد الاسباني في حلق الوادي ،كما أرسل لكل من كاردنال غرانفيل Granvelle ودوق تيرا نوفا Terra Nova وهما نائبا الملك ، الاول في نابولي والثاني في صقلية بعمل كل ما في وسعهما لمساعدة حلق الوادي وتونس. الا أن خوفهما من القوات العثمانية جعلهما يدعمان قواتهما العسكرية في ممالكهما قبل مساعدة تونس(1) . أما القائد الاسباني بتونس فقد سارع هو الآخر للاستعداد لمواجهة الحملة العثمانية بمجرد سماعه بخبرها . فقام بضم القوات الموجودة ببنزرت الى حلق الوادي ، كما عمر الحصن الذي كان قد أقامه قرب البحيرة والمسمى بالباستيون (2) . أما القوات التي أرسلها دون جوان من ايطاليا فقد نزلت بحلق الوادي بتاريخ 29 ماي 1574 (3) . كما نقل بعض المرضى والعاجزين على حمل السلاح من تونس الى ايطاليا بتاريخ 23 جوان لانهم سيشكلون عبئا في مثل هذه الظروف(4) .

كان الاسطول العثماني يتكون من 230 * سفينة من نوع كاليرا و 30 غليوطة وحوالي 40 سفينة خاصة بالحمولة الثقيلة ،وعلى متنها 7 000 انكشاري و 33 ألف جندي ،والعتاد اللازم لمحاصرة حلق الوادي وتونس(5) .

قبل وصول الاسطول الى تونس ،كانت قوات القيروان وطرابلس والجزائر قد وصلت وعسكرت بالمحمدية قرب تونس قصد محاصرتها . وكلفت هذه القوات

---

1) R.T., T.I9, annéeI9I2, p.248.

2) Rousseau, op. cit., p.3I.

3) R.T., T.I9, p.248.

4) Idem, p.249.

* اختلف هذا الرقم من مرجع الى آخر لان البعض لا يذكر الا القطع الكبيرة ،في حين يذكر البعض الآخر كل القطع المشاركة مع الاسطول .

5) Idem, p.250.

في البداية بقطع طرق التموين على الاسبان ، والاستيلاء على كل ما هو خارج الحصون كعيون الماء والآبار... (1) .

وصل الاسطول العثماني الى تونس يوم 12 جويلية ،وأنزل قواته بالمنطقة التي تمركزت بها القوات العثمانية التي سبقته الى هناك ،والملاحظ أنهم وجدوا كل المساعدة من طرف الاهالي كالمواد الغذائية والجمال والخيول التي استعملوها في نقل المواد اللازمة لاقامة التحصينات فيما بعد . والملاحظ أن الحكام الاسبان وجدوا صعوبات كبيرة في التزود بالمياه في منطقتهم لانهم نزلوا بمنطقة فقيرة المياه ،وحفروا مجموعة كبيرة من الآبار ،الا أنها لم تسد حاجاتهم . في حين نزل العثمانيون في منطقة كثيرة المياه بحيث حفروا في وقت قصير جدا أكثر من عشرين بئرا وكانت كلها وفيرة المياه (2) .

بدأت المعارك يوم 17 جويلية ،وكان سنان باشا قد أرسل الى تونس قوة عسكرية تقدر بألف رجل ،على رأسهم مصطفى باشا وحيدر باشا ، وأرسل معهم ابراهيم بك من صنجاق مصر ومحمود بك من صنجاق قبرص وباكير بك صاحب قره حصار ،وكان مع هولاء كذلك ألف من العساكر مزودين بالمدافع والسلاح ،وأحاطوا بتونس ((احاطة السوار بالمعصم)) (3) . أما قليج علي فقد كلف بمحاصرة حلق الوادي في حين ذهب سنان باشا الى تونس لتفقد الحصار هناك .

جرت المعارك الاولى خارج مدينة تونس ،فانهزم فيها الاسبان ،وفقدوا المدفعين اللذين كانا بحوزتهم مع ما يقرب من 200 شخص بين قتيل وجريح ، ومما زاد في نكستهم تخلي بعض العرب الذين كانوا في خدمتهم عنهم في وقت الشدة (4) .

---

1) محمد السراج ،المرجع السابق ،ص. 16.
2) P. Sebag, op.cit., pp.175,176.
3) ابن أبي دينار ،المرجع السابق ،ص. 187.
4) R.T., T.19, année 1912, pp.250, 251.

لما رأى السلطان محمد والقائد الاسباني كثرة الجيش العثماني ، وعلما أن لا طاقة لهما به ،تركا المدينة وتحصنا بالباستيون بعد أن حصناه بالاخشاب والرمال والتربة ، وزوداه بالمدافع والطعام والماء وما يزيد عن 7000 مقاتل ، فدخل العثمانيون تونس دون مقاومة (1) ، وحصنوها ثم توجهوا لمقاتلة الاسبان بالباستيون .

في هذا الوقت كان قليج علي يقوم بدور فعال في حصار حلق الوادي، ويقول الكولونيل هانيزو Hanezo : ((ساهم كثيرا في تقدم الحصار، فكان في كل مكان ، يوجه ويشجع الرجال بأقواله وأفعاله)) (2) .

أرسل الامراء الذين فتحوا تونس الى سنان باشا يطلبون منه العون لفتح الباستيون ،فبعث اليهم قليج علي ، ولما وصل الى الباستيون ورأى حصانته ،طلب من سنان باشا مددا جديدا ، فأوفد اليه حوالي ألف جندي بقيادة علي آغا مجهزين بأربعة عشر مدفعا صغيرا وكبيرا ،وأحاط الجميع بالباستيون من جميع الجهات ولما بدأت المعركة وصل سنان باشا بنفسه ليطلع على الوضعية وليشد ازرهم ،ثم عاد الى حلق الوادي ليواصل اشرافه على عملية الحصار (3) .

استمر الحصار في حلق الوادي وكانت المعارك عنيفة بين المسلمين والمسيحيين ، وفي يوم 2 جمادى الاولى 982 هـ/20 أوت 1574 م تمكنت القوات البرية بقيادة سنان باشا من فتح ثغرة في القلعة والاستيلاء عليها نهائيا يوم 23 أوت (4) فقتل العثمانيون معظم من كان بالقلعة ما عدا 300 شخص احتفظوا بهم لطلب فديتهم بالاموال الكثيرة أو مبادلتهم بالاسرى المسلمين الموجودين في يد المسيحيين في مختلف أنحاء أوربا (5) .

---

1) ابن أبي دينار ،ص188 .

2) R.T., T.I9·p.254.voir aussi,Rotalier,T.V,p.78.

3) السراج ،المرجع السابق ،ص.180 .

4) De Grammont,op.cit.,p.II6.

5) R.T.,T.2,année I895,p.369.

ترجهت قوات حلق الوادى الى تونس وانضمت الى قليج علي باشا فشاركوا فى محاصرة قلعة الباستيون واستولوا عليها بعد ذلك بسهولة وقتل الكثير ممن كان بالداخل ، وغنموا ما وجدوا فيها من سلاح وعتاد ومؤونة (1) ، كما ألقي القبض على القائد الاسبانى سيربلونى Serbellouni* والقائد زاموغيرا Zamoguerra وبورتوكاريرو Porto Carrero ومولاى محمد ، ثم أرسل الجميع مكبلين الى اسطمبول (2) .

بسقوط الباستيون سقطت الدولة الحفصية نهائيا وخرج الاسبان من تونس الى الابد ، واصبحت المنطقة جزءا من الدولة العثمانية ، فعين سنان باشا عليها حيدر باشا وكلفه بوضع نظام عثمانى مشابه للنظام السائد بالجزائر (3) .

قبل خروج الجيش العثمانى من تونس ، أمر سنان باشا بهدم قلعة حلق الوادى حتى لا يتمكن الاسبان منها مرة ثانية ، لان المتحكم فيها يسهل عليه التكم فى تونس كما حدث فى السابق .

ان استرجاع تونس كان له صدى كبير فى اسطمبول واستطاع ان يزيل أثر معركة ليبانت وهذا باتفاق معظم الكتاب** الذين كتبوا عن هذه الواقعة ، ومما يثبت خطورة ما حدث هو أن دون جوان النمساوى الذى كان فى باليرمو عند بداية الحصار ، تلقى رسائل الاستنجاد من طرف سيربلونى حاكم حلق الوادى لكنه لم يغثه لاقتناعه أنه لا يستطيع عمل أى شىء أمام الاسطول العثمانى الضخم ، وكذلك الجيش الجرار الذى جاء به سنان باشا (4) . كما أن فليب الثانى لم يعمل أى شىء لاستعادة تونس بعد ذلك لكثرة مشاكلها ، كما صرف نظره نهائيا عن ساحل الشمال الافريقى لاهتمامه بمستعمراته فى جهات

---

1) ابن ابى دينار ، ص. 196 .

* تم تبادله فيما بعد بمحمد بن صالح رايس الذى أسر فى معركة ليبانت .

2) R.T., T.2, p.369.

3) Rousseau, op.cit., p.32.

ويقول ابن أبي دينار ان سنان باشا لم يخرج الا بعد أن وضع بنفسه هذا النظام ، انظر المرجع السابق ص. 200

4) ابن أبي دينار ، ص. 194 ، انظر كذلك R.T., T.I9, p.258.

** منهم : L.M.Mouillard, (Etablissement des Turcs en Afrique et en Tunisie), in, R.T., n°2, I895, p.368. voir aussi R.T., T., I9, p.259.

أخرى من العالم خاصة العالم الجديد .

تم استبدال الاسرى المسيحيين بالاسرى المسلمين ،وكانت روما أول من طالب باطلاق سراح القائد سيرلوني مقابل عدد من المسلمين ومنهم محمد بن صالح رايس الذى أسر فى ليبانت (1) .

التجأ أفراد الاسرة الحفصية الى صقلية ، وهناك بدأوا ينتظرون الفرصة المناسبة لاستعادة عرشهم ، وكان أحمد بن محمد الحفصى يبعث الرسائل الى فليب الثانى يطلب منه المساعدة ، وقد أمضى احدى رسائله بالعبارات التالية : ((خادم سيادتكم أبو العباس أحمد بن السلطان أبو عبد الله محمد)) (2) .

فى عام 1578 بعث أحمد الحفصى رسالة أخرى يطلب استعادة كل القطر التونسى وذلك بأن تجهز له حملة يشرف عليها بنفسه . الا أن فليب الثانى لم يلب طلبه هذه المرة كذلك . وفى عام 1581 تمكن من النزول مع بعض أتباعه على الشاطئ التونسى نواحى صفاقس ودخل القيروان وانطلق منها الى العاصمة صحبة أربعين ألف رجل بين فارس وراجل ، الا أن حاكم تونس تمكن من سحق قواته فى منطقة تقع بين قصور الساف والجم ،فعدل بعد ذلك عن السير الى العاصمة ،ورجع الى الجنوب ونهب وسلب ما تمكن منه أتباعه ، ثم تفرق عنه هؤلاء وانقطعت جميع آماله فى تونس وانتهت بذلك العائلة الحفصية (3) وأصبحت تونس أيالة عثمانية منذ عام 1574 م .

---

1) Defontin-Maxange, op. cit., p. I64.

2) محمد الهادي العامري ، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول ، (تونس ،الشركة التونسية للتوزيع ، 1974) ،ص 197

3) نفسه ،ص ص . 197، 199 .

4 - علاقة الجزائر بالمغرب في عهد قليج علي*

عرفت العلاقات الجزائرية المغربية خلال القرن السادس عشر تقلبات عديدة، تميزت بالصداقة أحيانا، وبالعداوة أحيانا أخرى، وقد تحكمت فيها عناصر عديدة أهمها:

أ - أطماع الدول المغربية (من المرينيين الى الوطاسيين الى السعديين) في المغرب الاوسط، وقد شجعهم على ذلك ضعف الدولة الزيانية.

ب - وجود عناصر أجنبية في المنطقة كالاسبان في معظم شواطئ شمال افريقيا منذ مطلع القرن السادس عشر، والعثمانيين بعد وصول الاخوة عروج وخير الدين.

جـ - تحول الجزائر الى ولاية عثمانية منذ عام 1518.

منذ البداية، نظر السعديون في المغرب بنظرة تخوف الى العثمانيين في الجزائر، وكانوا حذرين منهم. وقد تشجع العثمانيون في التدخل في المغرب الاقصى بسبب الصراع الذي كان بين الوطاسيين والسعديين. فبعد أن تغلب أبو عبد الله الشيخ السعدي على أبي حسون، وطرده من فاس، توجه الى الجزائر واستنجد بحكامها، فأخذ يحسن لهم بلاد المغرب ويعظمها في أعينهم الى أن أقنعهم بضرورة مساعدته على استرجاع ملكه (1)، كما أن أبا عبد الله الشيخ الذي كان قد دخل تلمسان وأعمالها ووصل الى غاية وادي الشلف في شهر جمادي الاول 957هـ (1550م) (2) كان يثير قلق حكام الجزائر، فوجد صالح رايس عرض أبي حسون مناسبة جيدة للتخلص من جار غير مريح وطامع في الجزائر، فتوجه مع أبي حسون على رأس

* للتوسع في هذا الموضوع انظر: العلاقات بين الجزائر والمغرب (923 - 1069هـ 1517 - 1659م) رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، من اعداد، عمار بن خروف تحت اشراف الدكتورة ليلى الصباغ (دمشق، 1983).

1) الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، (انجي 1888) ص30.

2) نفسه، ص36.

جيش كبير فدخلا مدينة فاس عام 1554 (961هـ) بعد معارك ضارية انهزم فيها أبو عبد الله الشيخ وهرب الى مراكش (1) .

أرسل صالح رايس وهو بفاس سفينتين بقيادة قليج علي محملتين بالغنائم والهدايا الى السلطان العثماني والى الشخصيات الهامة في الدولة وطلب منه قوات كثيرة وأسطولا للاستيلاء على كل المغرب وتحرير كل القواعد المحتلة من قبل الاسبان (2) .

في مراكش جمع أبو عبد الله الشيخ قواته بعد أن استنفر القبائل ، فتوجه الى فاس ، وجرت معركة بين قواته وقوات أبي حسون ، انهزم فيها هذا الاخير ثم قتل من طرف أبي عبد الله ودخل المنتصرون مدينة فاس يوم السبت 24 شوال 961هـ/26 سبتمبر 1554م (3) .

لما عاد صالح رايس من مدينة فاس ترك فرقة من الجيش الانكشاري في خدمة أبي حسون ، وبعد مقتل هذا الاخير ، أبقى أبو عبد الله الشيخ على هذه الفرقة وجعلها فرقة خاصة في جيشه ، وهكذا دخل العنصر العثماني في خدمة حكام المغرب .

لما وصل خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان القانوني واستيلاء السعديين على عرش المغرب الاقصى ، كتب الى أبي عبد الله الشيخ يهنئه بالملك ، ثم بعث اليه رسولا طالبا منه الدعوة له على منابر المغرب وكتابة اسمه على سكته ، فغضب أبو عبد الله الشيخ كثيرا وأساء الى رسول السلطان وقال له : ((اخبروا أصحابكم أني مفتح (كذا) عليه بلاده ، ومتوجه للقائه)) (4) ، ويذكر الناصري أن أبا عبد الله الشيخ

---

1) نفسه ، ص30

2) ابن خروف ، المرجع السابق ، ص169 ، انظر كذلك عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 81 .

3) الوفراني ، المرجع السابق ، ص31

4) نفسه ، ص42

قال لسفير السلطان : ((لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر ان شاء الله ، وحينئذ أكتب لسلطان القوارب*)) (1) .

لما بلغ رد أبي عبد الله الشيخ الى السلطان العثماني ، أمر حكام الجزائر أن يأتوه برأسه ، فبعثوا رجلا يقال له صالح الكاهية في شرذمة قليلة من الجند مظهرين أنهم هربوا من الجزائر رغبة في خدمته ، فرحب بهم ، وضمهم الى تلك الفرقة التي ذهبت مع أبي حسون ومكثت بفاس ، وذات يوم سمحت لهم الفرصة وهم بجبال درن فاغتالوه يوم الاربعاء 29 ذي الحجة 964هـ/23أكتوبر 1557م ، وذهبوا برأسه الى الجزائر ، ومنها أرسلوه الى اسطمبول (2) وهناك أمر السلطان أن يجعل داخل شبكة من النحاس وأن يعلق على باب القلعة فبقي هناك الى أن شفع في انزاله ودفنه ابناه عبد الملك وأحمد عام 1574 حين قدما الى اسطمبول (3) .

بعد مقتل أبي عبد الله الشيخ ، ورثه ابنه عبد الله . وفي شهر جمادي الاولى سنة 965هـ /1558م ، ذهب حسن بن خير الدين لغزو المغرب ، فخرج عبد الله لصده ، والتقيا على مقربة من وادي اللبن من عمالة فاس ، فكانت الدائرة على حسن ، ورجع منهزما بعد أن هرب نحو قاعدة بادس* التي كانت بيد العثمانيين ، ومنها أبحر نحو الجزائر (4) .

---

* كان أبو عبد الله الشيخ لا يسمي سلطان العثمانيين الا سلطان الحواته لان الغالب على هؤلاء العثمانيين السفر في السفن ، الوفراني ، ص42 .

1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري ، ج 5 ، (الدار البيضاء دار الكتاب ، 1955) ، ص32 .

2) الوفراني ، المرجع السابق ، ص43 ، كذلك الناصري ، ص ص33 ، 34 .

3) الناصري ، ص32 .

* يقول توفيق المدني انه جاءته الاخبار عن تحرك الاسبان من مدينة وهران بما يوشك أن يقطع عنه خط رجعته ، فذهب بجيشه الى مرفأ قصاصة في الشمال حتى امتطى صهوة سفنه . ص372 .

4) الوفراني ، المرجع السابق ، ص50

لما تولى عبد الله حكم المغرب ،كان أخواه عبد الملك وأحمد بسجلماسة ، فسارعا بالفرار الى تلمسان خوفا على نفسيهما ،وفي وقت لاحق هرب أخوهما عبد المؤمن والتجأ اليضا الى الجزائر (1) .

حاول عبد الملك الحصول على مساعدة حكام الجزائر للاستيلاء على السلطة في المغرب ،الا أن محاولته لم تجد آذانا صاغية في هذا الوقت بسبب استعداد علج علي لغزو تونس ،ولما يئس من مساعدتهم له ،طرق باب الاسبان وهو في الجزائر لعله يحصل منهم على ما يحقق به طموحاته ولو على حساب الذين أكرموه وآووه ،فأخذ منذ عام 1569 يجري اتصالات سرية مع الاسبان ،وأبدى عبد الملك استعداده للتعاون مع فليب الثاني وطرد العثمانيين من الشمال الافريقي على أن يكون ملكا على كل البلاد الداخلية ،وأن يحصل فليب الثاني على البلاد الساحلية (2) .

يتضح من تطور الاحداث أن محاولة عبد الملك باءت بالفشل ،وقد يكون السبب في ذلك هو انشغال فليب الثاني بثورة الموريسكيين في هذه الفترة أو عدم ثقته في عبد الملك الذي التجأ الى الأتراك في الجزائر بدل التجائه الى الاسبان مثلا في وهران أو في مكان آخر.

وقد وجد عبد الملك أنه لم يبق أمامه الا العثمانيون في الجزائر و اسطمبول لمساعدته على الحصول على عرش المغرب الاقصى . وكانت وفاة أخيه عبد الله في يوم 27 رمضان سنة 981هـ / 23 جانفي 1574 ،وتولي ابنه محمد الحكم مناسبة للمطالبة ــ وبالحاح شديد هذه المرة ــ بحقه في العرش ،وقد وجد هذه المرة المساعدة اللازمة لدى السلطان العثماني وتولى السلطة في المغرب عام 1576 كما سيأتي بالتفصيل .

1) نفسه ،ص 59

2) ابن خروف ،المرجع السابق ،ص 195 ، 196 ،انظر كذلك :

-De Castries,op.cit.,T.III,pp.I69-I75.

-De Thou,op.cit.,T.V,p.44I.

ب - علاقة الجزائر بالمغرب في عهد علج علي

عندما تولى قليج علي باشا حكم الجزائرعام 1568 ،كان يحكم المغرب الاقصى مولاي عبد الله الغالب بالله (1557 ـ 1574) ،وكان هذا الملك مثل أبيه متحالفا مع الاسبان ضد العثمانيين في الجزائر ،وبلغ به الامر الى التخلي عن ميناء بادس* سنة 1564 لفائدة الاسبان .

في بداية الامر كان عبد الله قد عين بعض اخوته وأبناء اخوته على بعض المدن ،وكسب هؤلاء شعبية واسعة ، في حين كان هو ممقوتا من طرف الشعب بسبب تسلطه ،فاستدعى أخاه الذي كان يحكم تارودانت وابني أخيه الحاكمين لـدرعة ومكناس فقطع رؤوسهم جميعا ،وفعل نفس الشيء بالقايد علي بن بوبكر بمراكش(1) .

وبعد هروب عبد الملك وأحمد الى الجزائر،ذهبا الى اسطمبول حيث مكثا مدة من الزمن في خدمة السلطان وساهما في الحملة الموجهة عام 1574 م لفتح تونس ،وكان عبد الملك أول من زف خبر النصر الى السلطان سليم الثاني**

* يقول الوفراني في صفحة 43 : ((لما رأى مولاي عبد الله نزول الاتراك بحجر بادس ومرسى طانجة تخوف منهم واتفق مع الطاغية (الاسبان) ان يعطي له حجر بادس ويخليها من المسلمين ،فقطع بذلك مادة الترك في المغرب . نزل النصارى على حجر بادس ،فأخرجوا المسلمين ونبشوا قبورهم وأحرقوها وأهانوا المسلمين كل الاهانة)) . انظر الوفراني ،المرجع السابق ،ص43 .
احتل العثمانيون حجر بادس من عام 1558 الى 1562 ،حاول الاسبان احتلالها عام 1563 الا أنهم فشلوا ،مع العلم أن عبد الله تنازل لهم عنها الا أن مقاومة السكان كانت عنيفة فأدت الى فشل المحاولة .
في عام 1564 وبمساعدة القوات البرتغالية تمكن الاسبان من احتلال بادس وكان ذلك يوم 1564/9/6 . انظر عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص90 .

1) Mercier,op.cit.,pp.97-100.

** ((لما فتحت تونس عين رئيس العمارة (قليج علي) العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان سليم ،فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما في الذهاب معهما بالغليوطة ليأتيا بأمهما التي تركاها هنالك . فلم يزالا بالرئيس المذكور حتى اسعفهما . فكان من قدر الله تعالى أن هاج البحر عليهم ذات ليلة ففرق مراكبهم ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجدا للمركبين أثرا ،فوافقهم السعد وساعدتهم الريح فوصلا الى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث. (كذا) فاتصل خبرهما =

وبفضل مساعدة قليج علي لـه لـدى السلطان تمكن من الحصول على الاموال والجند لغـزو المغرب الاقصى (1) •

بدون شك فان السلطان كان قد اقتنـع برأي قليج علي ،لانـه كان يرى أنه لا يمكن اقتـلاع القواعـد الاسبانية من الـجزائر مام دام المغرب يتعاون مع الاسبان ويحادي العثمانيين ،وعنـدئذ سمح السلطان لقليج علي بغـزو المغرب لتنصيب عبد المؤمن على العرش(2) •

قام قليج علي باشا بـدور كبير في الصراع الذي حـدث بالمغرب الاقصى بين أبناء محمد الشيخ ،فكان الوسيط بين عبد الملك وأخـويه وبين اسطمبـول من جهـة ،والمنفذ لقرارات اسطمبول في المغرب الاقصى من جهـة أخـرى، وكان هو الحامي لعبد الملك وأحمد المؤيدين للسلطة العثمانية في المغـرب الاقصى ،والمعادبين كذلك لأخيهمـا عبد الله وابنه محمد من بعده ،وتوجد مجمـوعة من الرسائل في الارشيف العثماني بأسطمبول تبين بوضوح الـدور الذي قام بـه قليج علي في الاحـداث التي وقعت بالمغرب الاقصى منـذ توليه منصب البايلرباي في الجـزائر •

الرسالة الاولى مـوجهـة الى عبد المؤمن حاكم فاس تحمل تاريخ 22 جمادي الاولى عام 978هـ/22 أكتوبر 1570م ،وهي جواب لرسالـة كان قـد بعث بـها

= بالصدر الاعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وما كان منها ،فأخبراه بفتح تونس وقصا عليه الحديث من البدء الى التمام • فأعلم السلطان بهما فأدخلهما عليـه وسألهما كذلك فأخبراه وسألهما عن كتاب الفتح فقالا انه كان في المركبين الا أن البحر فرق بينهم •

لما رأيا من السلطان تنزلا (كذا) واهتزازا لكلامهما طلبا منه في بشارتهمـا أن يبعث معهما العساكر الى المغرب وتشفعا في انزال رأس والدهما ودفنه • فقبل شفاعتهما ثم أمر بهما الى بعض المنازل ••• لما وصل المركبان وظهر صدقهما وافق السلطان عن مساعدتهما لاستعادة عرش المغرب)) • انظر: الناصري ،المرجع السابق ،ص ص 62، 63•

1) جوليان ،المرجع السابق ،ص 269•

2) الميلي ،المرجع السابق ،ص 113•

الى السلطان يخبره فيهما بسوء معاملة أخيه عبد الله له ، وكذلك خروجه عن ((طريق الشرع الشريف)) واستبداده بالرعية ... ويتضح من هذه الرسالة أن قليج علي كان هو الوسيط بين هذا الامير واسطمبول • وكان جواب السلطان كله حكمة ودعوة الى الاتحاد والتحالف ضد الاعداء بدل الشقاق، ويريد احلال السلام بين عبد المؤمن وأشقائه عملا بقوله تعالى :

((فاصلحوا بين أخويكم)) (1) • ويقول السلطان في هذه الرسالة كذلك :

((... ينبغي احلال الصفاء بينكم وامتثال أشقائكم لاوامركم وعدم العدول والانحراف عن جادة الشرع والقناعة بالاماكن المعينة لهم لازالة سوء التفاهم ،كما ينبغي ألا يتطاولوا على الرعايا بالظلم والتعدي ،وأن يجتنبوا الاوضاع المخالفة لغرض وناموس الدين والدولة • يجب أيضا حسن المعاشرة والموالاة والمؤاخاة بينكم لأن تخطي الرعية أمر غير مستحسن ،وفيما اذا لم يرضوا بهذا فانهم بذلك سيخالفون رضائنا وما داموا على الحياد وعدم المخالفة فان مرادنا هو صفاء رابطة الاخوة بينكم))(2) الا أن عبد الله لم يرض بهذا الصلح ولم يتراجع عن عمله الذي قدم فيه عبد المؤمن شكوى للباب العالي ،وهذا سيجعل السلطان يتحمس للتدخل في المغرب الاقصى •

دبر عبد الله مكيدة لقتل أخيه عبد المؤمن بعد أن هرب الى الجزائر وتحالف مع العثمانيين الذين عينوه حاكما على تلمسان قصد مضايقة أخيه لان في ذلك مضرة له ، ونفعا للجزائر(3) ولما قتل عبد المؤمن عام 1571 من طرف أخيه* طلب قليج علي من السلطان أن يسمح بتعيين

1) مهمة دفتري رقم 14 ،ص ص442 ،443 ،حكم رقم 625 بتاريخ 22/5/978هـ

2) نفسه •

3) مهمة دفتري رقم 18 ،ص15 ،حكم رقم 25 بتاريخ 27 /9/979 هـ

* بعث محمد على عهد أبيه عبد الله وهو حاكم فاس أحد ثقاته لاغتيال عمه عبد المؤمن ،فتظاهر المبعوث بأنه هارب من المغرب اليه ناقم على السلطان وابنه ،راغب في خدمته ،ولما فاز بثقته ،اغتاله في أحد أيام الجمعة من سنة 1571 وهو يصلي • وتمكن من العودة ثانية الى المغرب ،وعوض أن يحصل على مكافأة ،أمر السلطان بقتله حتى يبرئ نفسه مما فعل •انظر : بلخروف ،المرجع السابق ،ص196 •

أخـيـه عبد الملك في منصبه خلفـا له مع الاحتفـاظ بجميـع الامتيـازات التي كان يتمتـع بهـا أخـوه وذلك ليواصل نفس النهـج الذي سار عليـه عبـد المـؤمن ،ووضـح لـه بأنـه كان قـد قدم خدمات جليلـة للدولـة في البر والبحـر • وجاء جـواب السلطان بالمـوافقة مـع الامـر بتعيـين الابـن الاكـبر لعبد المـؤمن مـع رجـال أكفـاء على الثغـور(1) •

كان عبـد الملك قبل هـذا الوقت قـد راسـل السلطـان يخـبره بالـظلم والتعـدي الذي يمارسـه شقيقـه عبد الله ،ويخبره بأنه ((منذ أربعة عشـر عـاما ينتظـر تحسن الاوضاع ولم يحدث ذلك)) وأخبره كذلك أن عبد الله غـير راض بالصلح الذي تقدمـت اسطمبول ،كما أن سكان فاس يطالبون بتنصيبه هو عليهـا • ورد السلطان على هـذه الرسالة وقال : ((لقد أرسلنـا حكما همايونيا الى علي - دام اقباله - أمير أراء جزائر الغرب أمرناه باعـــداد العـدة للهجـوم على المـذكور (عبد الله) متى سنحت الظـروف والاوقـات وذلك بمشيئـة الله تعالى • وبناء على وفـور محبتكم واخـلاصكم وفـرط مودتكم واختصاصكم تجـاه آستانـة سعادتنـا ،فالمطلـوب منكم هـو الاتصال بالمشار اليـه حـال وصول هـذا الخطـاب الهمـايوني ، وترقب الفـرصة المواتيـــة للهجـوم على تلك الولايـة مع العسـاكر المنصـورة بمشيئـة الله الأعـــزه بـاذلين كل أنـواع سعيكـم واقـدامكم في سبيل استخـلاص البـلاد بعناية اللـه تعـالـى)) (2) •

بالفعـل فقـد أرسل السلطان بسـرعة أمـرا الى قليج علي باشا ،وأهـم مـا جـاء فيـه : ((اذا كانت الظـروف والاوقات مواتيـة بمشيئة الله الاعـز فعليـك بالهجـوم مع العساكر المنصـورة على تلك الولايـة والبـلاد لاجـل استخلاصها بعنـاية الله باذلا في سبيل ذلك جـل أنواع مساعيك الجميـلة ...)) (3) •

---

1) مهمة دفتري رقم 18 ،ص15 ،حكم رقم 25 ،بتاريخ 979/9/27هـ
2) مهمة دفتري رقم 14 ،ص1067 ،حكم رقم 1571 بتاريخ 979/1/26هـ
3) مهمة دفتري رقم 14 ،ص1068 ،حكم رقم 1572 بتاريخ 979/1/26هـ

في بداية 1572* ذهب عبد الملك شخصيا الى اسطمبول طلبا لمساعدة السلطان ضد أخيه ،كما طلب بعض الامتيازات لابناء أخيه المتوفى عبد المؤمن (1) ،وبالفعل فقد استطاع أن يكسب عطف السلطان ومودته ((...وبناء على استدعائه لماطفتي الملوكية ، توضع ولاية فاس ومراكش وسوسة تحت تصرفه - اذا ما قدر تيسر اقتران تلك الولاية به -...

فيما اذا تيسر أمر الولاية المذكورة الى المشار اليه أن يتصرف بحكمها كما كانت عليه أيام والده وشقيقه المتوفيان وبنفس الاسلوب - ما دام على كمال صداقته واخلاصه تجاه آستانة دولتنا ...)) (2) .

في يوم 27 رمضان 981هـ/ 20 جانفي 1574 توفي مولاي عبد الله متأثرا بمرض مزمن** فخلفه على العرش ابنه محمد خليفته على فاس، ولقب نفسه بالمتوكل بعد أن بايعه السكان (3) .

في السنة نفسها ،حاولت اسبانيا التقرب من الباب العالي بسبب انشغالها بمشاكل البلاد المنخفضة ،الا أن قليج علي باشا كان دائما يعارض هذا التقارب ما دامت اسبانيا تحتل وهران والمرسى الكبير (4) .

لما بدأ التحضير في اسطمبول للحملة على تونس ،اغتنم عبد الملك الفرصة للعودة الى المغرب وساهم مع أخيه في الاستيلاء على حلق الوادي ،وكان أول من زف الخبر السعيد الى السلطان كما تقدم .

---

* ورد في المجلة الافريقية رقم 24 لسنة 1880 ،ص424 بأنه سافر الى اسطمبول عام 1573 وذلك عندما ذهب أحد المرابطين على سفينة مامي أرنووط يطلب من السلطان تعويض هرب أحمد حاكم الجزائر برمضان باشا ،ويظهر أن سنة 1572 هي الصحيحة ما دامت هذه الرسالة تؤكد ذلك .

1) مهمة دفتري رقم 12 ،ص536 ،حكم رقم 1025 بتاريخ 23 شوال 979هـ

2) مهمة دفتري رقم 12 ،ص544 ،حكم رقم 1036 بتاريخ 25 شوال 979هـ

** ((وهذا الغم الذي كان به هو المسمى على ألسنة العامة "بالضيقة" !)) انظر الوفراني ،ص 56.

3) Mercier,op.cit.,p.II9.

4) Garrot,op.cit.,p.435.

بعد نهاية الحملة وعودة القوات العثمانية الى مناطقها ومنها قوات الجزائر التي كانت تحت قيادة رمضان باشا ،أمر قليج علي خليفته على الجزائر بتنظيم حملة عسكرية توجه الى المغرب الاقصى قصد تخليص البلاد من حكم مولاي محمد وتعيين عبد الملك مكانه ،وقد وجهت الحملة سنة 1575م بقيادة رمضان باشا ومعه عبد الملك . وعند وصولهما الى الحدود المغربية طلب عبد الملك من رمضان باشا أن يسمح له بالسير في المقدمة رفقة فرقة من الجيش،وقد فعل ذلك بعد أن تيقن بأن عساكر ابن أخيه لن تتجرأ على محاربته وستنضم الى صفوفه حين تراه (1) اذ كان عبد الملك قد اتصل بسعيد بن فرج الدغالي قائد فرقة جيش الاندلس ،وتم الاتفاق على أن ينضم هذا الاخير الى جيش عبد الملك عند بداية المعركة ،كما أن عبد الملك كان قد أرسل أحد جواسيسه وهو المسمى أبو الفضل الغربي* وهو من أصل أندلسي كذلك فهيأ له

1) الوفراني ،المرجع السابق ،ص62

* ((أبو الفضل الغري أصله من لندراش قرية من قرى جبل شلير المطل على غرناطة ،هاجر الى الجزائر فنزل على أمرائها الاتراك فرسموه بديوانهم وأثبتوا له الجراية لديهم ثم حصلت له بعد ذلك المداخلة التامة هناك بالمعتصم رحمه الله فتقرب اليه بالبحث عن أخبار المغرب ونقلها بما كان يعلم ميله لذلك وتشوفه له ثم أفضى الحال الى أن أشخصه المعتصم الى المغرب عينا له وسفيرا عنه الى أشياعه ومن كان يداخله في أمره فوصل الى مراكش بعد الغالب بالله في صورة التاجر وحمل معه أحجارا من الياقوت فكان يطوف بها على منازل الاكابر توصلا الى مكالمة أشياع المعتصم وايصال كتبه اليهم ثم رجع لفاس وكان المتوكل ولي العهد أميرها حينئذ وتلطف حتى اتصل به ورسمه في خدمته ثم عقد له على حصة من جيوش النار لديه وهو في ذلك كله حاطب في حبل المعتصم مرسله والمتوكل ووالده في غفلة من أمره وكان في خلال ذلك يسري مع الدغالي في الغدر ويلحم حتى اذا كان يوم الركن الذي تحيناه لما تعاقدا عليه من الغدر والخلاف نزعا بقومهما مكرا وخداعة الى الخليفتين لاول اصطدام الرعى واشتعال نار الحرب فرعى الخليفتان لابي الفضل تلك المواتاة ورفعا منزلته من أهل الدولة وأعده المعتصم بطانته وبسط عليه نعمته)) ،انظر:
الفشتالي ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم ، (الرباط،مطبعة ومكتبة عصرية ، 1973) ،ص47.

الجو وسط الجيش المغربي (1) . وكان سكان المغرب الاقصى من جهتهم قد اتصلوا بعبد الملك بعد وفاة عبد الله ،وكان مع مولاي محمد 1800 رجل من أصل أندلسي ،وكان قادتهم يتراسلون مع عبد الملك لانهم كانوا يكرهون عبد الله وابنه محمد بسبب تهاونهم وعدم اكتراثهم بما يجري في الاندلس وتأخرهم عن تقديم المساعدة للمسلمين هناك خاصة وأن عبد الله كان قد وعدهم بأنه سيهجم من المغرب على الاندلس بمجرد اشعالهم للثورة ، لكنه خالف الوعد . (2)

جرت معارك عديدة بين عبد الملك وابن أخيه محمد الا أنها لم تكن فاصلة ،وبلغ عددها اثنتي عشر معركة ولكنها كانت كلها صغيرة ما عدا واحدة أو اثنتين (3) .

وفي يوم 17 مارس 1576 ،جرت معركة بأحواز فاس سميت بمعركة "الركن" انتصر فيها عبد الملك انتصارا كبيرا وقد انضم قسم من جنود* مولاي محمد الى صفه ،فانسحب هذا الاخير هاربا من ميدان المعركة ،فدخل عبد الملك مدينة فاس في شهر مارس 1576 . أما قوات الجزائر فقد عادت رفقة رمضان باشا بعد أن ترك الى جانب عبد الملك قوات من الاتراك والجزائريين ليساعدوه على بسط سلطته في كامل المملكة (4) ،وقد زحف على مراكش وأخذها بدون مقاومة بعد أن هرب مولاي محمد الى جبال الاطلس.

---

1) الفشتالي ،المرجع السابق ،ص ص 41 _ 47

2) الجنابي ،البحر الزاخر ،نقلا عن :

Fagnan, <u>Extraits inédits relatif au Maghreb</u> ,(Alger, Jourdan, I924), p.397.

(3 De Thou, op.cit., T.V, p.44I.

* حدث ما انتظره عبد الملك ،فبمجرد التقاء الطرفين ،فر رئيس جند الاندلس الى عبد الملك ،فلما سمع محمد بذلك خاف أن يفعل ذلك بقية الجند ، فانخفضت عزيمته وفر من المعركة ... الوفراني ،المرجع السابق ،ص 62

4) الميلي ،المرجع السابق ،ص 113

بمجرد تقلد عبد الملك للسلطة في المغرب الاقصى ، أظهر براعته في التنظيم وحذقه في الديبلوماسية ، فأسس جيشا منظما ودخل في مفاوضات مع اسبانيا وفرنسا وانجلترا ، وبهذا أمكن له من اقناع فليب الثاني بالتخلي عن ابن أخيه المتوكل الذي كان قد التجأ اليه طلبا للمساعدة (1) .

توجه المتوكل بعد ذلك الى البرتغال يطلب المساعدة من سبستيان الملك الشاب * ، ووجد منه كل الترحاب بالفكرة لانه كان ينوي منذ زمن غزو المغرب ، وأثمرت هذه المساعدة عام 1578 بوقوع معركة وادي المخازن (معركة الملوك الثلاثة) ** التي مات فيها عبد الملك بعد مرض عضال أصابه قبل المعركة *** ، وتولى اثرها الحكم في المغرب أبو العباس أحمد الملقب بالمنصور . وكان أول من ورد عليه مهنئا بالنصر في هذه المعركة واعتلاء عرش الدولة السعدية ، رسول صاحب الجزائر حسن فنزيانو (2) .

---

1) جوليان ، المرجع السابق ، ص 370 ، وكذلك De Thou, T.V, p.453

* سبستيان ملك البرتغال تولى الحكم عام 1557 وعمره ثلاث سنوات . قتل في معركة وادي المخازن غرقا عام 1578 .

** عن هذه المعركة انظر : عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية .
- Pierre Berthier, <u>La bataille de l'Oued el Makhazen</u>, (Marseille, C.N.R.S., I985).

*** ((عند اللقاء كان عبد الملك ضعيفا من سم كان به ، سمّه رمضان العلج حيث أتى معه للمغرب غدرا له ، وبلغ به الجهد في ذلك اليوم أعني يوم اللقاء ، وجاء وعده في أول التفاف الساق بالساق ، وعلم بذلك أخوه أبو العباس ، وكانت الكرة أول مرة على المسلمين ، ثم ان أبا العباس أعمل الصبر ، وقاتل قتالا عظيما ، فلم يمر على النصارى الا مقدار ثلاث ساعات الا وهم كلهم تحت اسره)) ، أحمد بن القاضي : <u>درة الحجال في أسماء الرجال</u> ، تحقيق ، محمد الاحمدي أبو النور ، ج 2 ، (دار التراث ، القاهرة ، 1971) ، ص 224 .
ويقول هامير في المرجع السابق ، ان عبد الملك مات من الفرح بعد أن كان مريضا قبل المعركة : Hammer, T.II, p.55

2) الفشتالي ، المرجع السابق ، ص 49

دام حكم عبد الملك للمغرب سنتين وأربعة أشهر ،كان خلالها صديقا للاتراك بالجزائر ،وأظهر أنه أهل للثقة التي وضعها فيه السلطان ،وكان يتبنى قضايا اسطمبول في المنطقة ،فيقوم بمساعدة حكام الجزائر في كل مرة يتطلب الامر ذلك ،وكان السلطان العثماني يراسله مباشرة ،ففي احدى الرسائل حثه على الاستقامة والاتفاق والتعاون مع حسن باشا حاكم الجزائر ((لدفع مضرة الاعداء وكيد الكفرة وسائر الاشقياء)) (1) .

وفي رسالة أخرى يقول : ((واذا أحضرنا من سدتنا السنية لدفع ضرر الاعداء من تلك الديار أو للجهاد مع الكفار سفنا مملوءة بأبطال الرجال وفلكا مشحونة بأدوات الضرب والنزال فعليكم أن تعاونوا أياهم بالعساكر وآلات الحرب والذخائر وغيرها مما يتفرع ...)) (2) .

عمل أحمد المنصور* على تكوين دولة قوية فقضى على الثورات والفتن الداخلية خاصة تلك التي تقوم بها الزوايا ،وعرف عهده هدوءا ورخاء قلما عرفتهما العهود السابقة له ،فاهتم بالتجارة والصناعة خاصة صناعة السكر، كما اهتم بالجنوب وما يزخر به من الذهب حتى لقب بالمنصور الذهبي .

لما شعر المنصور بقوته ،أراد التخلص من العهود التي كان أخوه

---

1) مهمة دفتري رقم 30 ،ص210 ،حكم رقم 491 بتاريخ 985/3/22هـ
2) مهمة دفتري رقم 30 ،ص211 ،حكم رقم 492 بتاريخ 985/3/22هـ
نقلا عن عبد الجليل التميمي ،(الخلفية الدينية ...) ،المرجع السابق ،
ص ص 43 ،44 .

* أحمد المنصور المشهور بلقب " الذهبي " (1578–1603) ولد عام 1549 وهو سادس سلاطين السعديين في المغرب. تولى الحكم عام 1578 بعد أخيه عبد الملك . اشتهر بمواهبه السياسية . وطد علاقاته مع العرش البريطاني . احتل السودان فلقب " بالذهبي " لكثرة الذهب الذي جلبه من هناك . مات عام 1603 بالطاعون .

عبد الملك قد قطعها للعثمانيين ،فربط علاقات مع مختلف الدول الاوربية ،وكان ينوي أن يستنجد بها لتساعده ضد الدولة العثمانية (1) ،ولما شعرت هذه الاخيرة بذلك عملت على تدارك الموقف قبل فوات الاوان فأرسل في البداية السلطان مراد الثالث رسالة الى أحمد المنصور مؤرخة بشهر رجب 988هـ/سبتمبر 1580م يقول فيها :
((... فلما وصل بمسامعنا الشريفة ومشاعرنا الخقانية المنيفة خبر طاغية قشتالة وأنه احتوى على سلطنة برتقال أوكاد وأنه جعل أهلها في الاغلال والاصفاد وأنه لكم جار وعدو مضرار حركتنا الحمية الاسلامية ... لاظهار الالفة الازلية ... أن نتخذ عهدا ... ونؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب ... ونعلن العهد بالكعبة المنورة والحوضة المعظمة فاذا تم هذا الشأن ... نوجه لكم ثلاثمائة غرابا سلطانية وجيش عز ونصر وكماة عثمانية تستفتح بها ان شاء الله بلاد الاندلس))(2) وقبل في نفس الوقت زواج المنصور من احدى بناته ((عهدنا الى أمير الامراء ... أن يصهر لكم على احدى بناتنا ... اسعافا لغرضك المنيف)) (3) ، غير أن المنصور تثاقل عن رد الجواب فأرسل السلطان القابودان قليج علي باشا * على رأس أسطول قوامه ستون سفينة عام 989هـ/1581م الى المغرب ،وكان هدف الحملة هو

---

1) جوليان ،المرجع السابق ،ص ص 277، 278
2) نقلا عن عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 111
3) نفسه ،ص 112

* يذكر دي تو سببا لخروج الاسطول في هذه السنة مختلفا كل الاختلاف عن هذا السبب اذ يقول ان سكان تونس في عام 1581 ،ثاروا على الحامية التركية وأبادوها وفعلوا ذلك اما بسبب كرههم لهؤلاء أو لسبب اتصال سلطانهم السابق ـ أحمد ـ بهم وطلب منهم أن يعملوا على اعادته الى عرش تونس.

ولما سمع مراد الثالث ،أرسل أسطولا تحت قيادة قليج علي باشا يتكون من ستين كاليرا . انظر دي تو المجلد السادس ،ص 60 . ونجد نفس الفكرة عند محمد الهادي العامري في كتابه ،تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ... ص 198.

وضع حد لتصرفات المنصور* الذي كان يريد أن ينازع الدولة العثمانية حتى في خلافة المسلمين ،اذ يرى أنه أحق بها من الدولة العثمانية (1) . ولكن بمجرد سماع المنصور بخروج قليج علي من اسطمبول ،سارع الى تدارك الموقف ،فأرسل مبعوثا الى اسطمبول محملا بالهدايا الثمينة لارضاء السلطان حتى يوقف الحملة الموجهة ضده (2) واذا تمعنّا جيدا في تصرف المنصور نجد فيه بعض التناقض ،فمن جهة أراد التخلص من التزامات أخيه للدولة العثمانية وهذا بعد أن اعتمد على نفسه وكذلك على ((أصدقائه)) من الاوربيين ،ومن جهة أخرى نجده قد سارع لارضاء السلطان** بمجرد سماعه بخروج الاسطول من أسطمبول .

وهنا نلاحظ أن هذا التصرف يكمن وراءه أمران وهما : اما أن الاخبار التي كانت تصل الى اسطمبول عن صداقة المنصور بالمسيحيين وعن رغبته في التخلص من التزاماته لدى السلطان كانت أخبارا كاذبة ،واما أن هذه الاخباركانت صادقة ، الا أن المنصور لم يكن ينتظر تحرك الباب العالي بهذه السرعة . ومن المحتمل كذلك أن أصدقاءه الاوربيين لم يكونوا مستعدين***

---

* يقول الوفراني : ((ولم يزل الرايس علج علي وزير البحر يسعى بالمنصور عنده (عند مراد الثالث) ويذكر ما وقع من أبيه من القدح في امارة الترك والطعن فيهم ويهين (كذا) عليه أمر المنصور ويخمد جمرته ،فأخذ الوزير في التهيئة لذلك)) . الوفراني ،المرجع السابق ،ص86 . انظركذلك الفشتالي ،المرجع السابق ، ص ص 61و63 ويبدو أن الوفراني نقل هذه الفكرة عنه ثم نقلها الناصري عنهما .
ويقول الناصري في كتابه السابق : ((فكان وزير البحر العثماني واسمه علي علوج يبغض المنصور ،فلم يزل يسعى به عند السلطان ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح في ولاية الترك والطعن عليهم ،وقال له في ذلك : قد ضاع صنيعك في هذا الغادر وصنيع والدك من قبلك ،ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له في توجيه العمارة اليه ومنازلته والاخذ بآفاقه الى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته)) ،الناصري ،المرجع السابق ، ص95 .

1) Garrot,op.cit.,p.437.

2) الوفراني ،المرجع السابق ،ص86

** انظر رسالة المنصور الى مراد الثالث ،عبد الله كنون المرجع السابق ص18 وما بعدها .

*** في هذا الوقت كانت اسبانيا تجري اتصالات مع الباب العالي لعقد الصلح بين الدولتين وانتهت الاتصالات عام 1581 بعقد صلح لمدة ثلاث سنوات . أما =

لنجدته ،ففضل كسب الوقت وارضاء السلطان ريثما يتمكن من التخلص نهائيا من هذه التبعية التي كان يشعر بثقلها . وكان الباب العالي قد فهم من تصرف المنصور هذا الاحتيال الثاني ، ويظهر ذلك جليا في الرسالة التالية : ((...لأن هذا الرجل (المنصور) وان كان قد بعث الينا برسوله الخاص لتقديم طاعته واخلاصه مع هدايا ثمينة ذات أهمية كبيرة ،غير أننا نكاد نشك من صدق تصرفاته ،ونعتقد أنه يخفي لنا خلاف ما يظهر ،وما أقدم على ما أقدم عليه الا من قبيل ربح الوقت حتى يتمكن من تحقيق غرضه وأهدافه مع التعاون والتفاهم مع الكفار)) (1) .

مهما يكن الامر فقد غض السلطان الطرف على ما بدر من المنصور، فأرسل أوامره الى قليج علي يأمره بعدم القيام بأي عمل ضد المغرب* حتى تأتيه أوامر جديدة (2) . الا أن السلطان لم يكن مطمئنا لتصرفات حاكم فاس ،لذا أكد على قليج علي وحسن فنزيانو (خليفته على الجزائر) بالتزام اليقظة والانتباه حتى لا يفاجئهما المنصور بغارة مشتركة مع الدول المسيحية ... ،وأمرهما بحراسة ثغور المنطقة ،وطلب من قائد الاسطول أن يتوجه بنفسه الى المنطقة اذا اقتضى الامر ذلك ،لتشديد الحراسة والحماية عليهما (3) .

= البرتغال فلم ترفع رأسها بعد من هول الكارثة التي أصابتها عام 1578 في معركة وادي المخازن حيث قتل معظم أفراد جيشها وزهرة شبابها بسبب تهور ملكها .

1) مهمة دفتري رقم 42 ،عدد 82 بتاريخ 989هـ .

* يذكر هايدو في المجلة الافريقية ج 25 ص24 وما بعدها وكذلك دي غرامون ،المرجع السابق ،ص120 ،بأن سبب اصدار الاوامر لقليج علي بالرجوع هو الاشاعات التي روجها أعداؤه في الجزائر خاصة الجيش الانكشاري مفادها أنه يريد الاستقلال بالجزائر . انظر كذلك رسالة المنصور الى الجيش الانكشاري بالجزائر ،عبد الله كنون ،المرجع السابق ص ص92 - 96 ،والملاحظ أن هذه الاشاعات قديمة لا أساس لها من الصحة لان تاريخ قليج علي كله يثبت أن ما قيل عنه اشاعات مغرضة .

2) مهمة دفتري رقم 42 ،عدد 82 بتاريخ 989هـ ،انظر كذلك :

De Castries , les sources inédites de l'hitoire du Maroc , T.II,p.97.

3) نفسه .

يتضح من نفس الرسالة أن السلطان كان حريصا على ابقاء العلاقات بين الدولتين حسنة على الرغم من عدم ارتياحه لسياسة المنصور • ويتضح ذلك في التأكيد التالي على حسن فنزيانو وقليج علي باشا : ((•••كما آمركم أيضا بتقديم واظهار الاحترام لحاكم فاس ومراكش ، وكذا للسفير عندما يصل الى جهتكم (السفير الذي بعثه المنصور الى اسطمبول عاد عن طريق الجزائر والتقى بقليج علي) وترعوه حسن الرعاية حتى يصل الى بلده كي تتم العملية في أمن وأمان ويكون كل شيء من أجل سلامة الدين والدولة)) (1) وقد التزم قليج علي بهذه الاوامر ولم يعمل أي شيء ضد المنصور بحيث قطع حملته في الطريق وتوقف في الجزائر قبل أن يصل الي المغرب* •

استمر المنصور في سياسته** وكان يتحين الفرص المواتية للتخلص نهائيا من التبعية للدولة العثمانية ، ولم يتخلص من شبح خطر هذه الدولة الا بموت قليج علي باشا عام 1587 (2) •

ان المتتبع للاحداث في المنطقة يلاحظ أن حاكم فاس كان يريد أن يكسب صداقة الباب العالي واسبانيا في وقت واحد ، واذا اقتضى الامر يمكن له في أي وقت أن يستنجد بأحدهما ضد الاخر •

---

1) مهمة دفتري رقم 42 ، عدد 82 بتاريخ 989هـ•

* انظر رسالة المنصور الى قليج علي في الملحق (رقم 10) •

** شعر المنصور أن بلاده توجد بين دولتين كبيرتين ، العثمانية في شرقه والاسبانية في شماله ، لذا سلك مسلكا يضمن له البقاء بين هاتين الدولتين دون أن يظهر انضمامه الكلي الى هذه أو تلك ، فتظاهر بصداقتهما معا الا أنه لا يعمل الا ما هو في صالح بلاده وهكذا حسن علاقاته التجارية مع بريطانيا المتنافسة مع اسبانيا ، فشعر الجميع بأهمية المنصور خاصة بعد أن جلب كميات كبيرة من ذهب السودان فازدهرت التجارة وصناعة السكر في عهده ، وكانت الدول الاوربية تتقرب منه •

2) جوليان ، ص277•

وهكذا نرى أنه في عام 1581 تسبب في خروج الاسطول العثماني من أجل اجباره على الوفاء بالتزاماته ،ولكن في عام 1584 طلب مجيء قليج علي باشا بأسطول يتكون من خمسين كاليرا الى ميناء العرائش لحمايته من اسبانيا (1) .

في هذه الاثناء (1582) ،ثارت الجزيرة العربية على الدولة العثمانية ،فكانت مناسبة لدعوة قليج علي باشا الى وضع حد للحملة ضد المغرب بدعوى أن السلطة العثمانية بحاجة الى كامل قواتها لتواجه ثورة الجزيرة .

غادر قليج علي باشا الجزائر عام 1582 وكله حسرة على عدم تحقيق أمنية غالية عليه ألا وهي توحيد المغرب تحت سلطة الدولة العثمانية عكس ما كان يتهمه به أعداؤه وهو الاستقلال بالسلطة في المنطقة .

---

1) Charrière ,op.cit.,T.IV,p.27I.

5 - حملات بحرية أخرى (1571-1587)

قام قليج علي باشا خلال فترة توليه منصب القابودان باشا بحملات بحرية عديدة في كل من البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود ، وأهمها تلك الحملة التي استعاد بها تونس عام 1574 وكذلك الحملة التي كان المفروض أن ترجه ضد المغرب الاقصى عام 1581 ، والتي توقفت في الجزائر لاسباب شرحناها بالتفصيل في الفقرة السابقة . ولذا أفردنا لهما دراسة خاصة بهما .

بعد تعيينه مباشرة على رأس الاسطول العثماني عام 1571 ، سارع قليج علي الى تجديد بناء الاسطول - كما تمت الاشارة الى ذلك - ولم يلبث أن خرج في ربيع 1572 بعد شهور من هزيمة ليبانت على رأس أسطول قوامه 250 سفينة ، وأدهشت سرعة بنائه معظم الدول الاوربية ، حتى المنتصرة منها في ليبانت ، لانها لم تكن تتوقع ذلك (1) .

تجول قليج علي بأسطوله في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط دون أن تكون له لقاءات ساخنة مع العدو ، ويبدو أن القصد من العملية هو استعراض العضلات وامكانات الدولة العثمانية في بناء الاساطيل ، أكثر مما كان القصد هو الهجوم على ممتلكات الدول المعادية .

ان خروج الاسطول العثماني من الدردنيل سنة 1572 كان له أكثر من معنى وقد سبق شرح ذلك ، كما حقق نتائج هامة بسبب اختياره لهذا الوقت بالضبط*.

I) Lettre d'évèque d'Acqs à Charles IX, cité par Charrière ,op.cit.,T.III,p.269

* انظر المبحث المتعلق بالقابودان باشا في هذا الفصل .

في عام 1573 ،خرج الاسطول من اسطمبول تحت قيادة قليج علي وبياله باشا ،وكان يتكون من مائتين وخمسين كاليرا واثني عشر ماعونة * Mavna ،وتوجه الى أغريبوز Ağriboz (Eubée) ،ومن هناك أرسل قليج علي أحمد باي سيغاجق Sığacık على رأس ست سفن لاستكشاف الشواطئ الايطالية . أما الاسطول فقد واصل الطريق الى غاية رأس منكشي Menekché على سواحل المورة ، حيث التحق به أحمد باي بعد أن قام بمهمته . وكانت الاخبار التي عاد بها تفيد بأن أسطولا مسيحيا يتكون من 150 سفينة تابعة للحلفاء توجد في ميسينة ،فأراد قليج علي التوجه اليها الا أن الرياح اعترضته ،فقرر الغاء هذا المشروع(1) واتجه الى نفارين Navarin وبنى في مدخلها قلعة حصينة بلغت تكاليفها 200 ألف أقجة ،ثم أرسل بعض السفن لغزو سواحل جنوب ايطاليا . وكان قد فكر في مواصلة الابحار الى تونس لاسترجاعها بعد أن أخذها دون جوان النمساوي في هذه السنة ،الا أنه بسبب العاصفة التي واجهته وبسبب تقدم فصل الخريف أجل مشروعه للسنة الموالية (2) .

ان أهم عمل قام به قليج علي في سنة 1574 هو اشرافه على الاسطول الذي ذهب لاخذ تونس ** ومن هذه السنة الى غاية 1587 تاريخ وفاته ،قام الاسطول العثماني تحت قيادته بتدعيم القوات البرية ونقلها الى أماكن عملها ،ونقل العتاد اللازم لبناء القلاع والتحصينات في كل من البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود .

على الرغم من عدم حدوث معارك كبرى بعد سنة 1574 ،الا أن الاسطول كان يخرج مع حلول فصل الربيع من كل سنة ،وكانت

---

* سفينة بـ26 صفا من المقاعد ،وكل واحد منها يتكون من 7 مقاعد ،يصل عدد ركابها الى 600 شخص،وعليها كذلك 24 مدفعا و30 مدفعيا ،وتتكون السفينة من طابقين ،ولها شراع أو اثنان من نوع خاص.

1) Peçevi Tarihi,T.I,p.262.

2) Fevzi,op.cit.,p.544.

** انظر موضوع استرجاع تونس عام 1574.

كـل من البندقية ومالطـة وصقلية وسواحل ايطـاليا واسبانيا ترتعد منه• وكان خـروجه " روتينيا " القصـد منه تمرين رجالـه حتى لا يتعودوا علـى الـراحـة والخـمول • وبالرغم من انتشـار داء الطاعون الذي عرفتـه اسطمبول عـام 1576 ،الا أن نشاط الترسانـات والاسطول لم يتأثـر بـذلك (1) ،وكان دوره خـلال هـذه المدة هـو حمايـة الشواطئ العثمانية والتجـارة البحـرية من القراصنة المسيحيـين الكثـيرين في كل من الحوض الشرقي والغربي مـن البحـر الابيض المتوسط•

أما الدولة الاسبانية في هـذا الوقت (1576_1583) فكانت قـد بـدأت تفكر في امضاء معاهـدة سلم مع العثمانيين على غرار ما فعلتـه البندقيـة من قبل ،وقـد اقتنعت بأن امضاءها لهـذه المعاهـدة سيحررها في البحر الابيض المتوسط ،لكي تتفـرغ لمشاكلها في جهـات أخـرى من امـبراطوريتهـا الواسعـة•

في يوم 7 فيفري 1578م ،وصل الى اسطمبول مبعوث فليب الثانـي ، وقـدم للديـوان مشـروع معـاهـدة سـلام بين الدولة العثمانيـة والدولة الاسبانيـة ،الا أن هـذه المحاولة لم يكتب لهـا النجـاح في هـذه المرة ، وبقيت الدولة الاسبانيـة تكـرر المحـاولات الى أن تم لهـا ذلك عـام 1581 (2) •

عنـدما اشتعلت الحـرب من جـديد بين الدولة العثمانية والدولـة الفارسيـة عام 1578 ،اسنـدت الى قليج علي مهمـة نقل العتاد والسلاح عن طريـق البحـر الاسود • وقام بتشييـد قلعة حصينـة في مكـان يسمـى فـاسـو Fasso ،وهو اسم واد يمـر بالمنطقـة ،فأصبحـت القلعـة تحمل نفس الاسم • وانطـلاقا منها تمكن من فتـح ممـر للقـوات في منطقة

(1 Hammer,op.cit.,T.7,p.54.

(2 Idem,p.5I,voir aussi, Fevzi,p.589.

جورجيا ،مما سهل نقل القوات العثمانية الى مناطق المعركة (1) .

في عام 1579 ، وبأمر من السلطان العثماني توجه قليج علي الى البحر الاسود على رأس 40 سفينة وشيد قلعة أخرى في مكان يسمى طرابزون شمال تركيا على شاطئ البحر الاسود ،وذلك لتمكين التتار - الذين قدموا لمساعدة السلطان في حروبه ضد الفرس - من المرور بالمنطقة دون أن يتعرض لهم سكانها المتحالفين مع الفرس(2)

كانت منطقة القرم تابعة في وقت من الاوقات للدولة العثمانية ،والامير الحاكم بها هو محمد غراي ،الا أنه لم يلبث أن تمرد على الحكم وانضم الى صفوف الدولة الفارسية ، فتدخلت اسطمبول في المنطقة لاسترجاع نفوذها بها ،وأرسلت جيشا كبيرا عن طريق البر يدعمه الاسطول الذي كان تحت قيادة قليج علي باشا .

اذا رجعنا الى الوراء قليلا نجد أن الخلاف على المنطقة كان على أشده بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية . لما توفي الشاه طهماسب سنة 984هـ/1576 ،خلفه ابنه اسماعيل وكان المتسبب في هذه الحرب الجديدة (3) الا أنه قتل مسموما سنة 985هـ/(77 - 1578) وخلفه أخوه محمد ،فانقسمت البلاد عليه ،فاستغلت الدولة العثمانية ذلك، وأرسلت جيوشها لمحاربته تحت قيادة لالـه مصطفى ،فخرج أواخر سنة 1577 ، وانتصر على جنود الشاه ودخل مدينة تفليس عاصمة الاقليم يوم 8 أوت 1578 وعين بعض أعيان البلد حكاما فيها ،وبعد انتصارثان على جيوش الشاه يوم 8 سبتمبر من نفس السنة ،عاد الى مدينة طرابزون لقضاء فصل الشتاء ريثما يحل فصل الربيع

1) De Thou,op.cit.,T.V,p.592.
2) Haëdo,op.cit.,T.24,p.4I6.
3) Hammer,op.cit.,T.7,p.64.

لمواصلة الحملة ، وفي أ واسط فصل الشتاء حاولت الجيوش الفارسية مباغتته وطرده من المنطقة الا أنهم فشلوا في ذلك بسبب التحصينات الجيدة التي أقامها العثمانيون في المنطقة .

حاول في هذا الوقت خان القرم التمرد على الحكم العثماني ، فقام علي رأس جيش يتكون من 10 000 جندي بمحاصرة بخجه سراي Bahçe Saray، فهرب الخان المعين بها حديثا من طرف العثمانيين خوفا على نفسه .

قرر عثمان باشا حاكم اقليم شيروان (غرب بحر قزوين) أن يجهز بنفسه جيشا قويا ضد هذا الثائر ، أي الخان محمد غراي ، فسار الى بلاد القرم برا مخترقا جبال القوقاز وسهول روسيا الجنوبية ، فوصل الى القرم بعد أن عانى من المشقات والصعوبات لوعورة الطريق ومناوشة الروس له .

كانت قوات عثمان باشا تتكون من 10 000 انكشاري و 6 آلاف فارس وألف شاوش ونخبة من الجيش .

في هذه الاثناء توجه الاسطول الى سينوب (شمال تركيا على البحر الاسود) لقضاء فصل الشتاء هناك ثم الابحار لمواصلة الحملة مع بداية الربيع (1) . اقتصرت مهمة قليج علي باشا في هذه المرة على نقل القوات الى أماكنها ثم العودة الى اسطمبول .

لما وصل عثمان باشا الى القرم أصدر قرار عزل محمد غراي وتعويضه بأخيه اسلام غراي الذي كان متحالفا مع العثمانيين الا أن محمد المتمرد رفض الخضوع للامر الواقع فجهز جيشا عظيما حاصر به عثمان باشا الذي كان جيشه قد أرهقه الطريق الصعب في منطقة القوقاز التي مر بها (2) .

1) Hammer, op. cit., T.7, pp. 205-206.

2) محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ص 261 _ 264 .

التوجه الى افريقيا من أجل حمايتة شواطئها من الخطر الاسباني ، وكذلك ازعاج الدولة الاسبانية حتى يفسد عليها خططها في كل من البرتغال* والفلاندر** وتشير الرسالة الى مرور الاسطول بكانـدي حيث وقعت بعض المعارك بينه وبين سكان المنطقة (1) .

في حين تشير الرسالة الثالثة وهي بتاريخ 12 و 27 جويلية ،الى أن الاسطول كان متجها نحو شمال افريقيا ،ولكنه يبدو أنه لم يحدد اتجاهه بعد . فبعد مروره بالاسكندرية توجه نحو المورة فدخل خليج فالونا Valonne ونزل الى اليابسة ،وكانت رفقته 60 كاليرا و 32 سفينة أخرى مختلفة الانواع . وقد أدخل وصول الاسطول الرعب والهلع في نفوس السكان ،ولم يزل روعهم وخوفهم الا مشاهدتهم للاسطول وهو يغادر مياههم (2) .

بتاريخ 30 أوت من نفس السنة ،أخبرت رسالة أخرى بوصول الاسطول الى بنزرت بتونس ،وكان في طريقه قد طارد سفن فلورانسا لمدة تزيد عن 13 ساعة ،ولولا حلول الظلام لوقعت بيد العثمانيين ، وتمكنت من الالتجاء الى ميناء مسينه بعد ذلك. (3)

لم تشر هذه الرسالة الى نوع المهمة التي قام بها قليج علي في شمال افريقيا ،الا أنها لاحظت أن أرسلان آغا (يبدو أنه حاكم بنزرت) هرب الى الجزائر ،الا أن السكان أفهموا قليج علي بأنهم لا يريدون غيره بديلا . ومن غير المعقول أن يكون خلع الآغا هو المقصود من الحملة ،ولكننا اذا تتبعنا جيدا تنقلات الاسطول ،نجد أن القصد كان بالفعل كما

---

* تدخل فليب الثاني في البرتغال في أعقاب موت القس هنري عام 1580 الذي حكم البلاد بعد وفاة سيباستيان في معركة وادي المخازن عام 1578 ،فأرسل حملة يوم 25 أوت 1580 تحت قيادة دوق ألفا على البرتغال فهزمت الجيش البرتغالي قرب لشبونة وضمت البرتغال الى اسبانيا .

** ثورة المنطقة بسبب الخلافات الدينية ،اذ اعتنقت المذهب البروتيستانتي فثارت على اسبانيا الكاثوليكية .

1) Charrière, op. cit., T.IV, pp. I97-I99.

2) Idem, pp. 206-207.

3) Idem, pp. 2I3-2I4.

لما سمع الديوان باسطمبول بمحاصرة عثمان باشا ،قرر ارسال قليج علي من جديد على رأس أسطول يتكون من 30 كاليرا لفك الحصار عليه ،وخرج من اسطمبول يوم 24 أفريل 1584 (1) ،ويتضح من رسالة للسفير الفرنسي بأسطمبول الى ملكه تحمل تاريخ 1584/6/5م بأن قليج علي يكون قد عاد الى اسطمبول بعد أن أنجز المهمة التي كلف بها ،وهي فك الحصار على عثمان باشا (2) .

تمكن قليج علي خلال الحملات التي قام بها في منطقة البحر الاسود من بناء قلعتين هامتين ،واحدة في طرابزون ،وأخرى في قارص ،وذلك من أجل تدعيم الجيوش العثمانية في منطقة شرق البحر الاسود وجنوب شرقه .

في عام 1583 ،خرج الاسطول العثماني تحت قيادة قليج علي وتوجه نحو شمال افريقيا ،وتوجد لدينا عدة رسائل ترسم بوضوح خط سير هذا الاسطول ونقاط توقفه وبعض المعارك التي أجراها مع قوات العدو في البحر الابيض المتوسط ،ونذكر كذلك بعض الغنائم التي عاد بها الاسطول الى اسطمبول ،وأهمها الرسائل التالية :

تشير الرسالة الاولى بتاريخ 1583/6/6 الى أن ابراهيم باشا وقليج علي خرجا على رأس 26 كاليرا بغرض التوجه الى كانندي أو الجزائر ،ويقول صاحب الرسالة ان مثل هذا العدد من السفن يجعله يعتقد أن الغرض من هذا الخروج ما هو الا مجرد تدريب "روتيني" حتى لا تنسى جيوش الاسطول احتكاكها بالبحر (3) .

أما الرسالة الثانية وهي تحمل تاريخ 20و22 جوان ،تقول انه في اليوم الاول من الشهر خرج الاسطول تحت قيادة قليج علي بقصد

1) Hammer,op.cit.,T.7,p.II9.
2) Charrière,op.cit.,T.4,p.284.
3) Idem,p.I95.

أشارت اليه الرسالة الثانية هو حماية الشواطئ العثمانية في شمال افريقيا ،وافهام اسبانيا أن القوة العثمانية - رغم الحرب التي كانت تخوضها مع الفرس - قادرة على حماية أراضيها ولو كان ذلك في شمال افريقيا البعيدة عن اسطمبول والقريبة من اسبانيا .

مع حلول فصل الخريف عاد الاسطول الى المياه الشرقية بحيث أشار السفير الفرنسي في البندقية في رسالة بعث بها الى هنري الثالث ملك فرنسا بتاريخ نوفمبر 1583 ،يقول فيها : ان قليج علي عاد من شمال افريقيا ووصل كورون Coron بوابة المورة ،ثم انتقل الى نفاران ، وتجول بالمنطقة واستولى على بعض السفن المسيحية ولم توضح الرسالة تاريخ دخول الاسطول الى اسطمبول (1) .

نلاحظ من هذا العرض السريع أن معركة ليبانت كانت آخر معركة كبرى عرفها القرن السادس عشر بين الدولة العثمانية والدولة الاسبانية . وقد يكون السبب في ذلك انشغال كلتا الدولتين في جهات أخرى من أراضيهما ،فالدولة العثمانية انشغلت بحربها مع الفرس ،والدولة الاسبانية من جهتها انشغلت هي الاخرى بما كان يجري في الاراضي المنخفضة وفي مستعمراتها بالعالم الجديد . ومما يؤكد هذا الرأي ، هو أيضا معاهدة سلم بين الدولتين عام 1581 لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

وهكذا نلاحظ أن أهم الحملات البحرية التي قام بها قليج علي من عام 1571 الى تاريخ وفاته هي : استرجاع تونس عام 1574 ،والحملة الموجهة ضد المغرب عام 1581 ،والحملتان الموجهتان الى البحر الاسود ،بالاضافة الى الحملة المجهزة لتنفيذ مشروع قناة السويس.*

(1 Idem,p.226.

* انظر الفصل الرابع تحت عنوان " مشروع قناة السويس" .

الفصـــــل الـرابـــــع

شخصيـــــة قليـــــج علـــــي ومـــآثـــــره

1)- مـوت قليـج علـي بـاشـا .

2)- الـرجـــل العسكـــري .

3)- منجـزات قليــج علـي بـاشـــا :

أ - المساجـد والمـدارس والقـبر .

ب - القــلاع والحصـــون .

جـ - مشـــروع قنـاة السـويـــس .

4)- مكتبـة قليـج علـي بـاشـا .

5)- مـزايا قليـج علـي ووفـاؤه للـدولـة العثمـانيـــة .

1 - موت قليج علي باشا

في ليلة 21 رجب 995هـ الموافق ليوم 27 جوان 1587، توفي قليج علي (1) بعد عمر يزيد عن ثمانين سنة، قضى معظمه في خدمة الدولة العثمانية • وورد في الموسوعة الاسلامية، أن قليج علي ذهب الى المسجد للصلاة، ووزع الصدقات كعادته، وفي مساء نفس اليوم مات وعمره قريب من تسعين سنة (2) •

شكك بعض الكتاب في أن موته لم يكن طبيعيا، فالكاتب هامير Hammer يلمح الى ذلك بقوله انه مات فجأة (؟) (3)، وقيل كذلك أنه مات مسموما من طرف سنان باشا الذي كان يطمح الى منصبه* (4) • ولم ينج ابراهيم باشا الذي خلفه في قيادة الاسطول من تهمة قتله، خصوصا أنه ورث جزءا من ثروته* حسب رأي البعض (5) •

وينقل دي فونتان ماكسانج رواية عن أحد المعاصرين لقليج علي وهو كاتب ألماني يسمى فورتنباخ Furttenbach فيقول : ((لما بلغ قليج علي قمة مجده، قال ابراهيم باشا - وهو صهر السلطان مراد الثالث لزوجته ذات يوم ان قليج علي شتمه، فنقلت الكلام لابيها، فأمر صهره ابراهيم باشا بقتله، ونفذ هذا الاخير الاوامر، وذلك عندما وجد قليج علي في مكتب الديوانه (الجمارك) وكان ابراهيم باشا رفقة أحد رجاله

---

1) Charrière, op. cit., T.IV, p.601.

2) Islam Ansiklopedisi, op. cit., p.681.

3) Hammer, op. cit., T.7, p.202, voir aussi, Encyclopedie de l'Islam, T.III; p.1037.

4) F. Charles-Roux, (l'Isthme de Suez et les rivalités européennes aux XVIe siécle), R. de l'hist. des colonies françaises, T.17, année 1924, p.182.

5) Defontin -Maxange, op. cit., p.184.

* وهذا مشكوك فيه لان هامير ودي تو لم يشيرا الى ذلك، كما أن المتوفى الذي لا يملك ورثة، تحول ثروته الى خزينة الدولة •

فاحتالا عليه وقاداه الى بيته ،وهناك أمر ابراهيم باشا مرافقه بخنقه ،فخنقه بحبل ،وهكذا كانت النهاية المؤسفة لاكبر باشا عاصرته)) (1) *

ويقول هايدو انه مات دون أن يترك ولدا ولا بنتا ،وانه في سنة 1580 ،كان عمره حوالي 72 سنة ** ولحيته لم تبيض بعد ،وكان طويل القامة ،قوي البنية ،أسمر اللون ،وكان صوته مبحوحا لدرجة أنه لا يمكن سماعه عندما يتحدث الا عن قرب (2) .

بعد وفاته ترك ثروة كبيرة من الذهب والاحجار الكريمة و 60 ألف دوكة ،وقدرت ثروته الاجمالية بحوالي 500 ألف دوكة ألحقت بخزينة الدولة (3) كما ترك عددا كبيرا من العبيد قدر عددهم بما يزيد عن 500 شخص يعتبرهم أبناء له ويعاملهم معاملة الاب لابنائه (4)

دفن قليج علي باشا في القبر الذي كان قد بناه لنفسه داخل مسجده بأسطمبول على الضفة الاوربية من مضيق البوسفور . وبموته انتهى عهد قوة الاسطول العثماني ،لان الذين تولوا منصب القابودان باشا من بعده ، لم يكونوا في مستواه ،حيث أن بعضهم لا يملك خبرة في الميدان البحري ،وكان بعضهم من الانكشاريين السابقين ،لذا يمكن القول ان عظمة الاسطول العثماني عاشها في القرن السادس

* لانستطيع أن ننفي أو نؤكد هذه التهمة ،فمن جهة نجد أن هذا النوع من الاغتيالات كان معمولا به في البلاد ،الا أن السلطان مراد الثالث قد لا يفعل ذلك نظرا لمكانة قليج علي في الدولة ،ومن المحتمل أن ابراهيم باشا فعل ذلك بمفرده وهذا طبعا ان كانت هذه الرواية صحيحة .

1) cité par Defontin-Maxange, op. cit., p. 208.

** تتفق معظم المراجع أنه كان يقترب من التسعين سنة أي أن عمره عام 1580 كان يتجاوز الثمانين .

2) Haëdo; op. cit., T. 24, p. 418.

3) Hammer; T. 7, p. 202, Islam Ansiklopedisi, p. 681.

ويقول شارييرأن ابراهيم باشا استولى على جزء من ثروته بعد وفاته ،ج 4 ،ص 601 .

4) Haëdo, T. 24, p. 418.

عشر أيام خير الدين وصالح رايس ودرغوث وقليج علي ، وتقهقرت مكانته بعد وفاة قليج علي ، ولحسن حظ الدولة العثمانية ، أن الاسطول الاسباني انشغل منذئذ في جهات أخرى من العالم *.

مات قليج علي وترك لنا آثارا عديدة خلد بها اسمه منها : مسجده في اسطمبول والمجمع الملحق به كالمدرسة والحمام والقبر ، كما ترك قلاعا عسكرية في مختلف أنحاء الدولة ، ومشروع قناة السويس وسنستعرضها جميعا في حينها .

---

* في هذا الوقت دخلت اسبانيا في حرب مع فرنسا وبريطانيا في أماكن عديدة من العالم .

2 - الرجل العسكري

تعرفنا في الفصول السابقة على قليج علي في مختلف أطوار حياته : حاكم طرابلس ، بايلرباي الجزائر ، قابودان باشا للاسطول العثماني . ومن خلال تتبعنا لها يمكن لنا أن نتعرف على قليج علي العسكري .

يمكن تقسيم الحياة العسكرية لقليج علي الى قسمين : القسم الاول وهو صغير ، يتناول الجانب البري . والقسم الثاني طويل - وهو الاهم - يتناول الجانب البحري .

أ - الجانب البري : شارك قليج علي في عمليات عسكرية برية عديدة ، كما قاد بعضها بنفسه . ومن أهم هذه العمليات نذكر مشاركته في معركة مستغانم عام 1558 عندما كان بابا على تلمسان . ثم قيادته للقوات البرية الجزائرية للاستلاء على تونس عام 1569 ، ومشاركته في الحملة الضخمة التي استرجعت تونس عام 1574 . الى جانب عمليات أخرى عديدة لا تقل أهمية عن الاولى منها : مشاركته في حصار مالطة عام 1565 ، وقضاؤه على الثورة التي قامت على الحكم العثماني في ليبيا عام 1567 ، ومشاركته في عمليات قارص والقرم في الثمانينات من القرن السادس عشر ... الخ .

ويظهر من جميع العمليات العسكرية التي قادها أو شارك فيها قليج علي أنه كان رجلا متمكنا ، ذكيا ، قادرا على التخطيط والهجوم في الوقت المناسب ، قادرا على المراوغة ، وقد حقق النصر في جميع العمليات التي شارك فيها . فاذا كانت المصادر والمراجع لا تذكر كثيرا عن الدور الذي قام به في معركة مستغانم مثلا عام 1558 ، فهي قد أفاضت في الحديث عن عمله الجبار المتمثل في الاستيلاء على تونس من الحفصيين عام 1569م .

ما هي الظروف التي غزا فيها قليج علي تونس ؟ لقد اغتنم قليج علي ظروفا دولية كانت مواتية منها : ثورة البشرات بالاندلس التي شغلت الاسبان عن الاهتمام بما يجري في جهات أخرى من دولتهم خاصة وأن قليج علي كان قد قدم مساعدة كبيرة للاندلسيين ، وكان قد قرر في البداية أن يكون على رأس حملة عسكرية ضد الاندلس لقيادة الثورة هناك* ، وفجأة غير رأيه وانقض على تونس واستولى عليها ، وعامل المفاجأة هذا خدمه كثيرا . كما اغتنم الاوضاع الداخلية التي كانت تعيشها تونس التي تتمثل في معارضة السلطان الحفصي من قبل أبي الطيب الخضار (1) وجماعته ، وكذلك معارضة بعض السكان له بسبب تأييده للاسبان الموجودين في حلق الوادي .

ومما يلفت الانتباه في استيلاء قليج علي على تونس ، هو قيادته لجيوشه بريا ، ولا نعرف أنه استعمل البحر فيها أبدا . مع العلم أنه رجل اكتسب شهرته كرجل بحري . والسر في اعتماده على البر عندئذ :

1 ـ تجنب أي تدخل اسباني لمنع هذه الحملة .
2 ـ تجنيد جيوش اضافية من منطقة الزواوة** .
3 ـ كما أن البحر أصبح في هذا الوقت (شهر أكتوبر) خطيرا على السفن .
4 ـ وجود قاعدة عسكرية قوية في الجزائر .

---

* انظر الفقرة المتعلقة بالاندلس في الفصل الثاني .

1) ابن أبي دينار ، المرجع السابق ، ص172 .

** كان العثمانيون في الجزائر يستعملون الجيوش الرسمية المتكونة من الانكشارية في مختلف العمليات التي لا تتطلب قوة كبيرة . وفي كل مرة يتطلب الامر جيوشا أكبر ، يلتجئون الى تجنيد الاهالي ، خاصة منهم أهل الزواوة ، وقد شارك هؤلاء في معظم المعارك الطاحنة التي جرت بين العثمانيين في شمال افريقيا وأعدائهم ، سواء الاسبان أو الحفصيين أو السعديين ...

لقد نجح قليج علي الى حد كبير في مخططاه هذا . فالاسطول الاسباني المرابض في صقلية لم يتحرك من هناك لمنع قليج علي من تحقيق مخططه ،كما أن الجيش الذي جنده من منطقة الزواوة قدر بالآلاف (1) ،وكان لهذا الجيش دور فعال في أخذ تونس .

من حسن تدبير قليج علي باشا أنه لما دخل تونس عمل على كسب سكانها ،فأمن الناس على حياتهم وأموالهم ،ثم جاءته جماعة من جند السلطان فقالوا له :((انا كنا خدمنا سلطاننا مدة اقامته ودافعنا عنه بقدر طاقتنا ،وأما اليوم فان شئتم أبقيتمونا في أماكننا وان شئتم صرفتمونا وأرض الله واسعة . فتشاوروا في أمرهم وأبقوهم على حالهم وقالوا لهم : أنتم نصحتم سلطانكم وليس لكم ذنب وحيث أديتم حق ملككم وقاتلتم فلنهي طاعته فأنتم اليوم معدودون من جماعتنا)) (2) . وكان بامكان قليج علي أن يطردهم أو يقتل بعضهم على الاقل مما يخلق له صفا معاديا في البلاد ، الا أن خبرته بالامور جعلته يتصرف بحكمة بحيث لما خرج من تونس ،ترك هناك حامية صغيرة ،ومع ذلك فقد تمكنت من تسيير البلاد دون مشاكل ،طوال أربع سنوات ،أي الى غاية 1573 عندما استولى عليها دون جوان النمساوي ،ولم يحاول السكان خلالها طرد العثمانيين ،ولا مساعدة السلطان المخلوع على استعادة عرشه .

أما في حصار مالطة ،فكان لقليج علي رأي مخالف لرأي اسطمبول المتمثل في فتح مالطة ،فكان يرى أن الاولوية لفتح حلق الوادي بتونس ووهران واسترجاع بادس ،لان هذه الاماكن تعتبر امتدادا طبيعيا للرقعة العثمانية ،وأن خطر الاسبان في هذه الاماكن

1) ابن أبي دينار ،المرجع السابق ،ص172 ،انظر كذلك :
Mercier,op.cit.,p.I07, Braudel,La Méditerranée... T.II,p.364.

2) ابن أبي دينار ،المرجع السابق ،ص ص173 ،174 .

أشد تأثيرا ،وهذا خلافا لمالطة التي تعتبر احدى القلاع المسيحية (1) .

أثبت تطور الاحداث بالمنطقة أن نظرة قليج علي كانت صائبة ، فالحملة علي مالطة منيت بالفشل ،وقلعة حلق الوادي بتونس كانت دوما مصدر تهديد للعثمانيين في المنطقة الى غاية سقوطها عام 1574 ، أما وهران فقد ظلت كشوكة في حلق الجزائريين الى غاية سنة فتحها وهي سنة 1792م .

في عملية أخذ جربة عام 1560 ،كان الجيش الاسباني معتصما داخل القلعة لمدة طويلة ،فاهتدى قليج علي الى فكرة الاستيلاء على الآبار التي يتزودون منها بالماء ،وبذلك سهل عملية الاستيلاء على القلعة (2) .

ب - الجانب البحري : ويتناول الجانب البحري من حياة قليج علي العسكرية ،ويعتبر البحر ميدانه إذ ولد وترعرع وشب وشاخ فيه ،وبنى مجده في أحضانه ،وترك بصماته واضحة في الجيش البحري للدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر* .

تكون قليج علي على يد أشهر رجال البحر الذين عرفهم القرن السادس عشر ،ومن بينهم خير الدين ودرغوث رايس، وشهد له درغوث بالكفاءة والمقدرة منذ أن اشتغل معه عام 1548 ،الشيء الذي جعله يحتفظ به مدة طويلة من الزمن . وقد ساهم قليج علي كثيرا في الهزيمة التي ألحقت بالاسطول الاسباني عام 1560 ،اذ تمكن من القيام بالمهمة التي كلفه بها درغوث رايس وهي

---

1) انظر الفصل الثاني ،ص 77.

2) Fevzi,op.cit.,pp.408-409.

* انظر تجديد بناء الاسطول في الفصل الثالث.

اقناع اسطمبول بضرورة ارسال الاسطول الى المنطقة لحمايتها من الاسطول الاسباني . كما ساهم أيضا في حصار مالطة ولكن الدور الذي قام به في معركة ليبانت عام 1571 جعله يتبوأ مكانة عالية ، اذ تمكن من الخروج سليما من المعركة بأسطوله ، وخفف بذلك من الهزيمة .

هذا باختصار ما قام به قليج علي ، وهو مفصل في جهات أخرى من البحث ، ولكن لماذا نجح وحقق انتصارات عديدة في أماكن فشل فيها غيره؟ ما هي الخطة التي كان يتبعها ؟ وهل كانت له خطة معينة يشتهر بها ؟ ويمكن الاجابة على هذه الاسئلة من خلال مختلف المعارك البحرية التي شارك فيها مع غيره من القادة ، أو التي تزعمها هو شخصيا . وللوصول اليها نكتفي بالحديث على دوره في معركة ليبانت .

في ليبانت رأينا أن قليج علي رفض اجراء المعركة* في ذلك اليوم نظرا للوضعية التي كان عليها الاسطول والجنود ، كما أن مخبريه قدموا له معلومات دقيقة عن وضعية أسطول الخصم وقواته . لذا رأى أن النصر لن يكون لصالح الاسطول العثماني . فعارض اجراء المعركة ، الا أن المجلس قرر عكس ذلك فرأينا قليج علي يقدم اقتراحا آخر يتمثل في اجراء المعركة في عرض البحر بعيدا عن السواحل ، حتى لا تعطى الفرصة للجندي في التفكير بالهروب الى الشاطئ ، الا أن هذا الاقتراح لم يحظ كذلك بالموافقة ، وحدث ما توقعه قليج علي ، فانهزم الاسطول وحاول الكثير من الجنود الهروب الى الشاطئ القريب ، ولم ينج من الاسطول الا قسم

---

* انظر الفصل الثاني تحت عنوان "ليبانت" .

صغير كان تحت قيادته شخصيا .

واذا أردنا معرفة سبب نجاته ،بل وانتصاره على خصمه في ذلك اليوم وهو جان أندري دوريا وفرسان مالطة ،نجده يكمن في خروج دوريا الى عرض البحر ،الشيء الذي خلق البلبلة وسط الاسطول المسيحي (1) اذ لم يفهم قائده حركة دوريا هذه ، فبدلا من التحامه مع الاسطول العثماني كما فعل رفاقه ،فضل الانفصال بالجناح الايمن الذي كان تحت قيادته وذهب الى عرض البحر دون أن يخبر قائد الاسطول بذلك*.

فهم قليج علي بسرعة الاضطراب الذي سببه خروج الجناح الايمن من الاسطول المسيحي الى عرض البحر ،فسارع لملاحقته مستغلا ابتعاده عن بقية الاسطول ،وكان يرى أن أي معركة يجريها مع العدو في عرض البحر بعيدا عن الشواطئ تجعل الجندي يستبسل في القتال الى غاية انتصاره أو استشهاده ،لان فرص النجاة هنا تكمن في شيء واحد وهو النصر،وما عدا ذلك فهو الموت المؤكد ،وهذا يعرفه الجندي جيدا .

انتظر قليج علي بعض الوقت قبل التحرك لملاحقة دوريا ،وبحكم خبرته الكبيرة بشؤون البحر ،لاحظ أن ابتعاده عن بقية الاسطول المسيحي ترك فراغا كبيرا في الجهة اليمنى ،فاستغل قليج علي هذا الفراغ للانقضاض على سفن فرسان مالطة التي كانت في المنطقة ، فعرف كيف يتغلب عليها ويأسر بعضها ،وانتصر عليها انتصارا ساحقا (2) .

1) Lesur,op.cit.,p.I25.

* لمعرفة التفاصيل انظر الكتب التالية وهي تتحدث بالتفصيل عن معركة ليبانت:
Hammer,Hist. de l'Empire Ottoman. De Thou,Hist. Universelle. Lesur, Lépante.

2) Marmol,op.cit.,T.I,p.529,voir aussi,Lesur,op.cit.,p.I38.

بعد أن تأكد قليج علي أن الاسطول العثماني قضي عليه، فضل الانسحاب من المعركة مع أسطوله الصغير(1) ساحبا وراءه بعض السفن التي أسرها، وتمكن بذلك من تخفيف الصدمة على المسؤولين العثمانيين.

لاحظ قليج علي أثناء المعركة أن هناك عاملين أساسيين ساهما في انتصار الاسطول المسيحي، وهما: الاسلحة النارية والسفن الكبيرة التي رافقت الاسطول وهي من نوع قالياس galéasse، لذا سارع الى ادخال هاتين الاداتين الجديدتين الى الاسطول العثماني بمجرد أن كلف بتجديده، وكان لهما الدور الفعال في الانتصارات الكثيرة التي حققها بعد معركة ليبانت.

يمتاز قليج علي بأخلاق عسكرية عالية، وهذا بشهادة أعدائه قبل أصدقائه: فبالنسبة للاسرى الذين يقعون في يده، كان يعاملهم معاملة انسانية، لا يبيعهم ولا يفرض عليهم الاشغال الشاقة وقد عمر بهم جزيرة صغيرة* بلغ عددهم فيها عند وفاته ثلاثة آلاف شخص (2). وتقول بعض المراجع انه ترك عند وفاته في قصره حوالي 500 أسير كان يعاملهم كأبنائه (3)، وربما يرجع السبب في ذلك الى ما قاساه في صباه عندما كان أسيرا قبل اسلامه.

ومما يؤكد هذه الاخلاق ما فعله مع سفن مالطة التي أسرها عام 1570، وقد كانت تحت قيادة سان كليمون، فقد قاومته بعض السفن في حين هرب البعض الآخر منها، ولما استولى عليها

---

1) Idem, p.529.

* لا يشير صاحب الخبر وهو دي غرامون الى اسمها ولا الى مكان وجودها بالتحديد واكتفى بالقول انها من جزر الارخبيل (؟) هل يعني أرخبيل ايجه؟

2) De Grammont, (Un Pacha d'Alger), in, R.A. T.29, p.362. voir aussi, Delphin, (Hist. des Pachas d'Alger) J.A. Avril-Juin, 1922, p.223.

3) Haëdo, op.cit., p418.

جميعا ،عامل الجنود الذين قاوموه معاملة حسنة ،لانهم شرفوا مهنتهم فانهزموا بشرف ،بينما الذين فروا كان عنيفا معهم وعاملهم بقسوة ،ولم يفعل ذلك لانهم أعداء له ،وانما بسبب جبنهم وهروبهم دون مقاومة ،وهذا في نظر قليج علي اهانة كبيرة لوظيفة الجندي المحترم (1) .

ومما يبرز مكانة قليج علي كرجل بحري يحترم مهنته ،ما فعله مع مفتش هذه السفن الذي سمح لقائد الاسطول بنقل البقر والغنم داخل السفن الحربية ،فأراد قليج علي شنقه لهذا السبب لانه كان يرى في ذلك اهانة لوظيفة السفينة الحربية ورجالها . فرغم أن السفينة ملك لاعدائه ،الا أن قليج علي كان يرى أن السفينة الحربية يجب ألا توظف في أمور غير حربية لان ذلك يعتبر اهانة للمهنة بأكملها (2) .

هذا هو قليج علي العسكري الذي عرف - بحكم احتكاكه الطويل بالبحر - كيف يتفوق على خصومه ،وكيف يترقى بسرعة في السلم الوظيفي وذلك بفضل ذكائه الخارق للعادة وسرعة تفكيره ودقة تخطيطه وتنفيذه . وقد نال اعجاب معظم معاصريه فسجل لنا برانتوم Brantôme ذلك بوضوح في كتابه الشهير (3) .

---

1) Rotalier,op.cit.,pp.256-257.
2) Idem,p.257.
3) De Brantôme,op.cit.,vol.II,pp.74-81.

3 - منجزات قليج علي باشا

خلال حياة قليج علي الطويلة التي قضى قسما منها في الجزائر وقسما آخر في اسطمبول أو متجولا في البحار الداخلية للمتوسط، ترك عددا كبيرا من الآثار ومنها : المساجد والمدارس والحمامات ثم قبره باسطمبول، ومجموعة من القلاع، بعضها في الجزائر والبعض الآخر في تركيا الحالية وبعض الآثار في ليبيا، ومشروع قناة السويس.

أ - المساجد والمدارس والحمامات والقبر :

ان أهم هذه المنجزات* على الاطلاق هو مسجد قليج علي الموجود باسطمبول، وهو عبارة عن مجمع يتكون من مسجد ومدرسة وقبر وكتاب وحمام، وكان هذا المجمع من بناء المهندس المعماري الشهير سنان المعماري**. ويرجع تاريخ بناء هذا المسجد حسب الكتابات الموجودة عليه الى سنة 1580، ومخططه (انظر الشكل) مستطيل الشكل وهو يتكون من خصوصيات تجعله شبيها في بعض الامور بآيا صوفيا، وكان محرابه خارج المستطيل. أما القبة الوسطى فهي تتركز على أربع أعمدة، وتوجد ناحية المدخل نصف قبة وكذلك ناحية

* وردت في دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثاني عشر تحت كلمة "سنان المعماري" ص 223 قائمة بمنجزات هذا المهندس، ونسب بعضها الى قليج علي وهي : جامع قليج علي باشا في طوبخانه باسطمبول، مدرسة على باشا باسطمبول (؟) ضريح قليج علي باشا بأيوب في اسطمبول، حمام أمير البحر علي باشا في طوبخانه في اسطمبول، حمام أمير البحر علي باشا في فنارقهو (؟)

** سنان المعماري (1489 - 1588) أكبر مهندس عثماني، ولد في قيصرية من أب مسيحي. أشرف على بناء الجوامع والمدارس والقبور والحمامات والخانات في اسطمبول وغيرها من المدن، أهمها جامع السليمانية باسطمبول، وهو قائم الى يومنا هذا.

المحراب ،وهما مركزتان على أعمدة كذلك ،كما يوجد طابق داخلي (محفل Mehfel) يعتقد أنه مخصص للنساء . أما خارج المسجد فيوجد بناء خاص ومكمل للمسجد يسمى (جماعة) وهو في العادة يخصص لتجمع المسلمين (انظر الشكل) يتكون سقفه من خمس قبب تتركز على 6 أعمدة ،وبمرور الزمن (لا نعلم الفترة بالضبط) شيدت أمام المسجد (جماعة ثانية) مغطاة بسقف .وتوجد على الجدار الخارجي للمسجد حنفيات للوضوء وضعت في مكان مسقوف يقي المسلمين عند الوضوء من المطر .

في داخل المسجد على جدران (الجماعة الاولى) توجد خزفيات ذات قيمة عالية ،وكانت الكتابات الموجودة عليها من تصميم شخص يسمى دمرجي قولو يوسف افندي Demirci Kulu Yusuf Efendi ، وتظهر في الصور القديمة للمسجد في القسم اليساري قاعة للسلطان (Hünkar dairisi) وهي كبيرة ومشيدة من الخشب المنحوت وهو ذو جمال رائع (1) .

أما المدرسة فبنيت الى جانب المسجد ،وكانت مقرا لتعليم حوالي مائة طالب (2) ،ولم يبق منها أي أثر الآن ،اذ سقطت واندثرت ،لانها لم ترمم في الوقت المناسب ،الشيء الذي سبب سقوطها نهائيا ،ولا ندري متى حدث ذلك بالضبط .

أما بالنسبة لقبر قليج علي ،فقد بني خارج المسجد جهة المحراب، وهو يتوسط حديقة كبيرة ،وكان من بناء سنان المعماري كذلك ،

1) Tahsin Öz, <u>Istambul Camelleri</u>, vol. II, (Ankara, 1965) pp. 39-41.

2) MICHAUD, <u>Biographie universelle , anciennen et moderne</u>, nouvelle éd., T. 31, (Paris, Viéville et Capiomont, 1870), p. 140.

وتم تشييده عام 1586 وهو على شكل مثمن تعلوه قبة واحدة ، واجهته الامامية مغطاة كتب عليه ما يلي : ((صاحب الخيرات قليج علي باشا غازي مرحومك تربه شريفه سى 995هـ)) (1) ومعناها : قبر المرحوم الغازي صاحب الخيرات قليج علي باشا 995هـ (1587م) .

شيد قليج علي في بشكطاش (وهو حي من أحياء اسطمبول) عام 1586 مسجدا آخر غير جامع في مكان يسمى (يكى صراي Yeni Saray) أي القصر الجديد وفي جانبه حمام مكمل له* وقد شيد أيضا سنان المعماري . كما شيدت زوجته سليمة خاتون** Salima Hatın مسجدا في مكان يسمى فندقلى Fındıkle (2) .

كما يرد ذكر لمدرسة ثانية بناها قليج علي ويبدو أنها ملحقة بالمسجد الثاني الذي بناه في بشكطاش وهي لا تزال موجودة الى حد الآن غير أنها أصبحت مستوصفا ، ويبدو أن بناءها كان سنة 1587 ، الا أن الاشغال لم تنته في حياة قليج علي وخططت هذه المدرسة من طرف سنان المعماري ، الا أن بناءها كان من طرف شخص آخر ، لان قائمة أعمال سنان ، لم يرد فيها ذكرها ، كما أن وفاة هذا المهندس كانت سنة 1588 أي قبل نهاية بنائها ، وتوجد فيها مكتبة قليج علي الغنية بكتبها وهي المكتبة التي تم نقلها الى المكتبة السليمانية سنة 1911 (3) .

(1 Tahsin ÖZ, op.cit., p.40.

* ورد في الموسوعة الاسلامية بأن قليج علي شيد في مكان يسمى "القصر الجديد" حماما ومسجدين للسلطان مراد الثالث.

** لأول مرة يرد ذكر زوجته ، فكل المصادر والمراجع لم تتحدث عن حياته الخاصة ، ولم تشر الى أنه كان متزوجا أم لا ، الا أن دائرة المعارف الاسلامية تذكر زوجة له . انظر ص 681 .

(2 Cahid Baltacı, <u>XV-XVI Asır lar da Osmanlı medrese leri</u>, (Istambul, 1976), p.279. voir aussi, Hammer, op.cit., T.7, p.20I.

(3 Tahsin ÖZ , op.cit., p.4I.

هنـاك مسجـد آخـر شيـده قليج علي يـدعـى اسكلي جامعي Eskeli Camii ،جـدده فيما بعـد نو شهرلى دمات ابراهيم باشا Nev Şeherli Damat Ibrahim Paşa ،وتـم ذلك في عهـد السلطـان محمـود الثاني عـام 1839 ،وكانت مئـذنتـه عاليـة وهي مبنيـة بالحجـارة مثل الجـدران ، أمـا القبـة و "الجمـاعـة" وقـاعـة السلطـان فمبنيـة بالخشـب(1) .

يحكـى أن قليج علي لمـا أراد بنـاء مسجـده الاول وهـو الكبيـر ، طلـب من السلطـان أن يمنحـه مسـا حـة أرض كـافيـة لذلـك ،فـرد عليه بالـرفض وقـال لـه : ((اني لا أعطيـك ولـو أصبعـا واحـدا مـن الارض، فـأنت قائد البحـرية والبحـار،لتكـن قـادرا اذن على بنـاء مسجـدك على البحـر)) (2) ويبـدو أن هـذه الحكـاية تم نسجهـا لتبـرير اختيـار قليج علي لحـافـة البحـر لبنـاء مسجـده ،لأنـه بنـاه فعـلا على شـاطـئ البحـر في الضفـة الاوربيـة من مضيق البـوسفـور.

مـن أشهـر المـدرسيـن الـذين تولـوا التدريس في مـدرسـة قليج علي نـذكـر الاسمـاء التـاليـة :

1 ـ كوچك تاج الدين زاده حيدر افندي ،سنة 996هـ/87 ـ 1588م .
2 ـ نفس زاده مصطفى افندي ،سنة1000هـ/91 ـ 1592م .
3 ـ حسام افندي ،سنة 1004هـ/95 ـ 1596م .
4 ـ أحمد چلبي ،سنة 1004هـ .
5 ـ تولمجي حسام افندي ،سنة 1008هـ/1599ـ1600م .
6 ـ مصطفى بن محمد افندي ،سنة 1008هـ كذلك .
7 ـ شيخ زاده افندي ،سنة 1009هـ/1600 ـ 1601م .
8 ـ مختار زاده محمد افندي ،سنة 1010هـ/01 ـ 1602م .
9 ـ محمد افندي كذلك ،سنة 1008هـ* (3)

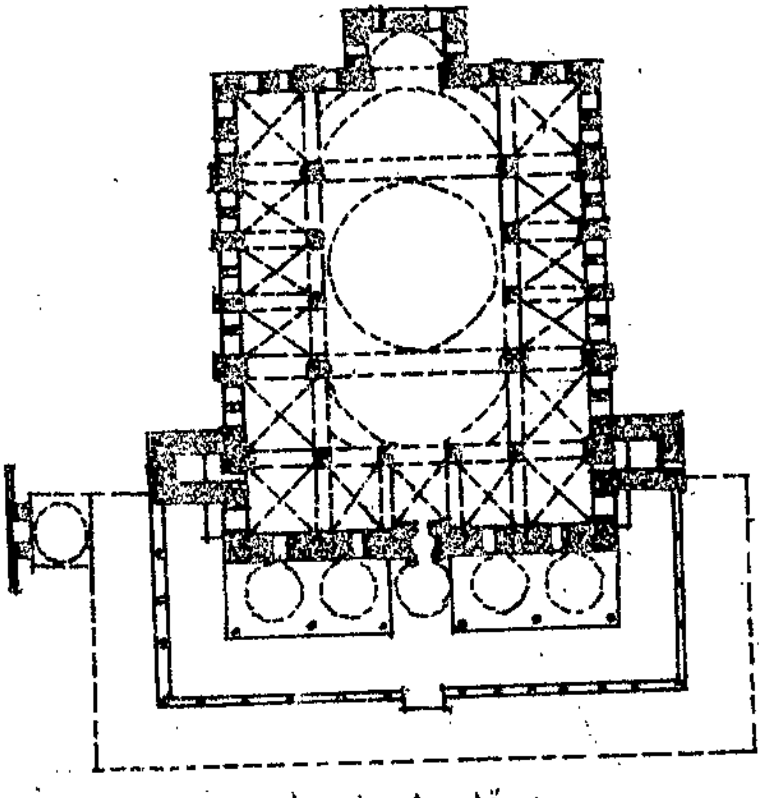
---

1) Islam Ansiklopedisi, T.II, pp.679-681.

2) Hasan Küçük, op.cit., p.166.

* تشير التواريخ الملحقة بالاسماء الى سنوات تدريسهم بهذه المدرسة .

3) Cahid Baltacı, op.cit., pp.280-281.



مسجد قلج علي باسطنبول

مسجد قليج علي باشا باسطنبول

ب ٠القـــلاع والحصــون :

شيــد قليج علي عـدد ا كبيرا من القــلاع والحصــون في كــل من الجــزائر وليبيــا وتــركيــا ،واذا تتبعنــا تسلســل الاحــداث فاننــا نبــدأ بليبيـــا التــي حكـم فيهـــا من سنــة 1565 الى عــام 1568م ،فقــد شيــد فيهـــا بــرجــايبمــي بالبــرج المربــع للــدفــاع عن الســور المجــاور لبـــاب المنشيــة ،وكــان في الاصــل مهيــأ ليكــون مخــزنــا للبــارود ،ومــن هنــا جــاءت تسميته الاخــرى ب "دار البارود " وقــد كشفــت الترميمــات الاخــيرة عــن الوضع الهنــد سي الداخــلي لهــذا الحصــن على الامــاكن الخاصــة بوضــع المــدافــع وفتحــاتــه التي تــواجــه السهــل الــواقــع شــرقـــي طــرابلـس حيث تقــوم المــد ينة الجــد يدة • وتــذكــر احــد ى الشــواهــد التــاريخــية التي تــعــرد الى تــاريــخ 975هـ الموافــق لسنتــي 1568/67، انــه شيــد مــن قبــل علي باشا (1) •

أمــا في الجــزائر شيّــد قليج علي بــرجــا في حــي بــاب الــواد ي الحــالي ،أي غــرب المــد ينة في ذلــك الــوقــت ،لحمــايــة شــاطـــئ ضيــق يقــع شمــال غــرب المــد ينة يسهــل على السفــن التــي تستعمــل المجــاد يــف التسلــل من هنــاك على حــين غفلــة (2) •

يقــدم هــايــد و وصفــا د قيقــا لهــذا البــرج فيقــول : ((انــه يقــع على مســافــة 370 خطــوة من بــاب الــوادي ،وقــد بنــي على صخــرة مربعـــة ،

1) ايتوري روسي ،المرجع السا بق ،ص197 •

2) Haëdo, (Topographie et histoire générale d'Alger) in, R.A., T.I4, I870, pp.425-426. voir aussi, Lespés, Alger, étude de géographie et d'histoire urbaines, (Paris, lib. Félix, Alcan, I930), p.I22.

انظــر كذلك ،الميلي ،المرجع السابق ،102 •

بنيت جدرانه بشكل يسهل الدفاع منها ، فأقيمت بها فتحات لفوهات المدافع ، وفي ساحة البرج الداخلية أقيم خزان للماء بني بعناية فائقة ، يبلغ قطر البرج حوالى ثلاثين قدما ، وتم تسليحه بثمانية مدافع من الحجم المتوسط ، ولم تحفر حوله خنادق لا داخلية ولا خارجية)) (1) .

من عيوب هذا البرج وجود تلال عالية في ناحيته الجنوبية يمكن للعدو أن يستعملها لقنبلته دون أن تصيبه هو القنابل الآتية من البرج ، ومن عيوبه كذلك ، أن المواقف على هذه التلال يشرف على كل الطرق المؤدية اليه مما يسمح للعدو بمنع جميع الاسعافات التي يمكن أن تقدم له من المدينة (2) .

يتضح من الكتابة التي وجدت على هذا البرج ، أن بناءه بدأ في عهد محمد بن صالح رايس ، الا أن مدة اقامته في الجزائر كانت قصيرة (من شهر جانفي 1567 الى مارس 1568) ، فلم يتمكن من انهائه ، وهكذا جاء قليج علي فأتم البناء ، ويبدو أن القسم الاكبر منه بني في عهد قليج علي وبأمر منه ، ومما يثبت ذلك قصة الجاسوس جيرونيمو* Geronimo الذي أمر قليج علي بدفنه

---

1) Haëdo, Topographie...pp.425-426.

2) A.Devoulx, (Les casernes des Janissaires à Alger) in, R.A., T.III, année 1858-59, pp.149-151.

*جاسوس اسباني من أصل عربي ، أسر من طرف الاسبان وهو صغير فاعتنق المسيحية ، ولما كبر أصبح يخدم جاسوسا للاسبان في وهران . ولما ألقي عليه القبض تم اعدامه عام 1569 بوضعه داخل احد جدران برج قليج علي . للتوسع في هذا الموضوع انظر :

Noureddine Abdelkader, Un épisode de l'ancien Alger, histoire de Geronimo 1535-1569,

(دون بيانات الطبع) .

حيا داخل أحد جدران البرج عندما كان البناؤون ما يزالون يقومون ببنائه ،وقد قتلوه فعلا بهذه الطريقة ولم تستخرج عظامه الا يوم 27 ديسمبر 1853 عندما قامت السلطات الفرنسية بهدم هذا البرج (1) .

شيد قليج علي في الجزائر أيضا ثكنة عسكرية ما بين 1571 و 1572 ،تقع (بنهج المكرون) ،وأقدم اشارة اليها تعود لسنة 1603، وذلك خلال ذكر أحد البيوت التابعة لهذه الثكنة ،وتقول هذه الاشارة التي جاءت في أحد العقود بأن البيت يقع داخل ثكنة الانكشارية التي شيدها علي باشا الواقعة في قاع الصور،وهي تشرف على البحر(2) ،ويذكر دوفو Devoulx أن تسميتها وردت بأشكال مختلفة في كتابات مختلفة منها : دار المقرين 1089هـ/26 ـ 1725م، دار مقرون أو مقارون 1228هـ /1813م (3) .

هذا ما يتعلق بالجزائر ،وفي عام 1571 بعد معركة ليبانت ترقى قليج علي الى منصب القابودان باشا فذهب الى اسطمبول واستقر بها ،لذا نجد أن منجزاته بعد هذه السنة تتركز تقريبا في اسطمبول ،وأهمها المساجد التي سبقت الاشارة اليها وكذلك القلاع العسكرية .

مع نهاية شهر ماي من سنة 1579 ـ وبسبب الحرب التي قامت في منطقة القرم وشرق البحر الاسود بين الدولتين العثمانية والصفوية ـ كلف قليج علي ببناء حصن منيع في المنطقة عرف باسم " حصن قارص Kars شرق تركيا الحالية (4) . ويقول شاريير :((ا ن

---

1) Devoulx,(Alger,étude archéologique et topographique sur cette ville aux époques Romaine Arabe,et Turque),in,R.A.,T.22,p.I52.

2) Devoulx,Les casernes...p.I39.

3) Idem,p.I39. وولف ،المرجع السابق ،ص 201 ،انظر كذلك :

4) Haëdo,Hist. des rois d'Alger...R.A.,T.24,p.4I6. voir aussi,Hammer,op.cit.,T.I7,p.97.

الغرض من بناء هذا الحصن هو تزويد الجيش الموجود في هذه المنطقة بما يحتاج اليه عن طريق البحر، خصوصا أنه أصبح معرضا - بسبب الهزائم التي مني بها أمام الفرس - لاخطار المجاعة، لان كل شيء يرسل له عن طريق البركان يقع بيد الاعداء، لذا فكر الحكام في بناء هذا الحصن لحماية هذا الجيش مع حدود الدولة، خصوصا أنه يقع على نهر فاز Phase، فهو يتحكم في المنطقة المطلة على البحر الاسود والمنطقة الداخلية في جنوب هذا الحصن)) (1)

وفي رسالة وجهها السفير الفرنسي باسطمبول لملكه بتاريخ 19 ماي 1579، يقول فيها بأن قليج علي خرج يوم 7 ماي 1579 على رأس 30 كاليرا متوجها الى البحر الاسود ثم قارص وهي منطقة تبعد عن البحر بعشرة أيام قصد اعادة بناء قلعة قديمة لاستعمالها في تحصين الحدود وتهدئة الاوضاع بالمنطقة (2) .

ويتضح من رسالة أخرى موجهة للملك الفرنسي هنري الثالث، بأن قلعة قارص تم بناؤها بسرعة في ظرف شهور قليلة على مساحة واسعة، واعتبر الاتراك هذه السرعة أمرا خارقا للعادة (3) .

في يوم 20 سبتمبر 1579، عاد قليج علي الى اسطمبول بعد أن أنهى بناء قلعة قارص وقضى على التمرد الذي عرفته تلك المنطقة المذكورة، وبفضل هذه القلعة قضت اسطمبول على تلك الانتفاضات التي يقوم بها السكان من حين لآخر، ووسعت سلطتها على المنطقة (4) .

---

1) Charriére, op.cit., T.III, pp.796-799.
2) Idem, p.799.
3) Idem, p.808.
4) Idem, p.p.826-827.

ج - مشروع قناة السويس:

من جملة المشاكل التي ورثتها الدولة العثمانية عن المماليك في مصر ، تحول خطوط التجارة المارة بالبلاد الغربية الى رأس الرجاء الصالح ، والانهيار الاقتصادي الذي حدث في المنطقة العربية نتيجة هذا التحول ، والتفوق البرتغالي في منطقة الخليج العربي والبحر الاحمر ، خصوصا بعد تحالف الحبشة معهم.

أمام هذا الوضع فرضت الحرب نفسها على العثمانيين ضد البرتغاليين الذين وصلوا الى مدى بعيد في التوسع الاقليمي ، فبلغوا مصر والحجاز وهما يطلان على البحر الاحمر (1) ، بالاضافة الى هذا الخطر نجد أن كثرة الانتفاضات في شبه الجزيرة العربية ضد الدولة العثمانية ، وضرورة اخمادها ، جعل فتح قناة تربط بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط أكثر من ضرورية ، وذلك لان نقل القوات والعتاد من اسطمبول الى الجنوب العربي كان يتم عن طريق البحر الى غاية مصر ، ثم تنقل عبر البر الى غاية البحر الاحمر ، وتستأنف السير على السفن الموجودة هناك . لذا ، فهذه العملية كانت تتم بثقل كبير ، الى جانب الاخطار التي تحف بها عند قطع الصحراء دون اهمال المصاريف الكثيرة التي تتطلبها (2) .

الى جانب مواجهة خطر البرتغال والاسبان في الجنوب العربي والبحر الاحمر ، شعر التجار المشارقة - منذ أن تحولت الطرق التجارية عن المنطقة بضرورة التفكير في حل يحمي تجارتهم من الضياع ، لأن كل المعاملات التجارية بين الشرق والغرب

1) عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ص593.

2) De Grammont, (Un Pacha d'Alger...), in, R.A., T.29, p.362.

كانت في السابق تتم على يدهم (التجار المشارقة) بسبب سيطرة الدولة العثمانية على المنافذ البحرية الموصلة بين البحر الابيض المتوسط والبحار الشرقية ،فبدأ دورهم في الوساطة التجارية بين الشرق والغرب يزول شيئا فشيئا ،وعاش التجار البنادقة نفس الوضع، فخططوا منذ عام 1508 ـ أي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذي حول تجارتهم الى يد الهولنديين ـ لفتح قناة تصل بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ،وكان أحدهم وهو المسمى نيكولوكونتي Niccolo Conti قد وضع مخططا لهذا المشروع ، الا أنه لم ينفذ (1) .

في عام 1581 ،تم امضاء معاهدة صلح بين الدولة العثمانية والدولة الاسبانية ،ولم ترتح فرنسا لهذه المعاهدة لانها قد تعطي الفرصة للاسبان للتفرغ لمشاكلهم مع فرنسا كما أن هذه المعاهدة قد لا تسمح لفرنسا بالاستنجاد بالدولة العثمانية عند الضرورة ،لذا سعت ديبلوماسيتها ما بين 1581 و1586 لافساد هذه المعاهدة وتحويلها الى حرب بين البلدين حتى تتحصل من الدولة العثمانية على خدمات لصالح بعض المؤسسات البرتغالية التي مازالت تقاوم في الهند* .

في عام 1581 ، كان سفير فرنسا في اسطمبول وهو جيرميني

I) La grande Encyclopédie, T.XXX, (Paris, sociéte anonyme de la grande encyclopédie, S.D.), p.65I.

* في عام 1580 ،تولى فليب الثاني ملك إسبانيا عرش البرتغال ،وهكذا انتقلت الى يده الممتلكات البرتغالية في أوربا وآسيا وافريقيا وفي المحيط الهادي ... ولم يلق الاسبان أي ترحيب من جانب البرتغاليين . وكانت انجلترا تعضد حركة التذمر عند البرتغاليين وكذلك فعلت فرنسا . انظر ،فيشر، المرجع السابق ، ص ص228 ، 229 .

Germigny يتابع باهتمام محاولة العثمانيين في جلب المصاريف (comptoirs) البرتغالية الى الاراضي العثمانية وكان الاسبان يمنعون ذلك(1) • وأخبر هذا السفير ملكه بالعلاقات التي كانت بين الدولة العثمانية وبعض اليهود البرتغاليين من أجل دعوة برتغالي الهند الشرقية ومملكة هرمز وجزر وموانئ الشرق التابعة للبرتغال لنقل نشاطهم التجاري الى موانئ ومحطات الدولة العثمانية في القاهرة وسوريا ،مقدمين لهم حسن المعاملة (2) • والملاحظ أن فرنسا في هذا الوقت كانت تعمل على تشجيع الخلافات بين الدولة العثمانية واسبانيا بسبب أطماعها ـ أي فرنسا ـ في أملاك البرتغال • ففي عام 1582 ،حاول الملك الفرنسي الحصول على مساعدة البحرية العثمانية ضد اسبانيا في الحملة التي كان ينوي تنظيمها ضد جزر الاصور Açores ،الا أن الحرب العثمانية الفارسية حالت دون تقديم هذه المساعدة المنتظرة (3) •

في هذا الوضع المتأزم والمصالح المتضاربة في البحر الابيض المتوسط ،ظهر قليج علي بفكرة فتح قناة تصل بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ليضع بذلك حدا لمخاوف التجار المشارقة من جهة ، وليجعل المسافة بين اسطمبول وممتلكاتها في الجنوب العربي ـ المهددة من طرف الاسبان ـ قريبة حتى تسهل عليه عملية حمايتها • ويعود تاريخ تفكير قليج علي في هذه القناة الى فترة حكمه في الاسكندرية ،الا أن مشروعه لم يحظ بالموافقة (4) • وفي عام 1568 ،فكر السلطان في هذا المشروع ،وأرسل الاوامر الى حاكم مصر بتاريخ 12 رجب 975هـ/12 جانفي 1568م لاجل التحضير لانجازه ، الا أنه تم التراجع عنه قبل البداية فيه (5) •

I) F. Charles-Roux, (l'Isthme de Suez et les rivalités européenes aux XVIe siécle), in, R. de l'hist. des colonies Française, T.17, 1924, p.173.

2) Charriere, op.cit., T.IV, p.82, note; I.

3) F. Charles-Roux, op.cit., p.173.

4) Fevzi, op.cit., T.II, p.591.

5) Ismail Hakki, op.cit., p.258

5) مهمة دفتري رقم 7 بتاريخ 12/7/975هـ •

عرض قليج علي الفكرة من جديد على السلطان وألح على ضرورة التعجيل بتنفيذها مبرزا أهميتها والوقت الكبير الذي يمكن ربحه في نقل القوات والسلاح الى الجنوب العربي لمواجهة العدو المسيحي هناك وكذلك الاهمية التجارية والاقتصادية ، وما تجنيه الدولة منها على المستوى العالمي (1)

في شهر جوان 1586 ،أرسل السفير الفرنسي لدى البندقية رسالة لهنري الثالث يخبره فيها بحملة اسبانية في البحر الاحمر. ويقول في هذه الرسالة : ((لقد دخلت في البحر الاحمر 30 كاليرا وغليوطة مع 4 ماعونات اسبانية ،وقد توجهت من اليمن نحو مكة وهي محطة أولى وقد خربت كل ما صادفته في طريقها ،كما أسرت عددا كبيرا من الرجال)) ،ويتضح من هذه الرسالة أن مثل هذه الحملة كانت تهدد كل الممتلكات العثمانية المطلة على البحر الاحمر،وأنها بامكانها أن تحتل أي مدينة تطل على هذا البحر،وأن أصحاب الحملة وعدوا بأنهم سيجهزون حملة أكبر من هذه ويحصنون جزيرة بريم بباب المندب التي تتحكم في البحر الاحمر وبذلك يصبح بحرا اسبانيا (2) .

كان رد الفعل في اسطمبول سريعا ومزدوجا :

1 ـ فمن الناحية العسكرية ،نظمت المقاومة على مستوى حكام المنطقة ـ أي شريف مكة وحاكم مصر .

2 ـ ومن الناحية الثانية ـ وهي الاهم بالنسبة لهذا الموضوع ـ ـ خرج قليج علي باشا بأسطول كبير بعد أن أذن له السلطان لفتح قناة تربط البحرين كما طلب ذلك في السابق ، وعن هذا الموضوع وجه السفير الفرنسي باسطمبول الرسالة التالية الى ملكه

---

1) De Grammont,op.cit.,p.362.

2) F.Charles-Roux,op.cit.,pp.173-174.

وهي تحمل تاريخ 25 جويلية 1586 : ((... ان قليج علي شخصيا قد أخبرني بالذهاب الى الاسكندرية بخمس وعشرين كاليرا ، و2 ماعونة وبعض الفليوطات من أجل انجاز عمل يبدو لي مستحيلا ، أو على الاقل صعبا ، وهو فتح قناة بالقاهرة تصل بالسويس على رأس الخليج الموصل بالبحر الاحمر ، والمسافة بين النقطتين صحراء رملية خالية من المياه الصالحة للشرب ، وتبلغ مسافتها ما بين خمسة أو ستة أيام سيرا على الجمال ، ويريد بهذا تحويل مجرى نهر النيل ، وجعله صالحا للملاحة الى غاية البحر الاحمر ، ويجعل بذلك انتقال السفن من البحر الابيض المتوسط الى البحر الاحمر والمحيط الهندي والهند الشرقية ممكنا دون اللجوء الى المحيط الاطلسي ... ان قليج علي الذي كان ملحا على السلطان في انجاز هذا المشروع وجد الفرصة المواتية في الشكوى التي قدمها سكان الجزيرة العربية ومكة بسبب توغل السفن الاسبانية داخل البحر الاحمر ووصولهم الى مكة ، وبسبب رغبتهم في اقامة حصن في مضيق عدن ... وقد خصص لانجاز هذا العمل الضخم مائة ألف رجل ، أربعين ألف حمار واثني عشر ألف جمل لنقل الماء والعتاد اللازم ...)) (1) .

في هذه الاثناء ، اندلعت الحرب بين الدولتين : العثمانية والفارسية من جديد ، وكانت عنيفة للغاية ، فوجدت الدولة العثمانية نفسها مجبرة على تأجيل مشروع قناة السويس ، وتشير الرسالة المؤرخة في يومي 6 و 20 أوت 1586 من السفير الفرنسي باسطمبول الى الملك الفرنسي هنري الثالث الى تأجيل هذا المشروع (2) .

كان السفير الفرنسي في اسطمبول يتخوف من عقد هدنة بين الدولة

---

1) Cité par ,Jean Chrles-Roux,<u>l'Isthme et le canal de Suez</u>,T.I,(Paris, Hachette ,I90I),pp48-49.

2- Charriere,op.cit.,T.IV,p.527.

العثمانية واسبانيا بسبب الحرب مع الفرس ،وكان يرى أنه من الاحسن أن تعقد هذه الهدنة مع الفرس حتى تستفيد فرنسا في الحرب العثمانية الاسبانية فقال : ((ان السلم بين الفرس والعثمانيين يمكنه اليوم أن يؤثر كثيرا على الاحداث العالمية)) (1) . ويشير هنا الى الصراع الفرنسي الاسباني على الممتلكات البرتغالية ، وكانت فرنسا متحمسة لمشروع قناة السويس التي كان قليج علي ينوي فتحها ،لانها تعلم أنها ستمكن الدولة العثمانية من نقل أسطولها الى البحر الاحمر فالمحيط الهندي ،ومحاربة الاسبان هناك وذلك سيضعفهم كثيرا ،الشيء الذي يسهل العملية على الدولة الفرنسية للاستيلاء على ما كانت تريده .

مما زاد من مخاوف السفير الفرنسي ،هو أن جورجيا* تحالفت في هذ الظرف الخطير مع الفرس ضد الدولة العثمانية ،وسببت لها متاعب كثيرة (2) .

لقد تم السكوت نهائيا على مشروع قناة السويس بعد وفاة قليج علي باشا عام 1587 ،مع العلم أنه تقرر في البداية تأجيله فقط بسبب الحرب. لكن بعد وفاة صاحب المشروع ،تقرر عدم

(1 De Grammont.op.cit.,p.363.

* جورجيا : هي البلاد الواقعة شرق البحر الاسود جنوب القوقاز من أهم موانئها على البحر الاسود ميناء باطوم ،ومن أهم مدنها الداخلية مدينة تفليس.
خضعت منطقة جورجيا خلال القرن السادس عشر لكل من العثمانيين والفرس ،وكان حكامها يناصرون الفرس على حساب العثمانيين أحيانا ، والعثمانيين على حساب الفرس أحيانا أخرى.

(2 F.Charles-Roux,op.cit.,pp.188-189.

تنفيذه نهائيا بدعوى ارتفاع تكاليفه ، والدولة ترى أنها في أشد الحاجة الى الاموال في هذا الوقت. *

---

* تأخر فتح هذه القناة الى غاية القرن التاسع عشر لسببين أساسيين :
الاول ، يتمثل في خطورة تحويل مياه النيل العذبة الى مياه مالحة.
الثاني ، يتمثل في الخطأ الذي وقع فيه العلماء في الحسابات لمدة طويلة والمتمثل في ارتفاع مستوى سطح البحر الاحمر بالنسبة لمستوى سطح البحر الابيض المتوسط ، وهذا سيؤدي الى امكانية ارتفاع مستوى البحر المتوسط وابراغ البحر الاحمر من مياهه أو على الاقل الى تخفيض مستواه ، وهو الخطأ الذي ظل قائما الى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث تمكن دي لسبس من تحقيق هذا المشروع الذي كان سيحققه قليج علي باشا لو توفرت له نفس الظروف ، ولولا تردد السلطان مراد الثالث.

4- مكتبة قليج علي

عرفنا الكثير عن قليج علي العسكري ،والبايلرباي وأخيرا القابودان باشا ،الا أننا نجهل كل شيء عن قليج علي المتعلم أو المثقف • اذ لم تشر المصادر والمراجع الى مستواه التعليمي ، بل لم تتحدث اطلاقا لتقول لنا هل كان متعلما أم لا* ؟ ولذا يمكن لنا في الوقت الحالي أن نطرح هذه الاسئلة : هل كان قليج علي متعلما ؟ وان كان متعلما ،فما مستواه ؟ وهل كان متبحرا في العلم؟ وهل كانت ثقافته عربية ،تركية ،أم ايطالية ؟ وهذه الاسئلة تتبادر الى الذهن عندما نعرف مختلف أطوار حياته •

ان ما أثار هذه الاسئلة هي المكتبة القيمة التي تركها قليج علي بعد وفاته عام 1587 ،ولكن هل امتلاك مكتبة في ذلك العصر دليل كاف على تعلم صاحبها ؟ هل كانت الكتب في ذلك الوقت تقتنى للزينة - كما هو الشأن عند البعض في عصرنا الحالي ؟ - وما دام الجواب على هذه الاسئلة في الوقت الحالي غير متيسر ، فسنكتفي بالحديث على المكتبة •

توجد المكتبة التي تركها قليج علي بعد وفاته ،في المكتبة السليمانية باسطمبول ، وهي تشكل قسما مستقلا بذاته داخل هذه المكتبة الكبيرة ** وقد نقلت اليها عام 1911 بعد أن كانت في المدرسة التي بناها هو عام 1587 (1) •

---

* ذكر دي فونتان ماكسانج بأن قليج علي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ،دون أن يذكر مصدر معلوماته ،لان معاصري قليج علي لم يتحدثوا عن ذلك • انظر:

Defontin-Maxange,op.cit.,p.I95.

** تم جمع عدد يقدر بحوالي 63 مكتبة خاصة داخل المكتبة السليمانية ، وتركت كل واحدة منها بفهرسها مستقلة عن غيرها ، انظر:

Muzaffar Gökman,Istambul kütüphaneleri rehberi, (Istambul,I954),pp.I8-2I.

Cahid Baltacı,op.cit.,pp.279-28I.

يبلغ عدد كتب هذه المكتبة 1070 كتاباً* منها 1035 مخطوطا و 35 كتابا مطبوعا (1) وهي متنوعة منها : العلمية والدينية والادبية وهي الاكثرية ، ويتوزع الباقي بين اللغة والنحو والصرف والتنجيم والهندسة والتاريخ والطب... الخ (2) وتتمثل مواضيع المكتبة وعدد كتبها في الجدول التالي :

1 ـ مصاحف شريفة	22
2 ـ كتب قراءات	12
3 ـ كتب السيرة	144
4 ـ كتب أصول الحديث	5
5 ـ كتب الاحاديث	99
6 ـ كتب أصول الفقه	37
7 ـ كتب الفقه	155
8 ـ كتب الفتاوي	29
9 ـ كتب الفارئض	11
10 ـ كتب العقائد والكلام	69
11 ـ كتب التصوف	63
12 ـ كتب الحكمة والمنطق	43
13 ـ كتب الهيئة والهندسة والحساب	11
14 ـ كتب النجوم والرمل	12
15 ـ كتب المواعظ والمجالس	19
16 ـ كتب الطب	2

* لا نملك معلومات دقيقة عن موضوع تزويد هذه المكتبة بالكتب :هل جمعت هذه الكتب كلها في عهد قليج علي ومن طرفه ، أم ترك وقفية لتسيير هذه المكتبة وتولى هذه المهمة أناس من بعده ، وبالتالي لا يمكن اعتبار هذه الكتب ملكا لقليج علي ، ولكنها ملك لمكتبته.

1) Gökman, op. cit., p. I9.

2) قليج علي باشا كتبخانه سى دفترى ، (اسطمبول ، 1311هـ) ، ص93.

17 ـ كتب الاخـــلاق	5
18 ـ كتب تواريخ طبيعية	5
19 ـ كتب التواريخ البشرية والسير	43
20 ـ كتب الادبيـات	74
21 ـ كتب المعاني والبيان	31
22 ـ كتب الآداب	22
23 ـ كتب النحـو	76
24 ـ كتب الصـرف	26
25 ـ كتب اللغـات	26
26 ـ كتب مجاميـع فنون	23 (1) *

ويتضح من هـذا الجـدول أن أغلبيـة الكتب التي ربمـا كان يملكها قليج علي هـي كتب دينيـة ويبلـغ عـددهـا 646 عنـوانا (2) حيث لا يكاد يخـلو علم من العلـوم الـدينية الاووجـدنا منـه عـددا من الكتـب ، وأهمهـا المصاحـف التي يبلـغ عـددها 22 مصحفـا .

---

1) نفسـه .

* توجـد من بين هـذه الكتب 123 ، باللغة التركية وعدد يقل عن العشرة بالفـارسية والتركية أو بالتركية والعربية أو بالعربية والفارسية ، والباقي مكتـوب بالعربيـة .

2) قليج علي باشا كتبخـانه سى دفترى ، ص93 .

5 - مزاعم قليج علي وولاؤه للدولة العثمانية

قيل الكثير عن مزاج قليج علي وعن صدق اسلامه ،وأشيع عنه أنه لم يكن صادقا في اسلامه طوال المدة التي قضاها في خدمة الدولة العثمانية - وهي مدة تقدر بحوالي ستين سنة - وكان يمارس خلالها شعائر الديانة المسيحية في الخفاء ، ومن أشهر الذين أشاعوا عنه هذا الكلام ،السفير الفرنسي في اسطمبول (صديقه) فرانسوا دي نواي ،وكذلك هايدو الذي نقل عنه معظم من كتب عن قليج علي .

ومما أشيع عن قليج علي كذلك عدم اخلاصه في خدمة الدولة العثمانية ،فقيل انه لما تولى حكم الجزائر ،كان يهدف الى تكوين دولة خاصة به تشمل كل منطقة شمال افريقيا من ليبيا الى المحيط الاطلسي ،وكان سيعمل بعد وضع يده عليها لاستعادة الاندلس وضمها الى هذه الدولة الواسعة الاطراف .

وهناك قضية أخرى ألصقت بحياة قليج علي وهي محاولة البابا بيوس الخامس (1566 - 1572) استمالته للرجوع الى المسيحية حيث وعده مع ملك اسبانيا باعطائه دولة يحكمها بمفرده ،وقد سبق لاسبانيا أن قامت بنفس المحاولة مع خير الدين بربروس .

ويبدو أن هذه التهم كلها باطلة وكان القصد منها الاساءة الى شخصية قليج علي الذي قهر المسيحية والمسيحيين ،أو الطمع في ضمه الى أحضان المسيحية من جديد . وكان ذلك يحز في نفوسهم كثيرا ، فلم يقبل منطقهم أن يكون قاهرهم هذا في البر والبحر من أصل مسيحي . ولما فشلوا في استمالته اليهم ،أطلقوا العنان لالسنتهم وأقلامهم ولفقوا له التهم المختلفة .

وللتأكيد على بطلان هذه التهم نعود الى المصادر لاستنطاقها ونبدأ بالموضوع الاول ،وهو التشكيك في اسلامه .

أ - سبق الحديث عن الظروف التي أسلم فيها قليج علي ، ولا داعي لتكرارها ، وللتأكيد عن صدق اسلامه نقول مايلي :

كانت أمام قليج علي سبل عديدة بعد اسلامه مباشرة للفرار ولم يفعل ، لأنه اقتنع بعد اسلامه أنه أصبح متساويا مع من استعبده في السابق ، وقد يقول قائل : ان الذي منعه من الفرار هو الطمع في الكسب ، لان كسب الرياس من مغانم البحر كان كبيرا ، وهو الشيء الذي يصعب عليه تحقيقه ان عاد الى بلاده في ايطاليا ، ونرد على هذا فنقول : اذا كان هذا حقيقة ، فماذا جناه قليج علي من بقائه مع الدولة العثمانية من الثروة ، ونحن نعلم أنه بعد وفاته تحولت ثروته بكاملها الى أملاك الدولة بحكم عدم وجود ورثة له ، مع العلم أنه كان يزور والديه في ايطاليا من حين لاخر وكان يحسن اليهما (1) ، ولماذا اذن لم يعمل على تحويل هذه الثروة ، أو جزء منها على الاقل الى والديه ؟

ان ما يؤكد صحة اسلام قليج علي هو الدور البارز الذي قام به لانقاذ مسلمي الاندلس ، والدور الخطير الذي قام به في الصراع الاسلامي المسيحي في كافة أنحاء البحر الابيض المتوسط ، وما يؤكد صحة اسلامه كذلك هو عدم احترامه للصور المقدسة عند المسيحيين التي كان قد أخذها من بعض السفن المسيحية وسمح بالتمثيل بها ثم بحرقها . وقد جاء دوره في معركة ليبانت ليزيل كل الشكوك عن صحة اسلامه (ان وجدت فعلا هناك شكوك) ، وما قام به لتشييد الاسطول العثماني المسلم الذي قهر المسيحية ، وأخيرا جاء رفضه للدعوة التي وجهها له البابا بيوس الخامس ليفند كل هذه الاشاعات .

(1 Brantôme, op. cit., T. II, p. 78.

ان كان قليج علي غير صادق في اسلامه ،كيف نفسر اهتمامه ببناء المساجد والمدارس وامتلاك مكتبة تزخر بالكتب الدينية منها 22 مصحفا شريفا ،ولم تذكر المصادر وجود كتاب واحد منها عن المسيحية ،وكان بامكانه أن يقتني على الاقل نسخة واحدة من الانجيل ،يقرأها عندما يختلي لنفسه في بيته ،الا أن المصادر ـ خاصة المسيحية منها ـ لم تشر الى ذلك ،لانه لو وجدت حقا لما سكت عنها الجميع ، فالمسيحيون يذكرونها بفخر واعتزاز لان الرجل بقي طوال هذه المدة على المسيحية ،ويذكرها المسلمون ـ خاصة أعداءه وهم بلا شك كثيرون ـ تشهيرا به وبسمعته • ولكن شيئا من هذا ،لم يحدث• فالرجل اذن بريء مما اتهم به•

يمتاز قليج علي ـ كما ورد في بعض الكتب* ـ بمزاج خاص ،وبعض العادات الغربية ، فهو كثيرا ما ينزوي وحده ويرفض مقابلة الناس،ولا يتحمل سماع أصوات الآخرين ولا رؤيتهم ،وقد أمر المحيطين به باحترام وحدته والتزام الهدوء التام عندما يكون مرتديا لباسا قاتم اللون ،لان ذلك يعني عدم رغبته في التحدث مع الآخرين (1) •

يفسر دي غرامون هذا الانطواء بسبب اصابته بالصلع منذ الصغر ،وقد عقده ذلك خصوصا عندما كان أسيرا في سفن الجزائر ويقدم احتمالا آخر ، وهو تأنيب الضمير بعد أن ارتد عن المسيحية (2) • والاحتمال الاول معقول ، أما الثاني فهو مرفوض

* -De Grammont, Hist. d'Alger sous la domination turque, p.I09.
-Islam Ansiklopedisi, TII.
-Haëdo, Hist. des Rois d'Alger.
-Delphin, (Hist. des Pachas d'Alger), J.A. Avril-Juin, I922, p.223.

I) De Grammont, Hist. d'Alger..., p.I09.

2) Idem.

لأن الشخص الذي صدق أسلامه لا يبقى لديه مجال لتأنيب الضمير ،لانه يقتنع بأن الاسلام دين يتماشى مع فطرته ٠

يمكن أن نقدم احتمالا آخر لانطواء قليج علي هذا ونقول انه مجرد تعب جسماني ،فقد تعب خلال حياته الطويلة ،وانتقل من بيئة الى أخرى تختلف عن الاولى كل الاختلاف : دينا وثقافة وعادات٠٠٠الى جانب المدة التي قضاها كجداف على سفن أسياده المسلمين الذين ألقوا القبض عليه ،يمكن لهذه الامور كلها أن تؤثر على مزاج الشخص فتخلق فيه طبائع مختلفة ،وقد تكون غريبة كما هو الشأن عند قليج علي ٠

ب - أما عن صدق قليج علي في خدمة الدولة العثمانية ،فهذا موضوع لا مجال للنقاش فيه ،لان حياته بعد اسلامه تؤكد نيته الصادقة في خدمة الاسلام أولا ،والدولة العثمانية ثانيا ٠ وأما ما أشيع عنه ،وعن رغبته في الاستقلال عن الدولة العثمانية بشمال افريقيا ،فهي اشاعة روجها الجيش الانكشاري في الجزائر ،ولم يكن قليج علي أول ضحية لمثل هذه الدعاية ، فكان حسن بن خير الدين قد قيّد وأرسل به الى اسطمبول من طرف الجيش الانكشاري بنفس التهمة ،وقد وجد الانكشاريون مساعدة من السفير الفرنسي في اسطمبول في ذلك الوقت٠

ومن المعروف أن الانكشاريين في الجزائر كانوا يناصبون رياس البحر عداوة كبيرة بسبب عدم اشراكهم في الغنائم البحرية الى غاية 1568 ،عندما انهى هذا المشكل محمد بن صالح رايس كما تقدم ذلك ٠ الا أن الخلاف استمر قائما بين الجيش البري والبحري ، وكان قليج علي حذرا جدا من الانكشاريين ،واذا صدقنا رواية هايدو - وهي معقولة جدا - فقليج علي كان لا يثق فيهم ،ولذا

كان قد خرج من قصر الجنينة وسكن في البرج الذي شيده خارج باب الوادي مع حراسة الخاصين ، وكانت سفنه الاربع عشرة محملة بثروته ، متهيأة للاقلاع في كل حين يظهر فيه خطر يهدد حياته (1) .

وكان الحكام السعديون كذلك قد أشاعوا عن قليج علي هذه الاشاعة عندما هددهم عام 1581 بحملة كبيرة ، وكان غرض المنصور السعدي هو اقناع الباب العالي بضرورة صرف نظر قليج علي عن المغرب الاقصى ، لان ذلك في نظره ستكون فيه مضرة للباب العالي نفسه ، لان نجاح قليج علي في القضاء على الدولة السعدية يعني تقوية نفوذه في منطقة شمال افريقيا ، وهذا ما يسمح له بالاستقلال عن اسطمبول البعيدة عنه ، خصوصا وأن هذه الاخيرة كانت مشغولة دوما بحربها مع الدولة الصفوية * ، ومما يؤكد هذا القول هو أن المنصور بعث رسالة شكر للانكشارية بالجزائر بعد أن أمرت اسطمبول قليج علي بالرجوع الى المشرق ، اقتناعا منه بأن الانكشارية كان لها الدور الفعال في انهاء هذه الحملة ، ومما قاله في هذه الرسالة : ((العصابة التي لها من علامة المحبة لهذا الجناب الرفيع ما أشرق شموسها وأقمارها ، والفئة التي أناطت بعرى القاعدة النبوية من ودها وأسباب وصلتها ما فسح أملها وأجل مقدارها ، والجماعة التي أعلمت عزائمها فيما أجال لديها قداح مرضاتنا وأدارها ، والرهط الذي له كلف بالجهاد وولوع ، والجيش الذي له الى اقتناص الخيرات بجوارح الرضا جنوح ونزوع)) (2) .

---

1) Cité par De Grammont, Hist. d'Alger, p. IIO.

* انظر المبحث المتعلق بالمغرب في الفصل الثالث .

2) عبد الله كنون ، رسائل سعدية ، ص ص ، 92 _ 96 .

هناك طرف آخر أشاع مثل هذه الدعاية ضد قليج علي ، وهو الطرف الاسباني ، ولا عجب في ذلك ، فالحرب خدعة ، واذا فعلت ذلك فهي قد تخلق له بعض المشاكل لانه يعتبر عدوها اللدود في المنطقة ، وظهرت هذه الدعاية عن طريق كتابها وعلى رأسهم هايدو والذي سبقت الاشارة اليه ، ونذكر كذلك البابا بيوس الخامس الذي قال لفليب الثاني عندما اقنعه بضرورة اغراء قليج علي بامارة يحكمها للعودة الى المسيحية : ((فهي محاولة ان لم تنجح فعلى الاقل تثير شكوكا لدى السلطان)) (1) .

والسؤال الذي نطرحه في هذا الصدد هو : هل صدقت اسطمبول هذه الاشاعات ؟ الجواب ، لا ، لان الدلائل تؤكد ذلك . فالملاحظ أن قليج علي ترقى في منصب الوظيفة عدة مرات ، ولم يحدث العكس ، ولو خامرها أدنى شك في صدق اخلاصه لما ترددت في عزله أو قتله ، وقد حدث أن عزلت أو قتلت* عددا لا يحصى من الحكام السامين والوزراء والقادة الى غير ذلك ، فلماذا لم تفعل ذلك مع قليج علي ؟ وهل كان قتله صعبا عليها أكثر من قتل عدد كبير من الامراء أنفسهم** .

تثبت بعض الوثائق العثمانية أن الباب العالي لم تنطل عليه حيلة أعدائه فيصدق ما أشيع من الاكاذيب ضد قليج علي ، فرسالة السلطان التي يأمره فيها بانهاء الحملة ضد المغرب تؤكد ذلك*** كما أن الوثائق والمراجع لم تشر ولو اشارة

---

1) Cité par DE Thou,op.cit.,T.VI,p.254.

* من معاصري قليج علي الذين قتلوا أو عزلوا نذكر :
- محمد صقللى ، الصدر الاعظم ، قتل عام 1579 .
- سنان باشا ، القائد الكبير ، عزل عدة مرات .

** جرت العادة في هذا الوقت ان السلطان يقوم بقتل جميع اخوته فور اعتلائه العرش ، حفاظا على وحدة الدولة .

*** انظر ، ص ص 174 ـ 175 من الفصل الثالث .

بسيطـة الى تشكيـك السلطـان في اخـلاص قليج علي الى آخـر يوم مـن حيـاتـه • فقـد كـان مقـربـا مـن كـلا السلطانين اللـذين عاصرهمـا* (سليم الثاني** ومراد الثالث***) وكلفاه بمهمات خطـيرة •

---

* يقول هـامير ، عند زواج عائشة بنت مراد الثالث بالوزير ابراهيم باشا عام 1586 ، كان قليج علي هو (وكيل العروس Paranymphe) فقـدم لهـا هـدية قدرت بخمسين ألف دوكة ، وغطى جميع المصاريف التي انفقت على الحلويات • وفي يوم الزفاف ، ألبس السلطان قليج علي قفطانا شرفيـا بهـذه المنـاسبـة • Hammer, T.7, p.I73.

** سليم الثاني ، ولـد يوم 6 رجب سنة 930هـ /10 ماي 1524م وهو ابـن روكيـلان الروسية ، تولى الملك بعد وفاة أبيه سليمان القانوني •

لم يكن سليم الثاني متصفا بما يؤهلـه للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عـن اضافة شيء جديد اليها ، ولولا وجود الصدر الاعظم محمد صقللى المدرب على أعمـال الحـرب والسياسة ، للحـق الدولة الفشل ، لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مـرة واحدة ، فتم الصلح بينها وبين النمسا بمعاهدة تاريخها 17 فيفري 1568م من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بـلاد المجـر ودفعهـا الجزيـة السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان الى الباب العالي •

في عهده ثارت اليمن من جديد فأرسل محمد صقللى عثمان باشا في حملة كبيرة قضت على الثورة التي تزعمها الشريف مطهر بن شرف الدين يحي • وفي عهده كذلك فتح قبرص عام 1570 ، ووقعت معركة ليبانت الشهيرة •

توفي سليم الثاني يوم 27 شعبان 982هـ/12 دسمبر 1574م وعمـره اثنين وخمسين سنة •

اشتهر باكثاره لشرب الخمر حتى وصف بالسكير • انظر ، محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ص 253 ـ 258 •

*** مراد الثالث ، ولد بالقسطنطينية في 5 جمادي الاولى سنة 953هـ الموافق ليوم 4 جويلية 1546 ، كانت فاتحـة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق ، وأفرط فيه الجنود ، فثار الانكشارية لذلك واضطروه لاباحته لهم بمقدار لا يترتب عنه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية •

أمضى معاهدات عديدة ، وجدد أخرى ، منها معاهدة مع بولونيا لمدة ثمان سنوات ابتداء من جانفي 1577 ، معاهدة مع فرنسا جدد لها فيها الامتيازات مع زيادة فيها ، كذلك فعل مع البندقية ، فمما زاده مثلا على المعاهدة العثمانيـة الفرنسية التي أمضيت في السابق ، أن السفير الفرنسي يكون مقدما على كافـة سفراء الدول الاخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية ، وفي عهد هذا السلطان أعطيت بعض الامتيازات لانجلترا في عهد ازابلا •

=

جـ ـ أما الموضوع الثالث ، وهو مكمل للموضوعين السابقين ، فيتعلق بمحاولة البابا بيوس الخامس* اغراء قليج علي بالعودة الى أحضان المسيحية . فابتداء من عام 1572 ، وعن طريق الكاردنال ألكسندريني Alexandrin، حاول البابا بيوس الخامس اقناع فليب الثاني لبحث طريقة اغراء قليج علي بمنصب حكم محترم في اسبانيا أو صقلية ، مقابل التخلي عن الدولة العثمانية والاسلام (1) .

ويقول بروديل : ان محاولة اسبانيا لكسب قليج علي الى صفها تعود الى سنة 1569 (2) ، وهذا معقول جدا لانها السنة التي كان قليج علي يقدم فيها المساعدة للاندلسيين ، وكذلك السنة التي استولى فيها على تونس ، وكانت خائفة أن يستولي على حلق الوادي . وهذه الطريقة سبق ولأن استعملتها اسبانيا مع أعدائها ، فكانت قد أغرت أندري دوريا بالتخلي عن فرنسا لينضم الى صفوفها ، ونجحت في ذلك ، وتخلى عن فرنسا في وقت كانت في أشد الحاجة الى خدماته . وحاولت نفس الشيء

= في عهد مراد الثالث تم امضاء معاهدة سلم مع الاسبان عام 1581 لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

تجددت الحرب العثمانية الفارسية في عهد مراد الثالث ، وكان ذلك عام 1577 ، وفي عهده كذلك قتل الصدر الاعظم محمد صقللي عام 1579م.

توفي مراد الثالث مساء 8 جمادي الاولى سنة 1003هـ الموافق ليوم 19 جانفي 1595م وله من العمر خمسون سنة .

* كان بيوس الخامس هو القائد الروحي لمعركة ليبانت ، وهو الذي حضر لها ما يلزم من القوات بطلبه للدول الاوربية المشاركة في واجب مقدس على المسيحية جمعاء . وقد عمل كل ما في وسعه من أجل جمع شمل المسيحية للمشاركة في معركة كان يرى أنها فاصلة في صراع البحر الابيض المتوسط بين المسلمين والمسيحيين .

1) De Grammont, Hist. d'Alger, p.IIO.

2) Braudel, La Méditerranée, T.II, p.364.

مع خير الدين بربروس ولم تفلح (1) وأرادت أن تكرر نفس العملية مع قليج علي الا أنه لم يستجب لطلباتها .

هذا هو قليج علي الذي يعتبر آخر بايلربايات الجزائر، وبوفاته عينت اسطمبول في الجزائر حكاما لمدة زمنية تقدر بثلاث سنوات باسم الباشا ، وهو كذلك آخر أكبر الاميرالات الذين عرفهم القرن السادس عشر في البحر الابيض المتوسط، وأخيرا نقول انه بوفاة هذا بال السعديين في المغرب الاقصى الى الابد ، وتأكدوا أن الخطر العثماني على دولتهم زال نهائيا لانه كان - في نظرهم - يتمثل في شخص قليج علي باشا .

---

1) جون وولف ، المرجع السابق ، ص 55 . انظر كذلك :
Pierre MESNARD, (Chrles -Quint et les Barbaresques) in, Bulletin Hispanique, Avril-Septembre, 1959, publier par la faculté des lettresde Bordeaux. (Bordeaux, Féret et fils), pp.231-232.

الخاتمــــــــة

ختاما لهذا البحث ، نشير الى أهم النتائج التي توصلنا الى تحقيقها ، ونذكرها بشكل مركز ومختصر وهي كالآتي :

يتضح من خلال هذا البحث أن الصراع العنيف الذي عرفه القرن السادس عشر بين الدولة العثمانية المسلمة والدولة الاسبانية المسيحية يعتبر حلقة من حلقات الحروب الصليبية ، وهذا على أساس أن معظم المعارك الكبرى التي جرت بين الطرفين كان يباركها البابا في روما ، أو كانت بدعوة منه •

وفي خضم الصراع العنيف الذي وقع بين الطرفين ، وقع أسرى كثيرون لدى الجانبين ، وتأكد لدينا أن المسيحيين كانوا يجبرون المسلمين على اعتناق المسيحية ، ولتأكيد ذلك يكفي ما حدث لمسلمي الاندلس • أما المسلمون ، فهم لا يفعلون ذلك لأن الاسلام واضح والقرآن الكريم يقول : ((لا اكراه في الدين)) ، وبالتالي نجد أن قليج علي يكون قد اعتنق الاسلام عن طواعية واختيار منه ، بخلاف ما يدعيه بعض الكتاب المسيحيين ، خاصة المعاصرين له •

بالنسبة للفترة السابقة لاسلام قليج علي ، لايزال فيها بعض الغموض بسبب قلة المصادر والمراجع التي تحدثت عنه ، وبالتالي يمكن أن نعتبرة هذه المرحلة من حياته ناقصة ، تحتاج الي البحث الاعمق فقد توجد بعض المصادر التي تحدثت عنه ، ولم يسعفنا الحظ بالاطلاع عليها في الوقت الحالي •

أما عن الفترة السابقة لتولية قليج علي حكم الجزائر ، فما يمكن أن يشار اليه فيها ، هو تنقله في مختلف المناصب بين تلمسان والاسكندرية وليبيا • ولكن أهم من هذا كله ، هو بروزه في هذه الفترة كرجل بحري قوي خبير بشؤون البحر ، الشيء الذي سمح له بأن تكون له مواقف وأدوار أساسية في كل من معركة مستغانم

عام 1558 ومعركة جربة عام 1560 وأخيرا حصار مالطة الذي كان له فيه رأي مخالف لرأي اسطمبول وكذلك لرأي قائد الحملة ، وقد رأينا أن النتيجة كانت فشل الحصار .

اتهم قليج علي بأنه ورث أموال درغوث رايس في طرابلس ، والحقيقة كما عرفناها أنه لم يرث عنه شيئا ـ على الاقل من الثروة المنقولة ـ وما تركه درغوث ، نقل الى اسطمبول كما ثبت ذلك من بعض الوثائق العثمانية .

في الجزائر ، كانت اقامة قليج علي باشا قصيرة ـ حوالي ثلاث سنوات ونصف ـ ولذا لم نتمكن من تحديد علاقته فيها بالجيش الانكشاري ، لان المصادر وعلى رأسها هايدو ، اكتفى باشارة بسيطة الى ذلك ، ولمح بقوله ان قليج علي لم يكن يثق في الانكشارية ، لذا سكن في القصر الذي بناه في باب الوادي . والمعروف أن الجيش الانكشاري لم تكن علاقته بالبيلربايات حسنة بسبب الخلاف القائم بينه وبين رياس البحر على الغنائم البحرية ، لان رياس البحر كانوا يمانعون من مشاركة الانكشارية في الجهاد البحري الى غاية 1568 عندما سمح بذلك محمد بن صالح رايس ، ومع ذلك فان البايلربايات لم يثقوا في الانكشارية ، وكان حرص قليج علي في محله ، ورأينا الدور المشبوه الذي لعبه الجيش الانكشاري عام 1581 لايقاف الحملة التي قادها قليج علي ضد المغرب الاقصى ، ورأينا الرسالة التي وجهها أحمد المنصور للجيش الانكشاري بالجزائر ، يشكره على ما قام به لايقاف هذه الحملة .

قدم قليج علي مساعدات عظيمة لمسلمي الاندلس ، ولم يبخل بما كان قادرا على القيام به ، وعلى الرغم من التهم الموجهة له بأنه استغل الاحداث في الاندلس لتوسيع رقعة ايالته بالاستيلاء على تونس ، رأينا في الحقيقة أنه لم يوسع ايالته ، وانما وسع أراضي الدولة العثمانية ، وأن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعم للثورة في الاندلس ، لان قليج علي في الحقيقة ما هو الا منفذ للاوامر التي تصله من اسطمبول ، وقد رأينا المراسلات العديدة التي وصلته من اسطمبول ،

وكلها تطلب من قليج علي أن يجعل مساعدة مسلمي الاندلس في الدرجة الثانية ،أي بعد فتح قبرص،وبعد القضاء على الخطر الاسباني في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط.

رأينا كذلك أن التأجيل المشار اليه سابقا (أي تأجيل مساعدة الاندلسيين) كانت له نتيجتان وخيمتان على المسلمين :
- الاولى : أن ذلك أعطى فرصة لفليب الثاني للقضاء على الثورة بواسطة أخيه دون جوان النمساوي .
- الثانية : تحطيم الاسطول في ليبانت ،الشيء الذي تعذر معه بعد ذلك تقديم المساعدة المرجوة من الاندلسيين :

بعد معركة ليبانت ،تمكن قليج علي من اعادة بناء الاسطول العثماني ، وأدخل عليه تعديلات أساسية ،أهمها : تسليح الجيش بالاسلحة النارية ،وهو شيء جديد في الاسطول العثماني ،كما أدخل عليه كذلك نموذجا جديدا في بناء السفن ،وهو النموذج الجزائري الذي يمتاز بمواصفات أساسية جعلته يتفوق على أعدائه الاوربيين . أما العنصر الثالث الذي أدخله قليج علي في الاسطول العثماني ، فهو السفن الكبيرة التي تستعمل لتزويد الاسطول بحاجاته وهو في عرض البحر ،وهي عبارة عن خزانات عائمة ، وكان لهذه السفن في الاسطول الاسباني الدور الكبير في انتصار المسيحيين في معركة ليبانت.

اذن نلاحظ بأن الاسطول العثماني بعد عام 1571 ،أي في عهد قليج علي باشا ، طبع بطابع جزائري من حيث بناء السفن ،وكذلك طبع بعناصر أخرى جديدة ، يمكن القول معها أنه أصبح أسطول قليج علي ،أي أسطولا يمتاز بصفات اختارها قليج علي شخصيا .

في عام 1574 ،استعادت القوات العثمانية تونس بعد أن أخذها دون جوان النمساوي عام 1573 ،وقام قليج علي كما رأينا بدور عظيم سواء في قيادة الاسطول ،أو في مساهمته في العمليات البحرية التي

أخذت على اثرها تونس،لتصبح منذ ذلك التاريخ ولاية عثمانية .

ان أهم الحملات البحرية التي قام بها قليج علي ،والتي أسالت الكثير من الحبر عن سببها وسبب عدم اتمامها ، هي الحملة التي قادها ضد المغرب عام 1581، وتضاربت الآراء حولها . فالسعديون حمّلوا قليج علي مسؤولية خروج هذه الحملة ،واتهموه بأنه فعل ذلك لتحقيق أطماع شخصية . في حين رأينا الوثائق العثمانية تثبت عكس ذلك تماما . ولذا تأكد لدينا أمر أساسي هو أن الدعاية السعدية لم تنطل على السلطان العثماني مراد الثالث ،وقد ظهر ذلك بوضوح في الرسالة التي وجهها بعد ذلك لقليج علي باشا . ولكن السؤال يبقى مطروحا وهو : لماذا صرفت الدولة العثمانية نظرها عن المغرب الاقصى بعد وفاة قليج علي ؟ لقد رأينا أن هناك أسباب أخرى عديدة ،منها الحرب العثمانية الصفوية التي عطلت مشاريع عثمانية عديدة ، ولكن هل هناك أسباب أخرى كغياب محرك أساسي ،مثلا كقليج علي ؟ هذا السؤال يبقى مطروحا ولعله يجد الاجابة عنه في أبحاث أخرى ان شاء الله .

تحت عنوان ،وفاء قليج علي للدولة العثمانية ،توصلنا الى نتيجة أنه كان وفيا للدولة العثمانية ،وكان حريصا على خدمة الاسلام من خلال خدمته لهذه الدولة التي احتضنته بين صفوفها ،وأعطت له فرصة الارتقاء في السلم الوظيفي الى أن بلغ درجة القابودان باشا . ومن خلال منجزاته اتضح بالفعل أنه كان مسلما صادقا وذلك من خلال عدد المساجد التي شيدها ،وكذلك المكتبة القيمة الغنية بالكتب الدينية التي كان يمتلكها ،وهي تشهد الى يومنا هذا على ما ذهبنا اليه .

وأخيرا نشير الى مشروعه لفتح قناة تربط بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط،وهذا المشروع يبين مدى سعة أفقه واطلاعه على مشاكل عصره ،وما انجرّ من الخسائر التجارية بسبب تحويل الطريق التجاري بين أوربا والبلاد الشرقية الى رأس الرجاء الصالح .

وكذلك لاحظ أن الخطر البرتغالي والاسباني في مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي ،لا يصده الا فتح قناة بين البحرين تسمح للاسطول العثماني الموجود في البحر الابيض المتوسط بالانضمام الى الاسطول الموجود في منطقة السويس عندما يظهر خطر يهدد أمن الدولة هناك • ورأينا أن هناك ظروف دولية حالت دون تحقيق هذا المشروع ،أهمها الحرب الصفوية العثمانية التي صرفت أنظار السلطان عنه لما يتطلبه من أموال كبيرة ،والسلطان كان يرى أن هناك أولويات أخرى،فتم تأجيل المشروع الى وقت غير محدد •

هذا هو قليج علي الذي عرفته من خلال هذا البحث، ومن خلال ما تمكنت من الرجوع اليه من المصادر والمراجع حول هذا الموضوع•

والله ولي التوفيق •

مـدخـل الى المـلاحـق

تتكون مـلاحق هذا البحث من وثائق رسمية عثمانية توجد نسخهـا الاصلية في مقر الارشيف العثماني باسطمبول ،ما عدا رسالة واحدة موجهـة من أحمد المنصور الى قليج علي فقد نشرها ~~ابن تاويت~~ عبد الله كنون في كتابه الذي يحمل عنوان "رسائل سعدية" ،وتوجد صور فوتوغرافية لهذه الوثائق العثمانيـة في مركز الدراسات التاريخية بالجزائر ،وقام بترجمتها الى العربية الاستاذ محمد داوود التميمي ،وهو من الاردن ،وقد اعتمدنا في هذا البحث علـى هذه الوثائق في ترجمتها العربيـة •

وهذه الوثـائق مرقمة من واحد الى عشرة ومرتبة حسب تاريخ صدورها على الشكل التالـي :

1 ـ رسالة من السلطان الى قليج علي تتعلق بقبرص•

2 ـ رسالة من السلطان الى مسلمي الاندلس•

3 ـ رسالة الى حاكم الجزائر تتعلق بالاسطول العثماني •

4 ـ رسالة الى برتو باشا •

5 ـ رسالة الى برتو باشا تتعلق بالاسطول العثماني •

6 ـ رسالة الى قليج علي حول موضوع الاندلس•

7 ـ رسالة الى قليج علي تتعلق بوضعية الاسطول بعد معركة ليبانت •

8 ـ رسالة الى حكام الجزائر تتعلق باعلامهم بتعيين قليج علي على رأس الاسطول العثماني بعد معركة ليبانت •

9 ـ رسالة الى حاكم الجزائر تتعلق بفتح قلعة حلق الوادي عام 1574•

10 ـ رسالة من أحمد المنصور الى قليج علي •

[illegible]

Tasnifin cinsi	[illegible]	9
Numarası	[illegible]	

ملحق رقم (1)

أرشيف رئاسة الوزراء ،استطمبول ،مهمة دفتري رقم 9 ،ص77 ،حكم رقم 204 ، بتاريخ 23شوال 977هـ.

أمر الى علي باشا أمير أمراء جزائر الغرب*

وصل الى بابنا المعلا خطابك الذي علمنا من خلاله بأن الامان يعم ولايتك وأن الرعايا والبرايا في أحسن حال وعلى ما يرام وأنك قمت بتعمير الاماكن الواجب ترميمها وأن طائفة لوطران قد حشدت حشودها وقامت بالاغارة ونهب الاجزاء المجاورة لها من اسبانيا ،وتمكنت من ضم تلك الاجزاء وأن الهلع قد حل بالكفار أصابهم الدمار منذ بدأ أهل الاسلام في الاندلس برفع هاماتهم وتمكنهم من صد هجماتهم والانتصار عليهم وأنك عاونتهم عليهم بارسال العتاد والرجال وعلمنا بأن الاغارة على ولايات الكفار أصابهم الدمار غير منقطعة.

وقد عرض بالتفصيل على سرير دولتنا كل ما ذكرته ،وأحاط علمي الشريف وشمل كل ذلك ولقد كان بنيتي ارسال أسطولي الهمايوني لتلك الاطراف لاعانة ومظاهرة أهل الاسلام ، ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة نقضوا العهد وبدأوا بالتعدي على التجار وأهل الاسلام المسافرين بحرا قاصدين طواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والاستناد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه وكذلك بالاستمداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم (وسلامه) أجمعين فقد استقرت نيتي الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة السالفة الذكر في الربيع الاخير القادم ،ونضرع الى عتبة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وأن نبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها شعائر الشرع الشريف ،وحتى يأمن الزوار والتجار

ويسلمون في غدوهم ورواحهم وينصرفون للدعاء بدوام وثبات ومجد ورفعة الـدولـة •

وبما أوتيت من قوة أسواء كان ذلك بارسا لي الجند أو بارسا ل العتاد أمرت: عليك بتنفيذ ما جاء في هذا الامرحال وصوله ،وأن تعاون وتظاهر أهل الاسلام المذكورين بكل ما يتيسر تقديمه لهم وأن الغفلة عن الكفـــار أصابهم الدمار غيرجائزة فلتكن على بصيرة من الامر ولتظهر أنواع اقدامك وأصناف اهتمامك في سبيل الامور المتعلقة بالدين المبين ودولتي الابديـة الكرواتية ،ولا تتوانى في اعلامنا بأحوال وأوضاع تلك الديار •

---

*كانت كلمة "جزائرغرب" تطلق على ايالة الجزائر تميزا لها على جزائر شرق وهي جزر بحر ايجـــه •

[illegible]

ملحق رقم (2)
أرشيف رئاسة الوزراء، اسطمبول، مهمة دفتري رقم 9، ص89، حكم رقم 231، بتاريخ 24 شوال 977هـ.

حكم الى أهالي الاندلس

وصل الى آستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم الدمار وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من تحـــدث العربية، وأنهم يتعرضون لنسائكم، ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي عليكم. وتعلمون أنه يوجد حاليا لديكم عشرون ألف رجل مسلح كما أن هناك مائة ألف رجل قادر على حمل السلاح، وعلمنا باستلامكم مقدارا من السلاح من الجزائر وأن ذلك ربط على قلوبكم وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر فالحمد لله على نصر أهل الاسلام، ويكتب لهم الفوز الدائم على الكفار جعل الضـــلالـــة لهـــم شعـــارا.

وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في عرض حالكم من تحريرات وتقريرات علــى سرير سعادتنا، وأحاط علمي الشريف الملوكي وشمل كل ما يتعلق بأحوالكــم وأخباركم وأن أنظاري منصرفة دائما نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة مـــن ممالكي المحروسة والتي كانت على العهد والامان منذ زمان أجدادي العظام أنار الله براهينهم، الا أنهم نقضوا تلك العهود، وأخذوا بالتعدي على التجار وأهل الاسلام والمسافرين بحرا لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والاستناد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجـــودات صلوات الله عليه وسلامه، وكذلك بالاستعداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين فقد استقرت نيتي الملوكية على فتـــح وتسخير الجزيرة المشار اليها في الربيع الاخير القادم، ونضرع الى عتبة حضرة الحق جل وعـــلا أن ييســـر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها شعائر الشرع

الشريف وحتى يأمن التجار ويسلموا في غدوهم ورواحهم وينصرفوا للدعاء وثبات ومجد رفعة الدولة ، وبما أن الوضع على هذا المنوال ، فان ارسال الاسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر ريثما يتم ايصال المراكب للعساكر المنصورة للجزيرة المذكورة وسيتم ذلك اثر انهاء الاسطول لمهمته بعناية الحق وقد أرسل أمري الهمايوني المؤكد الى أمير أمراء الجزائر الذي تتجه أنظاره وأفئدته نحوكم لارسال النجدة والمعونة لكم اما بارسال العساكر المظفرة أو بارسال العدة والعتاد ، وبموجب أمري الشريف فان أمير الامراء المشار اليه سيكون خير معين وظهير لكم .

كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الاسلامية المتأصلة في جبليتكم عدم التراخي عن اظهار غيرتكم على الدين المتين فلتظهروا أنواع اقدامكم وأصناف اهتمامكم في الحرب والقتال والجدال ضد الكفار الاذلال والمأمول ألا يضن علماء وصلحاء وسائر أهل الاسلام في تلك الديار بالدعاء ليل نهار بتيسير الفتح والنصر للغزوة المظفرة ، ولا تتوانوا عن اعلامنا باستمرار عن أحوال وأوضاع تلك الديار .

[illegible]

ملحق رقم (3)

أرشيف رئاسة الوزراء، استمبول ، مهمة دفتري رقم 14 ، ص423 ،حكم رقم 603، بتاريخ 22 جماد الثانية 978هـ.

حكم الى أمير أمراء جزائر الغرب

لقد صدر أمرنا باعداد أسطول همايوني عظيم في ربيع هذه السنة المباركة وذلك بمشيئة الله الاعز ، وقد عقدنا نيتنا الهمايونية على تجهيز وارسال 150 قطعة الى خليج البندقية و 150 أخرى الى حلق الوادي (؟) لذا أمرت:

حال وصوله (الامر) عليك بالتنبيه والتأكيد على رؤساء السفن والريا س واستمالتهم للقيا م بهذه المهمة ، كي يكون كل واحد منهم على أهبة الاستعداد بما في حوزته من سفن وقاليتات ، وكي يتمكنوا من ملاقاة أسطولي الهمايوني حال وصولـه في الموعد المحدد حتى يبذلوا قدراتهم على الوجه المناسب في سبيل كافة الامور المتعلقة بالدين المبين ودولتي الابدية المقرونة بعزتي. وعليك باعلامنا عن عدد القادرغات والقاليتات والفرقاتات التي بحوزتك مع غيرها من الموجود في تلك الاطراف وكذلك عما يمكن جمعه من السفن حتى ذلك الموعد (الربيع القادم) وكم عدد المدافع القادرة على ضرب القلاع ، وهل توجد قذائف وبارود ، ومنا مقدار ذلك فابعث الى سدة سعادتنا عارضا بالشرح والتفصيـل عن أجناس ومقدار المدافع والقذائف والبارود وسائر العدة والعتاد الموجـود لديكـم .

[illegible]

Tasnifin cinsi	Mühimme 114
Numarası	40

ملحق رقم (4)

أرشيف رئاسة الوزراء ، اسطمبول ، مهمة دفتري رقم 10 ، ص 12- 13 ، حكم رقم 14 بتاريخ 2 محرم 979هـ.

حكم الى حضرة پرتو باشا

ورد الى سدة سعادتنا خطابك الذي تعلم فيه عن وصولك الى اغريبوز في غرة محرم الحرام وأنه قد تم دهن السفن واعداد البشماط (1) والجدافين خلال ستة أو سبعة أيام وأن أمير أمراء جزائر الغرب علي - دام اقباله - قد حضر لملاقاتكم على رأس ستة باستردات (2) وقادرغة واحدة واحدى عشر قاليته في اليوم السادس من الشهر المذكور، وعلمنا أيضا بارسالك للحاجي مراد دام عزه مع قطعتين من القادرغات الى أستانة سعادتنا كما علمنا بحضور أمير أمراء طرابلس الغرب جعفر دام اقباله لملاقاتك مع المشار اليه (علي باشا) وبصحبته قادرغة وقاليته وأنه بموجب أمري الشريف قد تم ابحار الاسطول في اليوم التاسع من الشهر المذكور من ميناء أغريبوز باتجاه أسطول الكفار المنحوس ، بقصد الاغارة عليه والحاق الضرر والخسارة به .

كذلك فقد وصل الى عتبتنا العليا خطاب المشار اليه علي - دام اقباله - الذي يعلم فيه عن ملاقاته لك كما علمنا من خطابه بأن مسلمي الاندلس لم يتوقفوا عن الحرب والجدال مع زمرة المشركين حتى الآن الا أن سكان السواحل منهم قد طلبوا الامان خشية عاقبة المجاعة ، وحيث أنهم أصبحوا منهكي القوى على حين أن قلة سكان الجبال منهم لا يزالون على الحرب والقتال كما أعرب المشار اليه بأن أهالي تونس والجزائر هم حاليا بعناية الله بأمن وأمان وأنهم بكمال الاستراحة والاطمئنان وبما أن الوضع على هذا النحو ، ونظرا لانضمام المشار اليه الى أسطولي الهمايوني فان العدو الحسود اللدود سيحاول اغتنام فرصة خلو تلك الجوانب وان احتمال مداهمة سفن ملك اسبانيا للجزائر وتونس والحاق الضرر والخسارة بهما سيصبح في حكم المؤكد ، وبناء عليه فان حماية تلك الاطراف أصبحت مهمة وواجبة وأمرت :

حال وصوله (الامر) عليكم بكمال البصيرة والانتباه وأن أمري الشريف الصادر بشأن الاغارة على أسطول وجزر الكفرة وتدميرها لا يزال مقرا كما كان عليه وبعد التوكل على عناية حضرته ، فلتظهروا جلادتكم وشجاعتكم بموجب شهامتكم المتأصلة في أنفسكم ولترفعوا راية الجهاد عاليا مع العساكر المنصورة بشكل مرتب ومكمل ولتواجهوا العدو بحسن التدبير وبمقتضى حكمي الجليل القدر ، فليكن جدكم وسعيكم في سبيل الحاق الضرر والخسارة بكافة مواقع وجزر العدو الكافر أصابه الدمار وجعل مقره النار ، ولتبذلوا قدراتكم على الوجه الذي يقتضيه الوضع في سبيل كافة الامور لصون عرض وناموس السلطنة ولتكونوا عينا ساهرة وأذنا صاغية تجاه الجزائر وتونس وحال سماع أي خبر مؤكد عن مهاجمة سفن الاسبان لتلك الاطراف بقصد الضرر والخسارة فلا تتوانى عن ارسال أمير أمراء الكرام علي - دام اقباله - على جناح السرعة الى هناك ، واذا اقتضى الامر معاونته فلتتشاوروا معا ولتقرروا ذلك اما بارسال قادرغات أو بأي وسيلة أخرى ، ولتكونوا على أحسن اتحاد واتفاق ولتظهرا معا اقدامكما واهتمامكما في سبيل دفع الضرر والفساد عن تلك الجهات بالشكل الذي تراه مناسبا ، كذلك فلا تتوانى عن تزويد آستانتنا بأخبارك ، وابعث على التوالي بالشرح والتفصيل بكل ما يصلك من الاخبار الصحيحة عن الكفار أصابهم الدمار وعن القصد والسبب في فكرهم الفاسد وخيالهم الكاسد والى أين تتجه أنظارهم وتحركاتهم .

---

1) البشماط ، خبز يابس يصنع خصيصا للحملات البحرية نظرا لقابليته للبقاء مدة طويلة دون أن يصاب بالفساد .

2) باسترده ، نوع من أنواع السفن .

[illegible]

Tasnifin cinsi	[illegible]
Numarası	17

ملحق رقم (5)

أ٠ر٠و٠ ،اسطمبول ،مهمة دفتري رقم 10 ،ص17 ،حكم رقم 19 ،
بتاريخ 12 محرم 979هـ٠

حكم الى الوزير برتو باشا

حال سماع الكفار ـ أصابهم الدمار ـ بخبر توجه أسطولي الهمايوني الى جوانب كورفوس ،فان احتمال هجوم سفن اللعناء الاسبان ـ هزمهم الله ـ على جزائر الغرب وتونس يصبح أمرا مؤكدا ،لذا فان حفظ وحراسة تلك الاطراف غدا من أهم الامور ،ولقد سبق ارسال حكمي الهمايوني بشأن التعاون لدفع مضرة الاعداء والبقاء عينا ساهرة وأذنا واعية تجاه تلك الاطراف وأن ذلك الامر الشريف لا يزال مقرا كما كان عليه كذلك فقد أرسل حكمي الشريف بهذا الخصوص الى علي ـ دام اقباله ـ أمير أمراء جزائر الغرب وفي حال اعتداء الكفار ـ أصابهم الدمار ـ على ولايتي تونس والجزائر فعليكما بالسعي البليغ لدفع مضرة وفساد الاعداء بأي شكل كان كما جاء في حكمي الشريف السابق الذكر وأمرت :

حال وصول الحكم ، أن تكونوا على بصيرة وانتباه لانه أصبح في حكم المقرر من جانب عديم الدين اللعين محاولة اغتنام فرصة خلو ذلك الجانب لزج سفنه والحاق الضرر والخسائر بتلك الاطراف فعليك بالتشاور بالامر مع القابودان المشار اليه علي ـ دام اقباله ـ ولتظهروا اقدامكم واهتمامكم بالشكل الذي تراه مناسبا لدفع ورفع مضرة العدو اللئيم عن تلك الجوانب ،ولتعلمنا عن اليوم والطريقة التي وصلتك فيها هذا الحكم ٠

وفيما اذا اقتضى الامر فلتدع جانبك مائة وعشرين (120) سفينة عدا سفن (الرياس الاحرار) ولترسل ما تبقى الى الجزائر مع القابودان ،أما اذا اتحد الاسبان مع البندقانيين ،فلا تحل الاسطول ٠

٨٤ - [illegible]

[illegible]

ملحق رقم (6)

أ. ر. و. ، اسطمبول ، مهمة دفتري رقم 14 ، ص 200 ، حكم رقم 284 ، بتاريخ 3 صفر 979 هـ .

حكم الى أمير أمراء جزائر الغرب

أرسل أعيان مندجل (الاندلس) بخطاب الى سدة سعادتنا معربين فيه عن (ـــــ) والان ينبغي أن تظل عينا ساهرة وأذنا صاغية تجاه ذلك الجانب حيث أن معاونتهم ومظاهرتهم بما يمكن تقديمه وحسبما يقتضيه الوضع أصبح أمرا هاما لذا أمرت :

حال وصوله (الحكم) عليك بالاهتمام بهذا الموضوع ، وفيما اذا اتحد الاسبان واتفقوا مع البنادقة وتعسر انفصالك عن أسطولي الهمايوني فعليك بالتشاور بالامر مع وزيري برتو باشا أدام الله تعالى اجلاله لبذل قدراتك في الخدمات اللازمة في كلا الحالتين وحسبما تقتضيه الظروف ، أما اذا لم يكن خطر من أسطول الكفار أصابهم الدمار وتوقعتم محاولات استيلاء الكفار والحاقهم الضرر بتلك الديار (الجزائر) فعليك بعد التشاور مع المشار اليه بالتوجه الى هناك بما في حوزتك من سفن اللوند (الرياس الاحرار) وفيما اذا اقتضى الامر يمكنك اصطحاب قبوداني دام اقباله أيضا .

وعليك ببذل أنواع سعيك واقدامك في سبيل دفع ورفع ضرر وفساد الاعداء عن المسلمين وعليك أيضا القيام بما تقتضيه المصلحة بتمام البصيرة والانتباه آخذا بمشورة المشار اليه ، والمأمول منك هو بذل قدراتك واظهار جلادتك وشهامتك المتأصلة في ذاتك سواء كنت تؤدي خدماتك في أسطولي الهمايوني أو في العمل على دفع الاذى عن المسلمين في تلك الديار ولا تتوانى عن اعلامنا بأوضاع الجزائر وبما أقدمت عليه وعليك بتتبع أفكار وتحركات الكفار وابعث لنا بكل ما يردك من الاخبار الموثوقة .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

... ٩٧٩

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

... ٩٧٩

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

Tasnifin cinsi	Mühimme / 16
Numarası	62

ملحق رقم (7)

أ . ز . و . ،اسطمبول ،مهمة دفتري رقم 16، ص62،حكم رقم 129 بتاريخ 1 جمادي الثانية 979هـ.

حكم الى أمير أمراء جزائر الغرب

أرسلت الى سدة سعادتنا خطابا تعرب فيه عن أحوال الاسطول الهمايوني ، وعن نقص أنفار قلعة متون ،وتشير الى وجوب سد حاجتها من الجند والذخيرة والبنائين والمدفعيين ،وقد عرض كل ما ذكرته على سريرنا بالتفصيل وأحاط علمي الشريف وشمل كل ذلك .

ولقد سبقت ارادة الله ،وآلت أوضاع الاسطول الهمايوني على كل فالحرب سجال والحكم لله الواحد القهار ،وقد سطرت أحكاما شريفة وأرسلت الى كل من وزيري أحمد باشا وأمير أمراء روم ايلي والى دزدار (المسؤول عن حماية القلعة) متون بشأن تكميل عساكر ومدفعي وذخيرة القلعة المذكورة ،ولكن فما هي أوضاع ما تبقى من السفن ؟ وما هي أحوال الكفار؟ خذلهم الله تعالى الى يوم القرار وأين يتواجدون بالضبط؟ وما هو فكرهم وتداركهم ؟ونظرا لاهمية الاعلام عن جميع أحوالهم وتتبع وتجسس أخبارهم فقد أمرت :

حال وصوله ،عليك بالتقيد بما جاء في هذا الصدد ،والاعلام عن أحوال السفن المتبقية وأماكن تواجدها بالضبط ،وعن فكر واستعداد الكفار _ أصابهم الدمار _ وخذلهم الله تعالى الى يوم القرار والى أين توصلوا في ذلك ؟ فيجب تتبع أخبارهم اما بارسال فرقة معدة أو بأي وسيلة أخرى تراها مناسبة كذلك فالى أين توصل رأيك الصائب بشأن الامور التي يجب الاعداد لها ؟ وما هي تداركاتك ؟ وابعث لنا عاجلا عن كل ذلك ،وعما يردك من أخبار صحيحة .

[illegible]

ملحق رقم (8)

أ. ر. و. ،اسطمبول ،مهمة دفتري رقم 12 ،ص 571 ،حكم رقم 1088 ،
بتاريخ 7ذي القعدة 979 هـ .

حكم الى كبار الانكشارية في الجزائر

بناء على مشاهدتنا لما بذله قليج علي - دام اقباله - أمير أمراء جزائر الغرب السابق من بسالة ومشاركة حقة في أداء خدماتنا المبرورة في سبيل الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى ،فقد استجلب بذلك مزيد عنايتنا الملوكيــــة واستحق بذلك تقليده قيادة الاسطول لدى بابنا المعلا ،الى جانب أمرة ولاية الجزائر،كما فوضت اليه أيضا أمور ولاية تونس .

وحيث أن المشار اليه تقدم الى بابنا المعلا وأعرب عــن حسن اتفاقكـم واتحادكم وتآلفكم مع قائدكم ،وبذل قدراتكم لخدمة الدين المبين ودولتـي الابدية الملوكية ،ونظرا لاشادته بكفاءاتكم العالية ، فقد تم الانعام من جانب بابنا المعلا على غلمان الجزائر الذين قدموا مع المشار اليه - دام اقبالــه - ب ((جوقة ،عبارة عن قماش صوفي)) لكل منهم حسب رتبته بموجب قوانـــين (صاغ بلوك) (صول بلوك) (جبهجى) و (طوبجى) ،كما أثنى المشار اليـــه على بسالتكم وكفاءتكم أيضا ،وهذا ما هو مأمول منكم كما شهد لكم به المشار اليه، بيض الله وجوهكم ،وحفت أيام السعادة بكم ،كما ونعرفكم بأنه قد تم تفويض ولاية جزائر الغرب الى أحمد باشا - دام اقباله - وقد أرسل اليها وأمرت:

حال وصول المشار اليه طرفكم عليكم بحسن الاتفاق والاتحاد معه ، والعمل بأوامره والاجتهاد الى تعظيمه وتكريمه كما تعودتم دائما . وعليكـم بالجد والسعي للمحافظة على الولاية المذكورة وصيانة عرض وناموس الدين المحمدي المبين ،وبذل وصرف مساعيكم الموفورة المشكورة في سبيل الخدمات المبرورة على الوجه المناسب والذي يرتئيه المشار اليه ،فان كل من سيشهد له من طرف المشار اليه ببسالة وكفاءة منكم لدى سدة سعادتنا فسيكون محط رعايتنا الشريفة الملوكية ان شاء الله،وستجزون على حسب مراتبكم وبموجب ذلك عليكم ببذل مقدوركم في سبيل حفظ وحراسة تلك الديار الجليلة الاعتبار والعمل على أمن وتأمين الرعايا والبرايا .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم (9)

أ.ر.و.اصطمبول ،مهمة دفتري رقم 21 ،ص 266 ،حكم رقم 637 بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ.

حكم الى أمير أمراء جزائر الغرب والى أمرائها وسائر أعيانها

لقد عزمنا على تجهيز وانزال أسطولنا الهمايوني العظيم الى البحر بهدف ارساله الى حلق الوادي وسائر القلاع الحربية هناك متوكلين على الله الملك المتعال وذلك في هذه السنة الخيرة ،وقد سطرت أحكاما شريفة مفصلة الى قبوداني علي ـ دام اقباله ـ أمير أمراء الجزائر بشأن الاماكن التي سيتجه اليها الاسطول .

وبناء على ما هو مضمور في جبلتك من حمية وغيرة على دين سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام فالمطلوب منك هو اعداد وتجهيز الابطال من الرجال بكامل العدة والعتاد والذخيرة منذ الان وبعد وضع رجال للمحافظة على الجزائر، فان توجهك الى المكان المحدد لترقب وملاقاة أسطولنا الهمايوني أمر من واجبات الدين والدولة وأمرنا :

حال وصوله ،يجب على كل واحد منكم ابراز قوته ،وعليك بالوقوف على أهبة الاستعداد أنت ومن معك من عساكر ـ دار الجهاد ـ الجزائر المنصورة بكامل بنادقهم وعدتهم وعتادهم وذخيرتهم لترقب أسطولنا الهمايوني ،وفور وصول قبوداني المشار اليه الى تلك الاطراف ـ بمشيئة الله الاعز ـ ينبغي أن تصبح معه على حسن اتفاق واتحاد وأن توحدا قلبيكما ووجهتكما كي تتمكنا حال أوان الفرصة من الهجوم على مواقع أعداء الدين لتأديبهم وذلك حسبما جاء في الاحكام الشريفة الصادرة للمشار اليه ،وعلى الوجه الذي يراه مناسبا .

فعليك بأنواع السعي والاقدام والاهتمام بمصالح الدين المبين ،وعليكما ببذل المقدور لتحصيل ما من شأنه تبييض وجهيكما ،وأن كل من سيشارك ويبذل خدماته في سبيل الجهاد ،سيحف بأنواع عنايتنا وعطفنا ،وستحقق آماله ان شاء الله تعالى ،وعليه يجب ترغيب واستمالة ابطال الجزائر الشجعان وتحريضهم على القتال .

ملحق رقم (10)

رسالة أحمد المنصور الى قليج علي باشا وزير البحرية العثمانية وبيلرباي الجزائر*
وقد بعث بها بعد أن تقرر ايقاف الحملة المقررة على المغرب .

المثابة التي لها في تدبر الاساطيل الجهادية الخاقانية الاثر المشهور، والمكانة التي لقدرها في الابواب العثمانية التنويه المسموع والصيت المذكور، الحازم الذي لا ينفكّ ممتطيا لنكاية الكفرة متون البحور، والاصيل الذي له في ايثار الجهاد السّند المرويّ والخبر المأثور، مثابة القبطان المعظم ، الماجد المكرم ، الاجل الافضل ، الاحفل الاكمل ، الاثير الاحظى ، الاصيل الارضى ، الازكى الاسمى العماد الاحمى ، الارفع الاسعد ، الانوه الامجد ، الخطير النزيه المعتبر الوجيه ، الاود الاحب ، الانجد الانجب ، الاثيل الاوحد ، الاسنى الاسعد أبي الحسن علي باشا أبقاه الله وهمته مصروفة الى الاعتناء بتجدد القطائع والشواني، ولازال رفيع المكانة بذلك الجناب المؤيد العثماني ، سلام كريم طيب النفحة ، رائق الصفحة ، يعتمد جانبكم ورحمة الله وبركاتـــه .

أما بعد حمد الله الذي باسمه العظيم تفتتح المبادئ ، وبقدرته تم التصرف لكل رائح وغادي ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم الانبياء والرســل ، والذخيرة العظمى التي هي المجنات غاية التوسل ، وعلى آله بدور كماله ، وعصابة فخره وجلاله ، وأصحابه الذين أوضحوا الشرائع وأرهفوا للمكافحة معه السيوف الروائع ، فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم صالح الاعمال ما تحمد عاقبته في المآب ، وسنى لكم من المساعي الجميلة ما يؤكد حظوتكم بذلك الجناب من حضرتنـــا العلية ، ومجمع عساكرنا العلوية فاس ـ حرسها الله ـ ولا ناشئ بفضل اللـــه الا ما عوده لهذه المثابة الحسنة من المواهب الجزيلة الجماء ، والعوارف المستوعبة لاجزاء النعماء ، ولله المنة .

هذا ودرر ودكم كانت تقذفها الينا على البعد أمواج البحار ، وعرف ولائكم ما زالت تهديه للقلوب على شحط الدار ، نسمات الاسحار ، وعقائد اخلاصكم بلسان الاشتهار عنا وهناك في القديم تتلى ، وعقائل مصافاتكم على منصات الوفاء تجلى ، والاعتقاد الجميل بجنابكم ما زلنا قبل دأبا وديدنا ، وعلى دعائمه الثوابت كنا أسسنا عهدا ، والاجهار بموالاتكم كان أمره مستفيضا ، والحب في الله علـى

الدوام يلوح لنا من تلقائكم وميضا ، الى أن ورد خبر التحرك الذي كان لكم لهذه الناحية ، والاحتفال الذي استنهضتم له هنالك الغاشية ، ومن أهل الحاضرة والبادية ، فتأدى الينا عنكم أولا على وجه كان الظن بكم خلافه ، وعلى تأويل ما كنا لنعتقد بكم فيه اتباع الهوى واسعافه ، وما زلنا ونحن نستغرب لشنآنكم ذلك داعيه وسببه ، وتجردكم للعدوان لا لامر اقتضاه وأوجبه ونجيل التفكر في استحالة ودادكم الى ضده ، وانتقال الحب في الله الراسخ عن عهده ، وتكدير منهل الاخلاص بعد صفاء ورده وانتقاض حكم الولاء بعد تعديل شهوده وتسجيل عقده ، اذ ورد على بابنا رسولنا الآئب من تلكم الابواب العثمانية ، والمؤدي لفضيلة الوقوف بتلكم العتبات الكريمة الخاقانية فلان فأنهى الينا بما تلقاه منكم ، وصحت به روايته الثابتة عنكم أن تحركم ذلك على ما حكيتم ، ما كان منكم لباعث نفسي ، ولا لغرض كان لكم فيه معنوي ولا حسي ، وأنكم فيه على غير هوى منكم ولا اختيار ، محمولين في أمره من هناك على حكم التعسف والاضطرار ، ومجبورين على ارتكابه جبرا ما أغنى عنكم فيه الاعتذار ، وأنكم لو تركتم ومرادكم ، وخليتم واعتقادكم ، ما كنتم تضرمون أبدا لهذه الجهة نار فتنة ولا هرج ولا تركبون بقصدها للبحر ثبج ، ولا للبر راحلة تمشي على عوج ، فعندما قرر لنا عنكم هذا النبأ المتأول ، والعذر الواضح لمن تأمل ، زال عن النفوس ذلك الامتعاض ، واستحالت الى المحبة القديمة الجواهر والاعراض ، وبقي الود في الله اذ ذاك مصون المروءة والاعراض ، فأنهينا اليكم خطابنا هذا صحبة رسولينا الموجهين لتلكم الابواب العثمانية ، والعتبات السلطانية ، الشيخ الامام ، العالم الذي له على صهوات المعارف النزول والالمام ، النقيه العلامة ، المحقق الفهامة ، المحدث المشارك الجامع ، الاعرف الادرى البارع ، المرتدي من العفة والديانة رداء ، والحامل من النزاهة والمروءة لواء ، قاضي قضاة آفاقنا المغربية وعساكرنا المظفرة العلوية ، السيد أبي الفضل قاسم بن علي الشاطبي ورفيقه القائد الارضى ، والاوجه الاحظى ، الازكى الاسنى الاجل الاسمى ، الارفع الارقى ، الابر الاتقى ، الانزه الانقى ، الانوه الاثير ، الافضل الخطير ، المعتبر المرعي الاصيل السري أبي زيد عبد الرحمن بن القائد الامجد الافضل ، الاكمل الاجمل ، الاثيل الاحفل

الاصيل الانبل ، الوجيه النزيه ،المعتبر النبيه الاخص الا سنى أبي علي منصـور بن سعيد الموردي وصل الله سعادتهما ،وأنجح بمنه وفادتهما ،لتعلموا ان شاء الله أن ربع الوداد في الله ما زالت تمطره من اخلاصنا عوارض هواطل ، وتجوده من ولائنا سحائب تروض منه ذلك الجناب الماحل ،وتتعرفوا منهما أن داعي المحبة منا لداعي الجفاء على الدوام مناضل ،وسيف التواصل بيننا لحبل القطيعة باتر ،ورسم التجمل عندنا ليس بداثر ،وجده كل حين لدينا غير عاثـره وحبكم في الله لا زال يدعوكم داعيه بعون الله الى الاعتناء بمن يرد من قبل هذه الابواب ،على سني ذلكم الجناب ،جريا على دأبكم المعتاد ،واعتناء منكم بهذا الجناب الاعتناء الواضح الاشهاد ،والله تعالى يصل علاءكم ويديم بمنه بقاءكـم ، والسـلام الابـر الاعطـر عليكم .

---

* عبد الله كنون ، رسائل سعدية ، (تطوان ،دار الطباعة المغربية ،1954) ، ص ص 68 ـ 73 .

مدخل الى المصادر والمراجع

يمكن تقسيم مصادر ومراجع البحث الى صنفين : أساسي وثانوي .

ـ الصنف الاول : يتكون من الوثائق العثمانية التي تمكنت من الرجوع اليها ،وكذلك الكتب المعاصرة للقرن السادس عشر ،سواء منها العربية أو باللغات الاجنبية ،وأضفنا اليها المخطوطات والرسائل الجامعية .

ـ الصنف الثاني : يتكون من المقالات المنشورة في مختلف الدوريات والكتب المطبوعة بمختلف مراحلها ،ومعظمها طبع اما في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين ،ومنها ما هو مكتوب بالعربية وما هو مكتوب باللغات الاجنبية .

وقد اتبعنا في ذلك الطريقة التالية :

1 ـ الوثائق .

2 ـ المصادر بالعربية وباللغات الاجنبية .

3 ـ المراجع :

أ ـ الدوريات .

ب ـ الكتب المطبوعة بمختلف أنواعها كالمعاجم والفهارس والكتب المتخصصة ... وعند ترتيب هذه الكتب ،تم تقديم ما هو بالعربية عما هو باللغات الاجنبية .

1 _ الوثائق : وهي مرتبة حسب أرقام دفاترها الموجودة في مقر الارشيف باسطمبول ، والارقام هي : 9 _ 10 _ 12 _ 14 _ 16 _ 18 _ 21 _ 24 _ 42 .

الوثيقة الاولى : مهمة دفتري رقم 9 ، ص77 ، حكم رقم 204 ، بتاريخ 23 / 10 / 977هـ
وهي رسالة الى قليج علي من السلطان سليم الثاني ، يخبره فيها بأنه كان عاقدا العزم على ارسال المساعدة الى مسلمي الاندلس ، الا أن الكفار في قبرص نقضوا العهد ، لذا قرر فتح هذه الجزيرة ، ثم تقديم المساعدة للاندلس ، وأمر قليج علي من جهته بتقديم المساعدة الضرورية .

الوثيقة الثانية : مهمة دفتري رقم 9 ، ص89 ، حكم رقم 231 بتاريخ 977/10/24هـ
وهي رسالة الى سكان الاندلس ردا على رسالة وجهوها للسلطان يخبرونه بما يتعرضون له يوميا من الاعتداءات ، ويقول السلطان انه في الوقت الحالي منشغل بفتح قبرص ، ولذا فان المساعدة التي سيقدمها لهم ستتأخر بعض الوقت .

الوثيقة الثالثة : مهمة دفتري رقم 10 ، ص4 ، حكم رقم 6 ، بتاريخ 979/1/2هـ
وهي رسالة من حاكم طرابلس الى الباب العالي يطلب فيها ارسال الاسطول الى تونس لحمايتها من غزو متوقع للاسبان لها ، ويقول فيها بأن الاسطول الاسباني المرابط على أهبة الاستعداد بكامل معداته في مدينة بارقة تحت قيادة شقيق أمير اسبانيا .

الوثيقة الرابعة : مهمة دفتري رقم 10 ، ص17 ، حكم رقم 19 بتاريخ 979/1/12هـ
وهي رسالة الى قليج علي يأمره فيها السلطان بضرورة حماية الايالة ، لانه يتوقع هجوما اسبانيا على الجزائر على أساس أن الاسطول العثماني سيتوجه الى كورفوس ، وقد يستغل الاسطول الاسباني انشغال العثمانيين في هذا المكان للاعتداء على الجزائر .

الوثيقة الخامسة : مهمة دفتري رقم 10 ،ص 19 ،حكم رقم 23 ،بتاريخ 978/1/2هـ

وهي رسالة الى الوزير پرتو باشا يأمره السلطان فيها بالتصدي للاسطول الاسباني ،كما يأمر قليج علي بنفس الشيء ،وكذلك الاغارة على كريت بأقصى سرعة ممكنة ،ثم العودة بسرعة لملاحقة "الكفار" في نواحي كورفوس.

الوثيقة السادسة : مهمة دفتري رقم 12 ،ص 8 ،حكم رقم 15 ،بتاريخ 978/5/17هـ

وهي رسالة الى قليج علي باشا يأمره فيها السلطان بالتوجه بأسطوله للالتحاق بالوزير پرتو باشا الذي كان قد خرج على رأس أسطول كبير لمطاردة الاسطول المسيحي في البحر الابيض المتوسط ،ويأمره كذلك باتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية ايالته بواسطة التحصينات لصد أي هجوم اسباني محتمل .

الوثيقة السابعة : مهمة دفتري رقم 12 ،عدد 95 ،بتاريخ 978هـ

وهي عبارة عن رسالة تحمل تقريرا عاما عن حالة الاسطول أوجزء منه بعد معركة عنيفة أجراها مع العدو في جزيرة قبرص.

الوثيقة الثامنة :مهمة دفتري رقم 12 ،عدد 98 ،بتاريخ 978هـ

في الوقت الذي كان الاسطول العثماني يحاصر قبرص ،وصلت الاخبار الى اسطمبول بتكوين حلف بين الدول المسيحية تحت اشراف البابا في روما . فأصدر السلطان أوامره لحكام المقاطعات ومسؤول الاسطول لاتخاذ جميع التدابير اللازمة حتى لا يخادعهم العدو وهم في قبرص.

الوثيقة التاسعة : مهمة دفتري رقم 12 ،ص 153 ،حكم رقم 279 بتاريخ 978/11/16هـ

وهي رسالة الى قليج علي للالتحاق بالاسطول العثماني بما في حوزته من السفن للمشاركة في فتح قبرص.

الوثيقة العاشرة :مهمة دفتري رقم 12 ،ص 544 ،حكم رقم 1036 بتاريخ 979/10/25هـ

وهي رسالة تحمل الاوامر الى قليج علي لمساعدة عبد الملك من أجل استخلاص عرش المغرب من أخيه عبد الله ،واسناده الى عبد الملك .

الوثيقة العاشرة: مهمة دفتري رقم 12، ص173، حكم رقم 367، بتاريخ 978/11/2هـ
وهي رسالة الى قليج علي حاكم الجزائر يخبره فيها السلطان بنيته في فتح قبرص، وأمره فيها بالالتحاق بالاسطول العثماني للمشاركة في هذا الفتح العظيم .

الحادية عشر: مهمة دفتري رقم 12، ص249، حكم رقم 518، بتاريخ 978/12/17هـ
وهي رسالة من السلطان الى قائد الاسطول المكلف بفتح قبرص، يخبره فيها بأن قليج علي على أهبة الاستعداد للانضمام الى الاسطول العثماني .

الثانية عشر: مهمة دفتري رقم 12، ص325، بتاريخ 979هـ
وهي رسالة تحمل أمرا الى قليج علي باشا بالتوجه الى المغرب الاقصى واستخلاصه من حاكمه عبد الله، واسناد السلطة فيه الى أخيه عبد الملك .

الثالثة عشر: مهمة دفتري رقم 12، ص524، حكم رقم 1004، بتاريخ 979/10/23هـ
وهي رسالة تتعلق بحماية تونس وشواطئها من الغزو الاسباني لها على حين غفلـــة .

الرابعة عشر: مهمة دفتري رقم 12، ص536، حكم رقم 1025 بتاريخ 979/10/23هـ
وهي رسالة الى قليج علي يخبره فيها السلطان بوصول عبد الملك الى اسطمبول ويوصيه بعائلته وبأبناء أخيه عبد المؤمن، والسماح له بالتصرف في أمواله كما كان يفعل أيام أخيه عبد المؤمن .

الخامسعشر: مهمة دفتري رقم 12، ص544، حكم رقم 1036، بتاريخ 979/10/25هـ
وهي رسالة تحمل الاوامر الى قليج علي لمساعدة عبد الملك من أجل استخلاص عرش المغرب من أخيه عبد الله، واسناده الى عبد الملك .

السادسعشر: مهمة دفتري رقم 12، ص541 ـ 543، حكم رقم 1037، بتاريـــخ 979/10/25هـ . وهي وثيقة تعيين القائد رمضان على ولايـة تونس .

السابعة عشر: مهمة دفتري رقم 12، عدد 579، بتاريخ 979هـ .
وهي تحمل أمرا الى قليج علي باطلاق سراح بعض الاسرى الفرنسيين وعدم التعرض لهم في المستقبل، نظرا لصداقة الدولة الفرنسية مع الدولة العثمانية .

الثامنة عشر : مهمة دفتري رقم 12، ص579، حكم رقم 1102، بتاريخ 8/11/979هـ وهي كذلك أمر بأطلاق أسرى فرنسيين وعدم التعرض لهم بسبب صداقتهم للدولة العثمانية .

التاسعة عشر: مهمة دفتري رقم 14، ص40 ـ 41، حكم رقم 48، بتاريخ 1/2/979هـ وهي رسالة لجميع حكام المنطقة الغربية من الدولة العثمانية تأمرهم باتخاذ الاحتياطات اللازمة لصد أي هجوم مفاجيء للاسبان على الجزائر وتونس، لان السلطان توقع حدوث ذلك بسبب غياب قليج علي وأسطول الجزائر ووجودهما مع الاسطول العثماني في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط . ويأمر السلطان قائد الاسطول في حالة حدوث مثل هذا الاعتداء على المغرب بالسماح لقليج علي بالتوجه الى المنطقة وأن يقدم له المساعدة اللازمة .

العشرون :مهمة دفتري رقم 14، ص59 ـ 61، حكم رقم 76، بتاريخ 27/1/979هـ وهي رسالة تحمل تعليمات لقليج علي حول تنظيم بعض المقاطعات التونسية وكذلك التجسس على الاسطول المسيحي لمعرفة نواياه حتى لا يفاجيء القوات العثمانية في المنطقة .

الواحدة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14، ص199، حكم رقم 283، بتاريخ 3/2/979هـ . وهي رسالة الى سكان الاندلس، وهي عبارة عن رد على رسالة كانوا قد وجهوها الى اسطمبول يخبرونها بعدم وصول الاسلحة المرسلة اليهم (؟) وأنهم أصبحوا يواجهون ضائقة في الذخائر، لذا فهم يطلبون المعونة، ويقول الباب العالي بأن الدولة في الوقت الراهن غير قادرة، لان الاسطول موجه هذه السنة لفتح قبرص.

الثانية والعشرون :مهمة دفتري رقم 14، ص200، حكم رقم 284، بتاريخ 3/2/979هـ وهي رسالة الى قليج علي يخبره السلطان فيها برسالة مسلمي الاندلس، ويأمره بتقديم المساعدة اللازمة لهم ان كان ذلك ممكنا، أي اذا كان انفصاله عن الاسطول العثماني في الوقت الراهن لا يشكل خطرا على الاسطول .

الثالثة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص256 - 257،حكم رقم 362 ، بتاريخ 979/3/14هـ• في هذه الرسالة أخبار تتعلق بالسفن المالطية الثلاثة التي استولى عليها قليج علي عام 1571 عندما كان متوجهـا للانضمام الى الاسطول العثماني ،وفيها أخبار عن الاسطول المسيحي في كريت وكذلك بعض الاوامر الى قره خوجه وهو من ضباط قليج علي تأمره بالتوجه الى جزيرة نوفة Nova لتجنيد الجدافين والمحاربين وتحضير بعض العتاد اللازم للاسطول ،وكذلك تحضير بعض السفن كان حاكم الهرسك قد استولى عليها وعدد هذه السفن ثلاث عشرة قطعة بحرية •

الرابعة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص274 ، حكم رقم 390 ،بتاريخ 978/3/13هـ• وهي تحمل أمرا الى قليج علي بالاحتفاظ بأسير كان قد استولى عليه داخل السفن التي استولى عليها قرب،ا لطة ،ويبدو أن هذا الاسير من أقارب الملك الاسباني ،لذا يأمره السلطان به والحذر من افلاته منه •

الخامسة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص372 ،حكم رقم 539 بتاريخ 978/4/28هـ• وهي رسالة الى الوزير بياله باشا بعد فتح قبرص تشرح له كيف تم تكوين " الحلف المقدس" وتعلمه بعدد السفن التي تقدمت بها كل دولة ،وتحذر الرسالة بياله باشا من مباغتة الاسطول المسحي له •

السادسة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص403 ،حكم رقم 603 ،بتاريخ 978/5/22هـ• وهي أمر الى قليج علي لتحضير أسطوله للمشاركة في عمل عظيم هذه السنة ،وهو توجيه 150 قطعة بحرية الى خليج البندقية قصد وضع حدّ لاعتداءات البندقية ،وكذلك توجيه 150 قطعة بحرية أخرى الى حلق الوادي لاستخلاصها من الاسبان •

السابعة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص430 - 431 ،حكم رقم 611 ،بتاريخ 978/5/22هـ• وهي أمر الى قليج علي لتجنيد الجيوش اللازمة وتحضير الاسطول للمشاركة مع الاسطول العثماني في الربيع المقبل للقيام ببعض الاعمال ضد الاسطول المسيحي •

الثامنة والعشرون : مهمة دفتري رقم 14 ، ص442-443 ،حكم رقم 625 بتاريخ 978/5/22هـ• وهي رسالة من عبد الملك الى السلطان العثماني يقدم فيها شكوى ضد أخيه عبد الله ،ويطلب من السلطان العثماني أن يتدخل لاصلاح أحوال المسلمين في المغرب الاقصى بسبب الاضطهاد الكبير الذي يتعرضون له من طرف عبد الله ،وكان رد السلطان كله حكمة محاولا اصلاح ما بين الاخوة بالطرق السلمية •

التاسعة والعشرون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص1067 ،حكم رقم 1571 ،بتاريخ 979/1/26هـ• وهي رسالة الى عبد الملك يخبره فيها السلطان بأنه أمر قليج علي بالتدخل في المغرب لصالحه اذا ما سمحت الظروف بذلك ، ويطلب من عبد الملك الاتصال بقليج علي للتشاور معه في هذا الامر•

الوثيقة الثلاثون :مهمة دفتري رقم 14 ،ص1068 ،حكم رقم 1572 ،بتاريخ 979/1/26هـ• وهي رسالة الى قليج علي يأمره السلطان فيها بتقديم المساعدة اللازمة لعبد الملك ، والهجوم على المغرب لاستخلاصه من عبد الله واسناد السلطة فيه الى عبد الملك متى سمحت الظروف بذلك•

الواحدة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 16 ،ص62 ،حكم رقم 129 ،بتاريخ 979/6/1هـ وهي رسالة وجهها قليج علي الى الباب العالي يشرح له فيها ما آل اليه الاسطول العثماني بعد معركة ليبانت ،ووضح له الوضعية التي أصبح عليها الاسطول ،والرسالة تحمل تاريخ 1571/10/21م ،أي بعد أسبوعين من معركة ليبانت التي مني فيها الاسطول العثماني بهزيمة كبيرة •

الثانية والثلاثون : مهمة دفتري رقم 16 ،ص67 -68 ،حكم رقم 139 ،بتاريخ 979/6/4هـ• وهي رسالة الى الوزير أحمد باشا يخبره فيها السلطان بكارثة ليبانت الشهيرة •

الثالثة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 16 ،ص74 ،حكم رقم 150 ،بتاريخ 979/6/4هـ وهي رسالة الى حاكم الجزائر يأمره فيها السلطان بتجنيد الرجال أصحاب المهارات الممكن استخدامهم في الاسطول الجديد بعد أن حلت الكارثة بالاسطول الاول •

الرابعة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 18 ، ص15 ، حكم رقم 25 ، بتاريخ 979/9/27هـ . والرسالة تتعلق بعبد الملك بعد أن اغتيل أخوه عبد المؤمن الحاكم في تلمسان ، وتتضمن الرسالة كذلك موافقة السلطان على تعيين ابن عبد المؤمن مكان أبيه ، واحتفاظه وعائلته بأجورهم السابقة كما كانت على أيام عبد المؤمن .

الخامسة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 18 ، ص106 ، حكم رقم 236 ، بتاريخ 978/8/19هـ . وهي رسالة الى قليج علي تخبره بتعيين حسن بن خير الدين على الجزائر تعويضا لقليج علي الذي عين على رأس الاسطول بعد كارثة ليبانت ، وتطلب الرسالة من قليج علي أن يجهز حسن باشا بما هو ضروري للالتحاق بمنصبه الجديد .

السادسة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 21 ، ص226 ، حكم رقم 540 ، بتاريخ 980/11/21هـ . وهي رسالة الى القائد رمضان حاكم تونس تخبره بنية الباب العالي في تسيير الاسطول العثماني الى تونس لفتح حلق الوادي في ربيع السنة القادمة أي 981هـ . وطلب منه حث السكان التونسيين على تأمين الذخيرة وتدبير المعتاد والقدر الكافي من الزاد وسائر اللوازم الضرورية للحرب واعداد العساكر للمشاركة في هذا الفتح العظيم .

السابعة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 21 ، ص266 ، حكم رقم 637 ، بتاريخ 980/12/16هـ . وهي رسالة شبيهة بالسابقة لها ، الا أنها موجهة الى حاكم الجزائر يأمره فيها السلطان بالاستعداد للمشاركة في فتح حلق الوادي بتونس .

الثامنة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 24 ، ص59 ، حكم رقم 167 ، بتاريخ 981/12/5هـ وهي عبارة عن تعيين لرمضان باشا في منصب حاكم الجزائر ، ويأمره السلطان بالالتحاق بالاسطول العثماني بتونس .

التاسعة والثلاثون : مهمة دفتري رقم 24 ، ص 60 ، حكم رقم 168 ، بتاريخ 981/12/5 هـ

وهي رسالة مثل السابقة موجهة الى رمضان باشا ، يخبره فيها السلطان باستعدادات اسطمبول لفتح حلق الوادي ، يخبره باسناد قيادة الاسطول الى قليج علي واسناد قيادة الحملة الى سنان باشا ، ويأمره بالاتحاد مع عزلاء في تونس بكل ما يملك من القوات العسكرية ، خاصة البرية منها .

الاربعون : مهمة دفتري رقم 24 ، ص 72 ، حكم رقم 198 ، بتاريخ 981/12/5 هـ

تخبر هذه الرسالة السلطان بارسال ميمي رئيس وهو حاكم رياس الجزائر قصد تجنيد المتطوعين للمشاركة في فتح حلق الوادي .

الواحدة والاربعون : مهمة دفتري رقم 42 ، عدد 82 ، بتاريخ 989 هـ

وهي رسالة الى قليج علي تأمره بالتوجه شخصيا الى تونس قصد التأكد من بعض الاشاعات التي وردت الى الباب العالي تتعلق ببعض الفتن التي تسبب فيها بعض اللصوص وبعض الخارجين عن الطاعة .

الثانية والاربعون : مهمة دفتري رقم 82 ، بتاريخ 989 هـ

وهي رسالة تأمر قليج علي وحسن فنزيانو بالتوجه الى المغرب الاقصى على رأس قوة عسكرية كبيرة ، لأن أميرها " أحمد المنصور " كان قد أثار شكوكا كبيرة لدى السلطان عن صدق اخلاصه للدولة العثمانية ، وهو يشك فيه بأنه يتعامل مع " الكفار " .

2 ـ المصادر بالعربية وباللغات الاجنبية وهي :

أ ـ بالعـربيـة :

1 ـ ابن القاضي ،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق الدكتور محمد الاحمدي أبو النور، ج 1و2 ، (القاهرة ،دار التراث، 1971)، ج 1، 324ص،ج 2، 350ص.

وهو عبارة عن فهرس للاعلام يقدم فيه أسماء مشاهير الرجال في عصره ،خاصة العلماء منهم .

2 ـ ابن أبي دينار ،أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ،المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام ، (تونس ،المكتبة العتيقة ، 1967) ، 366 ص.

وهو كتاب يتناول تاريخ تونس من الفتح الاسلامي ،الى غاية النصف الثاني من القرن السابع عشر ،وتكمن أهمية هذا الكتاب في معاصرة صاحبه لبعض الاحداث التي رواها ،أو في رجوعه لمن عاصر أحداثا لم يلحق بها المؤلف، ويستعمل في ذلك عبارة " شاهدته ،سمعته يقول ...الخ ".

3 ـ ابن أبي الضياف،أحمد ،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج 1و2 ،تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1976 ، 1977) ،ج 1، 258ص،ج 2، 226ص.

وهو كتاب يتناول تاريخ تونس كذلك من الفتح الاسلامي الى غاية القرن التاسع عشر ،ويلاحظ عليه أنه ينقل كثيرا عن ابن أبي دينار ،والجزء المعتمد عليه في هذا البحث هو الجزء الثاني المخصص للعهد العثماني . يتبع فيه صاحبه طريقة تسلسل الاحداث وفقا لتتابع الحكام ،وما جرى في عهد كل واحد منهم .

4ـ ابن سحنون الراسدي ،أحمد بن محمد بن علي بن ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، (قسنطينة ،مطبعة البعث، 1973) ، 477 ص.

وهو كتاب [illegible] صاحبه [illegible] ران من [illegible] ،

وتكمن أهمية [illegible] الكتاب [illegible] ق [illegible]

وهو كتاب تناول فيه صاحبه موضوع استعادة وهران من طرف الجزائريين عام 1792،
وتكمن أهمية هذا الكتاب في معاصرة صاحبه لهذه الاحداث.

5 ـ السراج ،محمد بن محمد الاندلسي الوزير ،الحلل السندسية في الاخبار التونسية ،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ،ج 2، (تونس،دار الكتب الشرقية 1973) ،والجزء الثاني هو المخصص للعهد العثماني في تونس ويبدأ من عام 1574 ،أي من الفتح الثاني لتونس على يد قليج علي وسنان باشا ،الى غاية القرن السابع عشر ،ومن ميزاتـه أنه عاصر أحداثا كثيرة ، أو عاصر أناسا عاصروا بعض الاحداث فسمع عنهم ، فكان يستعمل عبارة " حدثني فلان فقال ... " خصوصا في الاحداث التي وقعت في القرن الثامن عشر أو قبله .

6ـ الفشتالي ،أبو فارس عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم ، (الرباط ، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية ، 1973) .

يتناول الفشتالي في هذا الكتاب تاريخ الدولة السعدية ،ويمتاز بانحيازه الواضح لهذه الدولة ،خاصة للسلطان أحمد المنصور ،ويمتاز الفشتالي كذلك بتحامله على العثمانيين خاصة قليج علي ،ولا غرابة في ذلك فهو المؤرخ الرسمي للدولة السعدية .

7 ـ المقري ،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939) .

يمتاز المقري بمعاصرته للاحداث (1578ـ1631) ،اذ عاش في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ،وسمح له ذلك بمعاصرة الاحداث التي تحدث عنها ،خصوصا المتعلق منها بالاندلس .

8 ـ النهروالي ،قطب الدين محمد بن أحمد المكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، أشرف على طبعه ،حمد الجاسر ، (الرياض،منشورات اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1967) .

يعتبر قطب الدين المكي ،المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية ،فهو موظف رسمي في الدولة ،لذا جاء كتابه كله اعجاب بالدولة العثمانية عموما وسنان باشا - وهو موضوع الكتاب - خصوصا . عاش المؤلف خلال القرن السادس عشر ،توفي عام 1590،

9 - الوزان ،حسن بن محمد ،المعروف بليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ،ومحمد الاخضر،ج 1و2، (بيروت،دار الغرب الاسلامي ،1983) .

وهو من أحسن الكتب التي ألفت عن افريقيا في القرن السادس عشر ، ويغلب عليه الوصف الجغرافي الدقيق ،وتكمن أهمية هذا الكتاب في مشاهدة حسن الوزان لمعظم ما ورد في كتابه ،وكان ناقلا أمينا ودقيقا في الوصف.

10 - الوفراني ،محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار،نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس ،مدرس اللغة العربية بباريس، (تم طبعه على يد برى صاحب المطبعة بمدينة باريس ،1888) .

وهو كتاب يتناول فيه تاريخ الدولة السعدية ،وشأنه في ذلك شأن الفشتالي يميل كثيرا الى السعديين في تفسيره للاحداث التي جرت بينهم وبين جيرانهم خاصة العثمانيين (عاشها بين 1669و 1727م) .

11 - خليفة حاجي ،تحفة الكبار في أسفار البحار ، صورة لمخطوط لدي الدكتور برنار كابورال .

وهو كتاب يتناول فيه صاحبه تاريخ عروج وخير الدين وتاريخ البحرية العثمانية في القرن السادس عشر ،ويمتاز بالوصف الدقيق ،كتب هذا الكتاب حوالي 1645،وهو مترجم الى عدة لغات : العربية الفرنسية الانجليزية ...

ب ـ باللغات الاجنبيـة :

I _ De BRANTÔME , Oeuvres complêtes de Pierre Bourdeilles , abbé et seigneur de Brantôme, I3vol. (Paris, P. Jannet, I858)

وهو مؤرخ من القرن السادس عشر ،عاصر الكثير من الاحداث التي تحدث عنها ،وقد شارك في بعضها ،كمشاركته في حصار مالطة عام 1565 ،وما كتبه يغلب عليه طابع الدراسات الشخصية .

2 _ CANTIMIR, Demitrius, Histoire de l'empire Otto man, où se voyent les causes de son agrandissement et de sa décadence , traduit par M.de Joncquière, 3 vol. (Paris, imp. Barois fils , I74I).

وهو كتاب يمتاز بالوصف العام ،ويبتعد عن التدقيق في تناول تاريخ الدولة العثمانية بشكل عام .

3 _ CASTRIES, Henri de, Les sources inédites de l'hist. du Maroc, 3 vol. (Publication de la section historique du Maroc, I922).

4 - PLANTET, Eugène, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France, (I579-I833), 2eme éd. 2 vol. (Tunis, éd. Bouslama, I98I).

5- CHARRIERE, E., Négociation de la France dans le levant, 4 vol. (New York, Burt Franklin, S.D.).

6 - DUPARC, Pierre, Recueil des instructions aux ambassadeurs et ministres de France , XXIX, (Turquie) , (Paris, éd. C.N.R.S. I969).

والعامل المشترك بين هذه الكتب الاربعة الاخيرة هوكونها جميعا وثائق رسمية ،قام أصحابها بنشرها مع التعليق عليها عند الضرورة • فالكتاب الاول يتعلق بالتاريخ المغربي ،وهوعبارة عن وثائق رسمية باللغات المختلفة : العربية ،الاسبانية، الفرنسية ،البرتغالية. ••• نشرها دي كاستر في أربع مجلدات•

الكتاب الثاني ،يشتمل على مراسلات رسمية بين الدايات في الجزائر وملوك فرنسا منذ نهاية القرن السادس عشر الى بداية الحكم الفرنسي في الجزائر•

الكتاب الثالث،نشر صاحبه فيه مراسلات ومذكرات ،ووثائق ديبلوماسية خاصة بالسفراء الفرنسيين في اسطمبول وكذلك المبعوثين الفرنسيين الى البندقية ،راجوزة ،روما ،مالطة ،القدس ،الفرس وتركيا وجورجيا والقرم ،وسوريا ومصر وتونس والجزائر والمغرب• فالكتاب غني بالوثائق التي نشر الكثير منها لأول مرة•

أما الكتاب الرابع والاخير ،فهوجمع للاوامر الموجهة للسفراء الفرنسيين في تركيا ،وهوعبارة عن مجموعة من الوثائق الرسمية ،وقد نشر الكثير منها لاول مرة•

7 - CHLCONDYLE, Histoire des Turcs, T.II, avec l'hist. de serail par Blaise de Vigener, (Paris, M.Guillemot, 1650).

أهمية هذا الكتاب تكمن في كون صاحبه قد زار اسطمبول وعرفها من الداخل ،وذكر في كتابه أشياء شاهدها شخصيا كوصفه للترسانة في اسطمبول فهو شاهد عيان ،ولذا لا يمكن الاستغناء عن كتابه رغم أنه كتب بلغة فرنسية قديمة يصعب فهم بعض معانيها •

8 - De GRAMMONT, H.D. Histoire d'Alger sous la domination Turque, (Paris, 1889).

كتاب مهم من حيث تعمقه في دراسة العهد العثماني في الجزائر خصوصا وأن صاحبه من البحاثة النشطين نظرا لكثرة المقالات التي نشرها خاصة في المجلة الافريقية ،وقد اعتمد كثيرا على الوثائق ،الا أنه اهمل الوثائق العثمانية ،واعتمد أساسا في الكتاب على رواية هايدو في القسم المتعلق بالقرن السادس عشر.

9 - HAÈDO, Fray Diego de ,<u>Histoire des rois d'Alger,</u> traduit et annotée par H.D. de Grammont, (Alger, Jourdan, I88I).

كل المؤرخين الذين كتبوا على العهد العثماني في الجزائر رجعوا الى هايدو واعتمدوا على عمله بشكل أساسي، ويمتاز عمل هايدو بدقة الوصف والملاحظة ،اذا علمنا أنه كان سجينا في الجزائر ما بين 1578و1581،ولكن لم يتمكن من اخفاء كرهه للعثمانيين ،ولم يكن منصفا لهم الا في قضايا محدودة.

IO - HAMMER, Purgstall de ,<u>Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours,</u> traduit de l'Allemand par J.J.Hellert, I7 vol. (Paris, Bellizard, Barthes, Dufour et Lowelle, I84I).

وهو من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية بشكل مفصل ـ اذا استثنينا الكتب العثمانية طبعا ـ ،يمتاز صاحبه بالاعتدال في الرأي في بعض الاحيان .

II - MARMOL, Louis del Marmol-Caranjol, <u>L'Afrique de Marmol,</u> traduction de Nicolas Pierro, 3tomes, (Paris, Lovis, Billaine, I657)

وهو من أهم الكتب المؤلفة في القرن السادس عشر عن المغرب ، وأهميته تكمن في كون صاحبه قد عرف المغرب ،اذ رافق شارل الخامس الى تونس ،كما كان مسترقا في المغرب الاقصى ،وهذا سمح له بأن يعرف الاحداث التي رواها عن كثب .

12 _ De THOU, Jacque-Auguste, Histoire universelle, T.4,5,6,7, (J.L. Braudmuller, I742).

وهو من الكتب التي ألفت في القرن السادس عشر ، ويبدو أن صاحبه واسع الاطلاع ، خصوصا وأنه كان من الموظفين السامين في القصر الفرنسي ، الشيء الذي سمح له بالاطلاع على الكثير من الاسرار ، خصوصا في موضوع العلاقات الخارجية ، فجاء كتابه هذا حقا تاريخا عالميا بمفهوم العالم الضيق في ذلك الوقت .

ج _ رسائل جامعية :

1 _ بن خرف عمار ، العلاقات بين الجزائر والمغرب (923_1069هـ/1517_1659م) ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ ، قدمت تحت اشراف الدكتورة ليلى الصباغ (دمشق ، 1403هـ/1983م) .

2 _ BELHAMISSI, Moulay, Marine et marins d'Alger à l'époque ottomane (I5I8-I830), Thèse d'état, 4 vol. Directeur, M. le prof. Paul BUTEL. Université de Bordeaux, III, MarsI986.

3 _ المراجع وهي :

أ_ بالعربيــــة :

1 _ أنيس ،محمد ،الدولة العثمانية والشرق العربي ، (1514_1914) ، (مصـــر،دون تاريخ) •

2 _ ابن أشنهو،عبد الحميد بن أبي زيان ،دخول الاتراك الى الجزائر، (الجزائر ،مطبعة الجيش، 1972) •

3 _ جوليان ،شارل أندري ،تاريخ افريقيا الشمالية، ج 2 ،ترجمة محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، (تونس،الدار التونسية للنشر، 1978) •

4 _ الجيلالي ،عبد الرحمن ،تاريخ الجزائر العام، ج 3 ، (بيروت،دار الثقافة 1980) •

5 _ روسي ،ايتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، (بيروت،دار الثقافة ، 1974) •

6 _ سبنسر ،وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ترجمه عن الانجليزية عبد القادر زبادية ، (الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980) •

7 _ سعد الله ،أبو القاسم ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج 1 ، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1978) •

8 _ سعيدوني ،ناصر الدين ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ،العهد العثماني، (الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984) •

9 _ الشابي ،علي ،عرفة الشابي ،رائد النضال القومي في العهد الحفصـي ، (تونس ،الدار العربية للكتاب ، 1982) •

10 _ الشناوي ،عبد العزيز،أوربا في مطلع العصور الحديثة ،ج 1 ، (القاهرة ،دار المعارف، 1969) •

11 _ عنان ،محمد عبد الله ،نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ،ط 1 ، (مصر ، 1949) •

12 ـ فريد ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق ، احسان حقي ، ط 2 ، (بيروت ، دار النفائس ، 1983) .

13 ـ غيشز ، هربرت ، أصول التاريخ الاوربي الحديث ، من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، ترجمة زينب عصمت راشد ، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أحمد عزت عبد الكريم ، (مصر ، دار المعارف ، 1965) .

14 ـ كارد ياك ، لوي ، الموريسكيون الاندلسيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي ، (تونس ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، 1983) .

15 ـ كريم ، عبد الكريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، ط 2 ، (الدار البيضاء ، شركة الطبع والنشر ، 1978) .

16 ـ كنون ، عبد الله ، رسائل سعدية ، (تطوان ، دار الطباعة المغربية ، 1954) .

17 ـ كوبرلى ، محمد فؤاد ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمه من التركية أحمد السعيد سليمان ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 1967) .

18 ـ المدني ، أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ط 2 ، (الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1976) .

19 ـ المشرفي ، عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان بوهران من الاعراب كبني عامر ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، (بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ) .

20 ـ الميلي ، مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، (بيروت ، بدران وشركاه ، 1964) .

21 ـ الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد ، كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق ، ولدي المؤلف ، جعفر الناصري و محمد الناصري ، ج 5 ، (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1955) .

22 ـ وولف ، جون ، الجزائر وأوربا ، ترجمه من الانجليزية ، أبو القاسم سعد الله ، (الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986) .

ب ـ باللغات الاجنبية :

1- ABDELKADER, Noureddine, Un épisode de l'ancienne Alger, histoire de Geronimo(دون بيانات الطبع)

2- BALTACI, Cahid, XV-XVI Asır lar da Osmanlı medreseleri, (Istambul, 1976).

3- BARBES, Léo et les autres, Histoire de l'Algerie, (Paris, les productions de Paris, 1962).

4- BENNASSAR, B., JACQUART, J., Le 16° siecle, collection U, (Paris, Armond Colin, 1972).

5- BERTHIER, Pierre, La bataille de l'Oued el-Makhazen dite bataille des trois rois (4août 1578), (Marseille, C.N.R.S. 1985).

6- BRAUDEL, Fernand, La Méditerranée et le monde Méditer-ranéen au temps de Philippe II, 2° éd. T.II, (Paris, 1966).

7- BÜHNAU, Ludwig, Histoire des pirates et des corsaires, texte Français de P.Kuperman, (Paris, Hachette, 1965).

8- CARIM, Fuad, Cezayir de Türkler, (Istambul, 1962).

9- CHARLES-ROUX, François, France et Afrique du Nord avant 1830, les précurseurs de la conquête, (Paris, Felix Alcan, 1932)

10- CHARLES-ROUX, Jean, L'Isthme et le Canal de Suez, T.I, (Paris, Hachette, 1901).

II-CLANSOLLES,M.A., L'Algerie pittorèsque, ou Hist. de la regence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours,(Paris,1843).

I2-COULET du GARD,René,La course et la piraterie en Méditerranée,(Paris,éd. France empire,1980).

I3-CROIX(De la), Chronologie de l'histoire ottomane ,T.I, (Paris,1768).

I4-DEFONTIN-MAXANGE,Alger avant la conquête ,Eudj Ali, n (Paris,A.Pedone éditeur,1930).

I5-DURAND, Loup,Pirates et Barbaresques en Méditerranée, (Avignon,imp.Aubanel,1975).

I6- Emir,Ali Haydar, Kılıc Ali ve Lepanto,(Istambul,1931).

I7-ENGEL,Claire Eliane,Le grand siége de Malte(1565-1965), (Paris,société de l'hist. de l'ordre de Malte,1965).

I8- ENGEL,C.E.Histoire de l'Ordre de Malte,(Paris,les éditions Nagel,1968).

I9-ENGEL,C.E.,L'Ordre de Malte en Méditerranée(1530-1798),(Monaco,éd. du Rocher,1957).

20- FAGNAN, E. Anonyme sur la dynastie Saâdienne, 916H, 1045 H, (extraits), (Alger, Jourdan, 1924).

21- FAGNAN, E., Extraits inédits الجنابي ،البحر الزاخر relatifs au Maghreb, géo.hist. traduits de l'Arabe par Fagnan, (Alger, Jourdan, 1924).

22 - FEVZI, Türk ler in deniz meherebe leri, (Istambul, 1932).

23 -FEY, Henri Léon, Histoire d'Oran avant pendant et aprés la domination Espagnole, (Oran, Typographie Pierre éditeur, 1858).

24 - FRANK, Louis, J.J. Marcel, Histoire de Tunis, 2° éd. (Tunis, 1979).

25 - GALIBERT, M.Léon, L'Algerie ancienne et moderne, depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, (Paris, Furne et Cie éditeurs, 1846).

26 - GARROT, Henri, Histoire générale de l'Algerie, (Alger, P. Crescenzo, 1910).

27 - GÖKMAN, Muzaffer, Istambul kütüphaneleri rehberi, (Istambul, 1954).

28 - GOSSE, Philip, Histoire de la piraterie, traduit de l'Anglais par P. Teillac, (Paris, Payot, 1952).

29 - GSELL, Stephane, (introduction), Histoire et Historiens de l'Algerie, (Paris, P.U.F., 1931).

30- GUIGA, Tahar, Dorghouth Rais, (Tunis, maison tunisienne de l'édition, 1974).

31 - HAKKI, Ismail, Osmanlı devletin in merkez ve bahriye taşkilâtı, (Ankara, 1984).

32 - HAUSER, Henri, La préponderance éspagnole (1559-1660), (Paris, Lib. Félix Alcan, 1933).

33 - HESS, Andrew C., The Forgotten frontier, (Chicago 1978).

34 - HUBAC, Pierre, Les Barbaresques, (Paris, éd. Berger Levrault, 1949).

35 -ILTER, Sami, Şamalı Afrika da Türk ler, T.I, (Istambul, 1937)

36 - Küçük Hasan, Kaptanı derya, Kılıç Ali Paşa, (Istambul, 1975).

37 - LESPES, René, Alger, étude de géo. etd'hist. urbaines, (Paris, Lib., Félix Alcan, 1930).

38 - LESURE, Michel, Lépante, la crise de l'Empire Ottoman, (éd., Firmin-Didot, collection archives Julliard, 1972).

39-MANGIN, Regards sur la France d'Afrique,I2eme éd. (Paris, Plon,I924).

40- MERCIER,Erneste, Histoire de l'Afrique septentrionale (Barbarie)depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête francaise,I830,T.III,(Paris,E.Leroux éditeur,I89I).

4I-MICHAUD, Biographie universelle,ancienne et moderne, T.I,3I.(Paris,Viéville et Capiomont,I870).

42- MONCHICOURT,Charls,Episodes de la carriere Tunisienne de Dragut(I550-I55I),(Extrait de la revue Tunisienne)(Tunis.Societé anonyme de l'imprimerie rapide,I9I8).

43-MONCHICOURT,Ch.,Kairaouan et les Chabbia,(Tunis,I939).

44-MONLAÜ,Jean, Les Etats Barbaresques,(P.U.F.,I964).

45- ÖZ, Tahsin, Istambul Cami leri,(Ankara,I965).

45- PEÇEVI, Ibrahim, Peçevi tarihi, (Istanbul, 1969)

46- PELLISSIER de REYNAUD, Exploration scientifique de l'Algerie,(Paris,imp.Royale,I844).

47-PEREZ,Joseph, L'Espagne du XVI° siècle,(Paris, Armand Colin,I973).

48-PRIEUR, Albert,P., Les Barbarousses corsaires et Rois d'Alger,(Paris,éd. arc en ciel,S.D.).

49- ROTALIER, Charles,Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée du XVI° siècle,T.II, (Paris,éd. chez Poulin,I84I).

50- ROUSSEAU ,Alphonse, Les Annales Tunisiennes,2eme éd. (Tunis,éd. Bouslama,I980).

5I- SEBAG,Paul, Une relation inéditée sur la prise de Tunis par les Turcs en I574,(Tunis,publicatio de l'université,I97I).

ج ـ الدوريات :

1 ـ ابن تاويت ،محمد ، (من زوايا التاريخ المغربي) ،مجلة تطوان ، العدد السابع ،1962 .

2 ـ التميمي ،عبد الجليل ، (الخلفية الدينية للصراع العثماني الاسباني) ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 10ـ 11 ، 1978 .

3 ـ التميمي ،عبد الجليل ، (روية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر) ،المجلة التاريخية المغربية ،عدد 29ـ30 ، جويلية 1983م .

4 ـ التميمي ، عبد الجليل ، (الدولة العثمانية ،وقضية الموريسكيين) ، المجلة التاريخية المغربية ،عدد 23ـ24 ،نوفمبر ، 1981 .

5 ـ الساحلي ،خليل ، (وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة 1565) ، المجلة التاريخية المغربية ،عدد 7±8 ،جانفي 1977 .

6 ـ الصباغ ،ليلى ، (ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ(أواخر 1568) والدولة العثمانية) ،الاصالة ،عدد 27،سبتمبر ـ أكتوبر 1975.

7 ـ عنان ،عبد الله ، (موقف القسطنطينية وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها) ،الاصالة ، عدد 27 ، سبتمبر ،أكتوبر 1975.

8-(La relation de la conquête de la Goulette et de tunis par Sinan Pacha),in,Le Moniteur Algerien,n°7I5 du 25-I0-I845,et, n° 7I7 du 5-II-I845.

9-BRAÜDEL,F.,(Les Espagnols et l'Afrique du Nord,de I492àI577),in,R.A.,T.69, année I928.

I0-CHARLES-ROÜX,François,(L'Isthme de Suez et les rivalités européennesdu XVI° siécle),in;Revue de l'hist. des colonies Françaises,T.I7,année I924.

II-DELPHIN,G.,(Histoire des pachas d'Alger,I5I5àI745), in,Journal Asiatique,avril-juinI922.

I2-DEVOULX,Albert,(Les casernes des Janissairesà Alger), R.A.,T.III,année I858-I859.

I3-DEVOULX,(Alger,étude archéologique et topographique sur cette ville aux époques Romaine,Arabe et Turque), R.A.,T.III,I858-59.

I4- FERAUD, Charles, (Les Harars ,seigneurs des Hanencha) in, R.A., T.I8, à 23, années, I874 à I879.

I5-FERAUD, Ch., (Annales Tripolitaines), in, R.A., T.27, I883.

I6-DE GRAMMONT, H.D., (Un Pacha d'Alger précurseur de M. de Lesseps, I586), in, R.A., T.29, année I885.

I7-HAEDO, Fray Diego de, (Topographie et histoire générale d'Alger), traduit par Monnereau et Berbrugger, in, R.A., T.I4; année I870.

I8-HANNEZO, (L/colonel), (Rapport), in, R.T., T.I9, 2I, année I9I2, I9I4.

I9-MESNARD, P., (Charles-Quint et les Barbaresques), in, Bulletin hispanique, avril-septembre, I959.

20-MOUILLARD, L.M., (Etablissement des Turcs en Afrique et en Tunisie), in, R.T., T.II, année I895.

2I-PRIMAUDIE (De la), (Les Espagnols en Afrique), in, R.A., T.I9, année I875.

د ـ دوائر المعارف والمعاجم وكتب متنوعة :

1 ـ أجوستيني ،فدريكو دي ،أطلس العالم والجزائر ، بتوجيه د •محمد محمود الصياد ،د • ابراهيم شوكت، (بيروت ،دار الكشاف للنشر والطباعة والنشر، 1968) •

2 ـ العجيري ،صالح محمد ،تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلاديجة، (الكويت ،منشورات ذات السلاسل ،1984) •

3 ـ قليج علي باشا كتبخانه سي دفتري (اسطمبول ، 1911) • وهو فهرس خاص بمكتبة قليج علي باشا ،مخطوط بالمكتبة السليمانية باسطمبول •

4 ـ دائرة المعارف الاسلامية ،مجلد رقم 5 ،ترجمة جماعة من الاساتذة •

5- La grande Encyclopédie, T.XXX, (Paris, Société anonyme de la grande encyclopédie, S.D.).

6-Encyclopédie de l'Islam, T.III, (Paris, Lib.D.Klincksieck, 1936).

7-Islam Ansiklopedisi, T.6, art.Kılıc Ali Paşa .

8-The Literary Digest Atlas of the World and Gazetteer, (New York, Funk and Wagnalls company, 1929).

9-SHEPHERD, William, R., Historical Atlas, Ninth éd. (New York, Barnes and Noble ,inc.1964).

10-Le Baron de Bonnefoux et Paris , Dictionnaire de la marine à voiles et à vapeur, (Paris, Arthur Bertrand éditeur, S.D.).

II-CATTENOZ, H.G. <u>Tables de concordance des éres Chrétienne et Hégirienne</u>, (Paris, Les éditions techniques nord Africaines, 1952).

المدخل الى الفهارس

تم وضع الفهارس بناء على الملاحظات التالية :

1 ـ تنويع فهارس الرسالة بافراد فهارس خاصة بالاعلام ، والجماعات والشعوب والقبائل ، والاماكن والبلدان والدول .

2 ـ ادخال الكلمات الواردة في التعاليق بالهوامش ضمن الفهارس ، والاشارة اليها بحرف ت .

3 ـ اسقاط الكلمات التالية لكثرة ورودها في البحث :

قليج علي . خير الدين بربروس . الاسبان . المسلمون . المسيحيون . العثمانيون . الاندلس . اسطمبول . افريقيا الشمالية . ايطاليا . البحر الابيض المتوسط . تونس (الدولة) . الجزائر . اسبانيا ، الدولة العثمانية . طرابلس . ليبانت . المغرب الاقصى .

4 ـ عدم اثبات الاسماء الواردة في الخرائط والملاحق ضمن الفهارس .

فهـــرس الاشكـال والخـرائـط والصـور

فهـــــرس الاعـــــلام

— ح —

— خ —

— د —

— ر —

— ز —

— س —

فهـــرس

الجمــاعـــات والشعـــوب والقبـــائـــل

فهرس

الأماكن والبلدان والدول

- و -

- ى -

فهـــرس المـــوضـــوعـــات

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

اعتمد في تحضير هذه الخريطة على الكتب التالية :

1 ـ أطلس الجزائر والعالم ،وضع واخراج د /فدريكو دي أجوستيني ،بتوجيه د /محمد محمود الصياد و د /ابراهيم شوكت (بيروت ،دار الكشاف للنشر والطباعة والنشـر ،1968) .

2- William ,R. SHEPHERD, Historical Atlas(NewYork Barnes & Noble, I964).

3-The Literary Digest Atlas of the World and Gazetteer.(New York , Funk &Wagnalls Company, I929).


البحر الأسود
البحر الأبيض
البحر الأيوني
الأدرياتيك
بلغاريا
نهر الدانوب
سلستري
بلغراد
ورنة
سينوب
سمسون
طربزون
استانبول
بحر مرمرة
إزميد
أنقرة
بروسة
تاسوس
أثينا
المورة
كفالونيا
زانت
دورازو
أداليا
انطاليا
رودوس
كريت
نيقوسيا
فاغوسطا
حلب
حماه
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
حيفا
يافا
القدس
غزة
اسكندرية
القاهرة
بنغازي